الدكتور عزّ السيد أحمد

انهيارُ أوهام فوبيا الإسلام

الأساطير المؤسِّسة للعدوان على الإسلام

Kimlik Yayınları
Kayseri - Turkiye
1438 هـ - 2017 م

الدكتور عزّ السيد أحمد

انهيار أوهام فوبيا الإسلام

الأساطير المؤسسة للعدوان على الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

Kimlik

Prof.Dr.Ezzat Assayed Ahmad

İnhiyâr evhâm fûbiya'l-islam (El -Esâtiru'l- Müessise li'l- Udvan ale'l- İslam)

العنوان : انهيار أوهام فوبيا الإسلام (الأساطير المؤسِّسة للعدوان على الإسلام)

تأليف : أ.د.عزت السيد أحمد

ISBN: 978-605-2345-06-1 **الترقيم الدولي**

Kapak Tasarımı: Ezzat Assayed Ahmad

Baskı ve Cilt

Kardeşler Matbaası
Matbaacılar Sit. 7. Blok No: 76
Kocasinan /KAYSERİ
Tel: 0 352 331 61 00 Sertifika No: 24209

Birinci Basım: Eylül 201٧

ISBN: 978-605-2345-06-1

Köşk Mah. Ahmet El Biruni Cad. No: 8 Melikgazi/KAYSERİ
Tel : 0 352 207 66 66 / 31029 - 0 544 616 00 38
web : www.kimlikyayinevi.com / tez-mer@yandex.com

تركيا – ولاية قيصري – حي ملك غازي(كشك محلة – جادة أحمد البيروني)

© T.C. Kültür Bakanlığı Yayıncılık Sertifika No: 28550

Yayın hakları **yazara** aittir. Yazarın yazılı izni olmadan, hiçbir biçimde ve hiçbir yolla, bu kitabın içeriğinin bir kısmı ya da tümü yeniden üretilemez, çoğaltılamaz ve dağıtılamaz.

كيملك ياينلاري للطباعة – تركيا ٢٠١٧ م

KimlikYayınları

الحقوق جميعها محفوظة

الدكتور عزت السيد أحمد

انهيار أوهام فوبيا الإسلام

الأساطير المؤسسة للعدوان على الإسلام

KimlikYayınlaı
Kayseri-Türkiye
1438 هـ - 2017 م

☆ الكتاب : **انهيار أوهام فوبيا الإسلام**

الأساطير المؤسِّسة للعدوان على الإسلام.

☆ İslamofobya Evhâmının Çöküşü

الموضوع: **دراسة . Araştırma**

☆ المؤلف : **الدكتور عزت السيد أحمد.**

☆ Yazar: Prof. Dr. Ezzat ASSAYED AHMAD

☆ عدد الصفحات: ٢٣٠ صفحة.

☆ قياس الصفحة: ب ٥ = ١٧ X ٢٤.

☆ النَّاشر: **كيملك ياينلاري .** Kimlik *Yayınları*

☆ قيصرية . **تركيا .** Kayseri, Türkiye

☆ الطبعة الأولى: **٢٠١٧م.**

☆ تصميم الغلاف بريشة المؤلف، ولوحة الواجهة للفنان عامر الزعبي، والخلفية للفنان لطوف.

☆ **الحقوق جميعها محفوظة.**

تمنع طباعة هٰذا الكتاب أو نشره، أو فصل منه، من دون موافقة خطيَّة من النَّاشر أو المؤلف. ويجب مراعاة أصول الاقتباس والتوثيق لدى اقتباس أي نصوص أو شواهد من الكتاب.

☆ الترقيم الدولي ISBN: 978-605-2345-06-1

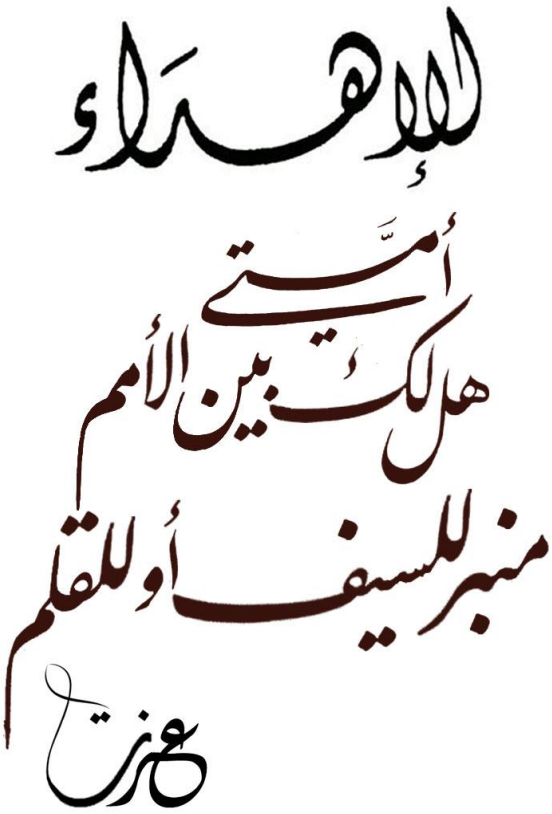
الإهداء
أمتي
هل لك بين الأمم
منبر للسيف أو للقلم
عزت

مُقدِّمة الكتاب

من تعقيدات الموضوع أنَّ معطياته كلَّها متداخلةٌ متشابكةٌ على عجيبٍ، فأهداف الإسلاموفوبيا ونتائجها ومظاهرها وأساساتها ونتائجها كلُّها متداخلةٌ تداخلاً يبدو مربكاً، فأيُّ بندٍ من بنود هٰذه العناصر يمكن أن تجده أو شاهده وأنموذجه في كلٍّ منها ورُبَّما من دون استثناء.

ولذٰلك فالموضوع مخالفٌ لكلِّ موضوعات الأبحاث؛ أيُّ بحثٍ ينقسم إلىٰ عناصر وفقرات يتناول كلٌّ منها ما يخصُّه مستقلاً عن غيره، قد توجد بعض التَّداخلات في بعض الموضوعات، وهٰذا أمرٌ طبيعيٌّ غير مستبعدٍ بحالٍ من الأحوال، ولٰكنَّ التَّداخلات تبقى محدودةً ولظروف ملحَّةٍ أو خاصَّةٍ أو استثنائيَّةٍ. أمَّا عناصر الإسلاموفوبيا فإنَّهَا متداخلةٌ تداخلا عجيباً حَتَّىٰ يصعب التَّمييز بَيْنَ الشَّواهد وأمكنة إدراجها.

لذٰلكَ أسباب لا سبب. الموضوعات العبثيَّة تدور في هٰذا الفلك من التَّناقضات والتداخلات. الإسلاموفوبيا ليست فكرة عبثيَّةً وإنَّمَا هي ممارسةٌ عبثيَّةٌ تستخدم أيَّ شيءٍ من أجل الوصول إلىٰ هدف واحدٍ. لا يتوانى أرباب حملة

الإسلاموفوبيا عن استخدام أيِّ شيءٍ مهما كان فيه من كذبٍ أو افتراءٍ أو تضليلٍ أو موجودٍ أو غيرِ موجودٍ من أجل هدفهم.

عندما تريد أن تحارب الحقَّ لا يمكن أن تحاربه إلا بالباطل، ولأنَّ الحقَّ واحدٌ والباطل لا حدود له فلا بُدَّ من الوقوع في التَّناقضات وعدم تمايز الحدود والتَّفاصيل فيختلط الحابل بالنابل، ولهذا الخلط مقصودٌ لكي تضيع التَّفاصيل التي يمكن إمساك خيوط الحقِّ من خلالها. ولهذا دهاء يمارسه الفاسدون إذ يعمدون إلىٰ البعثرة وعدم التَّنظيم حَتَّىٰ يصعب الإمساك بطرف خيط يدينهم.

من أسباب من هٰذه التَّداخلات والتَّناقضات أنَّ الإسلاموفوبيين يقومون بالضَّخِّ المتزايد المستمرِّ المتواصل للأخبار والأحداث والحوادث والمعلومات التي تشوِّه الإسلام لكي يبقى كرهُ الإسلام والخوف منه في عقول الغربيين علىٰ نحوٍ متواصلٍ غير منقطعٍ، ولأنَّ الأخبار والمعلومات مناقضةٌ أو مخالفةٌ للحقيقة فلا بُدَّ من التَّضارب والتَّناقض، ولأنَّ الذي يعنيهم هو الهدف فإنَّ المنهج يتغيَّر حسب الحال والأسلوب يختلف حسب الظرف والأدوات تتباين من وقتٍ إلىٰ وقتٍ والنَّتائج لا تكون حسب المرتجى بالضَّرورة. يعني أنَّهُ يوجد هدفٌ ثابتٌ، وكلُّ المناهج والطرق والأدوات والأساليب والسبل موجودةٌ مهما بلغت من تناقضٍ أو اختلافٍ لأنَّ المبدأ الوحيد الثَّابت هو الغاية تبرر الوسيلة؛ الغاية واحدة ولا تسأل عن السبل. وواضحٌ لكثيرٍ من المتابعين مدىٰ ما يتخبَّط به الغرب في التَّعامل مع فوبيا الإسلام وتصعيدها بَيْنَ الحين ضمن تراكمٍ من التَّناقضات الصَّارخة والازدواجيَّة المفرطة، ولهذا ما يعكس بوضوح مسألةً مهمَّةً تستحقُّ تسليط الضَّوء عليها وهي الأبعاد التَّضليلية لتصعيد فوبيا الإسلام في الإعلام الغربي وفي الخطاب الإعلامي وفي السِّياسة الغربيَّة ذاتها.

مسألةٌ أُخْرَىٰ مهمَّةٌ في هٰذا الإطار تستحقُّ تسليط الضَّوء عليها وهي الأبعاد التأسيسيَّة لهٰذا الاصطلاح باستعارة اصطلاح الفوبيا وإلباسة لسياسة الإخافة من الإسلام، حَتَّىٰ يصير حالةً مَرَضيَّةً عقديَّة لدىٰ أبناء المجتمع الغربي، مثل العقد النَّفسيَّة التي يُستخدم لها اصطلاح الفوبيا، من تطويعهم للاستجابة لسياسة التَّخويف من الإسلام والمسلمين وما تتشعَّب إليه مقاصد هٰذه السِّياسة من مضامين متنوِّعة تمتدُّ إلىٰ المسلمين أنفسهم في أوروبا وفي العالم الإسلامي علىٰ حدٍّ سواء.

الإسلاموفوبيا! تعني الخوف المرضي من الإسلام. لماذا هٰذا الخوف؟

كي يبرروا ذٰلكَ ينطلقون من سؤال: لماذا يكرهوننا؟

وهناك في السِّياق اتهامات لا حصر لها عدداً للإسلام والمسلمين وإلصاق كل أنواع التهم الباطلة بهما افتراءا وتزويرا مما سنأتي علىٰ نماذج منه في فصول الكتاب.

السُّؤال الجدير بالطرح هنا: هل هٰذا السُّؤال صحيح، هل يكرههم المسلمون فعلاً؟

هم يقرِّرون عن المسلمين أنَّ المسلمين يكرهونهم، ويقررون عن المسلمين أن المسلمين يريدون قتلهم. ولٰكنَّ الواقع أنَّهُم هم من يكره المسلمين فعلاً، وهم من يقتل المسلمين فعلاً... ليس اليوم وإنما عبر التاريخ كله، ولا يمكن أن تجوز المقارنة بَيْنَ جرائمهم بحق المسلمين وجرائم المسلمين بحقهم إذا كان ما فعله المسلمون بهم جرائم أصلاً. وهم الذين يشهدون هٰذه الشهادات قبل أن تخرج من أفواهنا. حسبنا قول المؤرخ **جوستاف لوبون** قبل نحو مئة سنة: لم يعرف التاريخ فاتحاً/ غازياً أرحم من المسلمين. ولا نطيل في الشَّواهد فهي كثيرةٌ ومنها

ما هو مدرج في هٰذا الكتاب وكثير غيرها يمكن الرجوع إليها بسهولة اليوم بفضل الإنترنت.

الشَّواهد من قبيل قول **لوبون** جدُّ كثيرة في سياقها، وأكثر منها علىٰ لسان الغربيين في فضح كذبة الإرهاب الإسلامي والشَّيطانيَّة الإسلاميَّة وغير ذٰلكَ، وأكثر من ذٰلكَ بما لا يعد ولا يحصى من الممارسات التَّشويهية والتَّضليلة والفبركة والتَّزوير ضدَّ الإسلام، ولا تقل عنها الممارسات الغربية التي سيعرض هٰذا الكتاب لبعض منها عيناتٍ ونماذج وشواهد.

علىٰ أيِّ حالٍ، الموضوع طويل جدًّا بشواهده وأكبر مما يتخيله الكثيرون حَتَّىٰ المتابعون منهم. ولٰكنَّهُ يتركز في جملة من الأفكار أو المحاور التي قد يختلف الباحثون فيها، ولٰكنَّهُم بالتأكيد سيتَّفقون في الأفكار الرئَّيسة التي يمكن تناول حملة الإسلاموفوبيا من خلالها فمهما تنوَّعت الرُّؤى واختلفت فإنها ستقف عند أهداف الحملة وأدواتها وتاريخيتها ونتائجها سواء بهٰذه المسميَّات أو بغيرها أو كلها أوب بعضها، وهٰذه المحاور الأربعة هي محاور الكتاب وفصوله

الفَصْل الأوَّل

أهداف الإسلاموفوبيا

النَّـاظر إلىٰ أهـداف فوبيـا الإسـلام الـتي سـنقدِّمها يحسـب أنَّهـا حبكـةٌ روائيَّـةٌ أو مسـرحيَّةٌ ورُبَّمـا يحسـب بعـضٌ أنَّهـا فيهـا مبالغـةٌ. رُبَّمـا يصـحُّ ذٰلـكَ لـو أنَّ حملـة فوبيـا الإسـلام ظهـرت فقـط في السَّـنوات الأخـيرة، أو أنَّهـا ظهـرت فجـأةً مـن دون مقـدِّمات، أو أنَّهـا ظهـرت ردَّة فعـلٍ علـىٰ أحداثٍ طارئةٍ مؤخَّراً...

إذا علمنا أنَّ الإسلاموفوبيا حملةٌ قديمةٌ، وقدمها أبعد مما يتخيَّل الكثيرون جدًّا أو حَتَّىٰ أبعد مما يمكن أن يصدِّقوه... فهٰذا يعني أنَّ لكلِّ مرحلةٍ أهدافها وإن كانت الأهداف عامَّةً في جوهرها هي ذاتها عبر تاريخها.

حقيقة أنَّ أهداف الإسلاموفوبيا ثابتةٌ أو هي ذاتها عبر تاريخها الطَّويل يؤدِّي إلىٰ حقيقةٍ واحدةٍ ثابتةٍ هي أنَّ حملة الإسلاموفوبيا حملةٌ عقائديَّةٌ وليست كما يزعمون أو يروِّجون حالةً نفسيَّةً ولا اجتماعيَّةً ولا سياسيَّةً ولا اقتصاديَّةً ولا أخلاقيَّةً ولا حَتَّىٰ ردَّ فعل علىٰ وقائع معيَّنةٍ بحالٍ من الأحوال.

أن تكون الإسلاموفوبيا ناجمةً عن أيِّ سببٍ من الأسباب السَّابقة، ما عدا كونها عقيدةً عمياء صمَّاء، يعني إمكان التَّغيُّرِ والتَّبدُّلِ مع التَّاريخ أو مع تغيُّر المعطيات أو الظُّروف، يعني إمكان الانقلاب والعكس، يعني في أسوأ الأحوال انخفاضاً في الحدَّة، تغيراً في طبيعة الأهداف، انتفاءً لبعضها... ولٰكن أن تظلَّ ثابتةً كما هي ورُبَّما بالطَّريقة والحدَّة ذاتها عبر مئات السِّنين من دون انقطاع أو

فتور فهٰذا يؤكِّدُ أنَّ حملة الإسلاموفوبيا أبعد ما تكون عن أن تكون فعلاً حالةً نفسيَّةً أو ضغوطاً اقتصاديَّة أو مخاوف سياسيَّة أو تقلبات اجتماعيَّة... أو غير ذٰلكَ مما يسير في مجراها. وهٰذا مابيَّناه في بحث مستقل ليس مطوَّلاً لأنَّهُ لا يهدف إلىٰ الإحصاء بقدر ما يهدف إلىٰ التبيان[١].

نحن أمام سبعة أهداف متكاملةٍ متداخلةٍ تكاد تكون أوجهاً متشابهة لعمليَّةٍ واحدةٍ. ولا غرو في ذٰلكَ لأنَّهَا في مجملها هي الهدف المشترك الذي يشبه المحور الذي تستمدُّ منه هويتها وطبيعتها. صحيحٌ أنَّها فيما سيبدو من مسمَّياتها ومضامينها أهدافٌ مستقلَّةٌ ومتمايزةٌ إلا أنَّها في حقيقة الأمر تمثل أوجه موشورٍ تعكس المرئيَّ حسب زاوية النَّظر أو النَّاظر... ولذٰلك مع احتواء الموضوع والأهداف ستجد أنَّها هدف واحدٌ أو تخدم هدفاً واحداً... بما يؤكِّد من جديدٍ حقيقةَ أنَّ الإسلاموفوبيا حربٌ لا خوف.

أولاً: شيطنة الإسلام

سنبين بعد قليلٍ كيف أن فوبيا الإسلام حملةٌ سياسيَّة ممنهجةٌ ومدروسةٌ وليست ظاهرةً اجتماعيَّة ولا حالةً مرضيَّةً نفسيَّةً كما يوحي ظاهر الاصطلاح والحال. ولنقف هنا عند أهداف هٰذه الحملة وغاياتها.

شيطنة الإسلام والمسلمين هي الهدف العام والغاية العريضة لحملة فوبيا الإسلام التي تتكون كما يبدو واضحاً من خلال طريقين غير متفاصلين وكلاهما بارز بوضوح أولهما الممارسة السِّياسيَّة والإعلاميَّة والأمنيَّة من خلال مؤسسات الدول الغربيَّة كما سنبين بعد قليل، وثانيهما من خلال الممارسة الاجتماعيَّة

[١] . هٰذا موضوع بحث مستقل كتبناه تحت عنوان: مأسسة الإسلاموفوبيا وتاريخيتها، وهو الفصل الثالث من هٰذا الكتاب.

المتمثلة بما يسمى اليمن المتطرف والسُّلوكات الاجتماعيَّة الجمعيَّة غير المنظمة ظاهريًّا، التي تأتي نتيجة للضخ السياسي والإعلامي واستغلال أحداث معينة علىٰ السَّاحة الغربيَّة وغيرها.

هٰذا الضَّخ الإعلامي مقصودٌ ممنهجٌ مبرمجٌ متعمَّدٌ وليس مصادفةً ولا نتيجة الأحداث السَّائدة كما يحاولون إيهامنا وإيهام الجمهور الأوروبي الذي يمكن القول إنَّهُ لا ينتظر أساساً مثل هٰذه الحملات، وهٰذا بشهادات أهلهم وليس بظننا ولا بتحليلنا وهو صحيح، وعلىٰ سبيل المثال فقد «أدان الكاتب الصحافي الشَّهير **إيدوي بلينال** في كتابه (من أجل المسلمين[٢]) المثقفين الفرنسيين الذين، تحت وطأة خلفيات أيدولوجيَّة عنصريَّة، **يخلطون عمداً** بَيْنَ الإسلام والإرهاب والعنف»[٣].

البرمجة المقصودة الممنهجة واضحة غير قابلة للإخفاء. المفكر المسيحي العربي الأمريكي **جيمس زغبي** رئيس المركز العربي الأمريكي يصف الكيفيَّة: «اعتمدت هٰذه الحملة علىٰ المخاوف الناشئة من هجمات ١١ سبتمبر والجهل المسبق بالعرب والإسلام. وفي البداية يطرحون سؤال (لماذا يكرهوننا؟) ثمَّ يندفعون لتقديم إجاباتهم مثل (لأنَّ الإسلام دين عنف) أو لأن (العرب يكرهون)»[٤]. ويعود ليؤكد حقيقة أنَّها حملة منظمة في أكثر من موقع من المقال الذي بدا من عنوانه أنَّهُ لتبيان هٰذه الحقيقة.

---

[٢] . صدر عن دار لاديكوفرت بفرنسا في أيلول/ سبتمبر ٢٠١٤م.

[٣] . بوعلام رمضاني: **إيدوي بلينال في كتابه من أجل المسلمين** . الجزيرة نت . السبت ١٤٣٥/١٢/٣ هـ – الموافق ٢٠١٤/٩/٢٧م.

[٤] . جيمس زغبي: **حملة منسقة ومتعصبة** . جريدة الشرق الأوسط . لندن . العدد ٩٠٢٩ . الاثنين ٢٠ جمادى الآخرة الموافق لـ ١٨ آب/ أغسطس ٢٠٠٣م.

وحسب دراسة في عام ٢٠٠٥م للدكتور **سيد مرعي**، الأستاذ بكليَّة التربية بجامعة الأزهر هناك أكثر من عشرة آلاف موقع مخصصة لتشويه الإسلام والإساءة له، فهناك «مواقع متخصصة في سب وقذف الإسلام **والرسول محمد** صلى الله عليه وسلم، ومواقع متخصصة في تشويه صورة الصحابة والسنة النبويَّة، ومواقع أخرى تخصصت في تأليف سور تحاكي في كلماتها ولغتها آيات القرآن الكريم، وهناك مواقع فنيَّة سمَّاها بالقذرة تأتي بآيات قرآنيَّة مكتوبة بخطوط عربيَّة معروفة علىٰ شكل خنزير أو كلب أو أيِّ حيوانٍ آخر»[٥].

واضحٌ لهم ولنا أنَّهُم يشيطنون الإسلام والمسلمين، وواضحٌ لنا أنَّهُ لا يمكن شيطنة الإسلام من دون شيطنة المسلمين ولا يمكن شيطنة المسلمين من دون شيطنة الإسلام. شيطنة المسلمين أمرٌ سهل غير مربك ولا محرج ولٰكنَّ شيطنة الإسلام أمر مربك ومحرج. ولذٰلك فإنَّ الخطاب الإعلامي الغربي يركز في بعض الأحيان علىٰ تنزيه الإسلام ظاهراً وإقصائه من الخطاب التَّشويهي، والتركيز علىٰ شيطنة مسلمين والمسلمين؛ ضربة علىٰ الحافر وأُخْرَىٰ علىٰ النافر كما يقول المثل الشَّائع. والأمثلة علىٰ ذٰلكَ جدُّ كثيرة نستشهد بمثالين أولاً لإظهار الحرص علىٰ الإسلام:

أولهما نجده في **أفيخاي أدرعي** الناطق باسم الجيش الإسرائيلي الذي راح يدافع عن الإسلام الصحيح في تغريدة له علىٰ تويتر قائلاً: «ما الفرق بَيْنَ إسلام القاعدة والنصرة وداعش وبيت المقدس والجهاد الإسلامي وحماس... هٰذه التَّنظيمات تحمل شعارات **لٰكنَّ الإسلام الصَّحيح بريء منها**»[٦]. طرافة غير

---

[٥] . قدس برس: **آلاف المواقع لمهاجمة الإسلام** . موقع دنيا الوطن . غزة . ٤/ ١٠/ ٢٠٠٥م.

[٦] . أفيخاي أدرعي الناطق باسم الجيش الإسرائيلي في تغريدات متتالية له علىٰ تويتر في ١٨ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٤م.

مسبوقة، لم يبق في الإسلام من يفهم الإسلام حَتَّىٰ يأتي **أفيخاي أدرعي** ويحدد لهم الإسلام الصحيح وغير الصحيح!!!

الكاتبة الإيطاليَّة الأمريكيَّة **أوريانا فالاتشي**[٧] كانت أكثر وضوحاً ومباشرة فدخلت في الطعن في الإسلام والإسلام معاً ورفضت التمييز بَيْنَ إسلام جيد وإسلام سيء، قالت: «التَّفكير بوجود إسلام جيِّد وإسلام سيئ غير معقول»[٨]، ولهذا يعني أنَّ التَّصريحات المنتشرة اليوم من الروس والأمريكان والإيرانيون وأضرابهم بأنَّهُ لا مجال للتمييز بَيْنَ إسلامي جيد وإسلامي سيء فكلهم إرهابيون، كلهم تكفيريون، بل لا عجب أن نردها إلىٰ «تشابهة علينا البقر».

ثانيهما الناطق باسم الفاتيكان الذي يعلن مخاوفه علىٰ الإسلام والمسلمين من داعش، فقد قال لصحيفة لوسور فاتوري رمانو الناطقة باسم الڤاتيكان «إن هناك قناعة متزايدة لدى بابا الفاتيكان بأنَّ تنظيم داعش ورغم دعايته ضد الغرب واليهود إلا أنَّهُ يمثل تهديداً حقيقيًّا للإسلام والمسلمين علىٰ وجه الخصوص»[٩].

لهذا **البابا** ذاته اتهم شيطن الإسلام ذاته قبل سنواتٍ قليلةٍ بما يؤكِّد أنَّ شيطنة الإسلام ليست مصادفة وإنما إرادة، إصرار مسبق وتصميم مسبق وتخطيط

---

[٧] . أوريانا فالاتشي كاتبة أمريكية إيطالية الأصل عمرها حينها ٧٥ عاماً، تعيش في نيويورك، وقد أصدرت العديد من الكتب منذ هجمات ١١ سبتمبر/أيلول من مثل "الغضب والكبرياء" انتقدت فيها الإسلام وأيدت تفوق الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية.

[٨] . أوريانا فالاتشي في كتابها: قوة عقل . نقلا عن: وكالات: **قاض إيطالي يأمر بمحاكمة الكاتبة فالاتشي بتهمة إهانة الإسلام** . الجزيرة نت . الأربعاء ١٤٢٦/٤/١٦ هـ – الموافق٢٠٠٥/٥/٢٥م.

[٩] .كان ذَلكَ في عددها الصادر في منتصف آذار/ مارس عام ٢٠١٥م. وقد تداولته مختلف وسائل الإعلام العالمية في ذَلكَ الحين.

مسبق، تتبناه وترعاه أعلى المؤسَّسات الدينيَّة والسِّياسيَّة والفكريَّة والإعلاميَّة في العالم الغربي فالحبر الأعظم بابا الفاتيكان **بنديكت الـ١٦** ذاته وبلسانه في محاضرة عن الإيمان والعقل بألمانيا في منتصف أيلول ٢٠٠٦م «اقتبس (علىٰ أساس ناقل لا مصدر) **بنديكت السَّادس عشر** مقتطفاً من كتاب إمبراطور بيزنطي يقول فيه إنَّ **محمد** (عليه الصلاة والسلام) لم يأت إلا بما هو سيئ وغير إنساني كأمره[١٠] بنشر الإسلام بحدِّ السَّيف»[١١]. وفي حين أنَّ هٰذا **البابا** ذاته بدأ باباويته بالاعتذار لليهود علىٰ الرَّغْمِ من أنَّ اليهود هم من قتل **المسيح** باعتقادهم وهم من يجب أن يعتذر فإنَّ البابا لم يعتذر عن هٰذه الإساءة وغيرها في المحاضرة ذاتها علىٰ الرَّغْمِ من الحملات الواسعة المطالبة باعتذاره، بل حَتَّىٰ التَّوضيح الذي أصدره **الأب فيديريكو لومباردي** مدير المكتب الإعلامي التابع **لبنديكت الـ١٦** يزيد الطين بله، فقال: «إنَّ **البابا** لم (يشأ) إعطاء تفسير للإسلام يذهب في اتجاه العنف»[١٢]. فلم يصف الإسلام بالعنف واكتفى بأنَّ كل ما في الإسلام سيء! عذر أقبح من ذنب، فوصفه بالعنف ألطف بمليار مرَّةٍ من القول بأنَّ كل ما فيه سيء.

تحديد جماعات إسلاميَّة في الخطاب يظهر بوضوح كلما وصلت حدَّة خطاب شيطنة المسلمين بالمطلق إلىٰ درجةٍ فاضحةٍ فيظهر التَّركيز علىٰ شيطنة جماعات إسلاميَّة تتغيَّر بتغيُّر الزَّمان والمكان والظُّروف والمعطيات... وفي الأحوال كلِّها تظلُّ النَّتيجة هي ذاتها: شيطنة الإسلام والمسلمين. وإذا كان هناك من

---

[١٠] . علىٰ أساس أن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام هو من ألف القرآن بالاعتقاد المسيحي.

[١١] . وكالات: **البابا ينتقد الإسلام ويقتبس إساءة لنبيه** . الجزيرة نت . الخميس ٢٠٠٦/٩/١٤م..

[١٢] . وكالات: **البابا ينتقد الإسلام ويقتبس إساءة لنبيه** . الجزيرة نت . الخميس ٢٠٠٦/٩/١٤م..

يحاول الترقيع بَيْنَ الحين والحين فهٰذا الصحافي الفرنسي الشَّهير **كلود إيميير** يصرِّح بوضوح أنَّهُ يكره الدين الإسلامي ذاته بلا لفٍّ ودوارن، ففي مقاله الافتتاحي في مجلة (لو بوان) الفرنسيَّة قال مما قال من إساءات وطعن وتشويه: «يجب أن أكون صريحاً، لديَّ نفور من الإسلام، ولا يزعجني أن أقول ذٰلكَ... لدينا الحق في محاربة العنصريَّة وفي القبول بممارسةٍ هادئةٍ للإسلام[١٣]، ولي الحق وهناك غيري في هٰذا البلد يفكرون مثلي بأن أقول إنَّ الإسلام لا الإسلاميين يحمل مجموعة من الحماقات والتَّقاليد القديمة المختلفة»[١٤].

والأمثلة علىٰ ذٰلكَ كثيرة جدًّا منذ سنوات غير قليلةٍ إلىٰ الآن، أبرزها الآن تواثب مرشح الرئاسة الأمريكيَّة **رونالد ترامب** بَيْنَ شيطنة الإسلام وشيطنة المهاجرين المسلمين وشيطنة جماعات إسلاميَّة... حسب ردود الأفعال تتغير وتيرة الخطاب. وإذا راجعنا الصحافة الغربيَّة عبر السنوات العشر الأخيرة فقط وجدناً من مثل هٰذه الذبذبات كثيراً وكثيراً جدًّا حَتَّىٰ يصعب الحصر.

الغاية الأساسيَّة إذن شيطنة الإسلام ذاته، شيطنة الدين الإسلامي، وإذا كنا نجد بَيْنَ الحين والحين بعض اللف والدوران أو الحرج أمام ظرف ما فإنهم كلهم أنفسهم يتوجهون بالشيطنة إلىٰ الإسلام ذاته مباشرة من دون لف أو دوران. في أوائل ٢٠٠٩م طرح **فيليب ديونتر** زعيم الحزب اليميني البلجيكي كتاباً بعنوان: (إن شاء الله) خصَّصه لشيطنة الإسلام ومما قاله فيه: «لا يوجد سوى إسلامٍ واحدٍ يدعو إلىٰ العنصريَّة والتَّمييز والقتل، خاصة قتل المرتدين عن

---

[١٣] . الممارسة الهادئة للإسلام هي الإسلام المعتدل أي الإسلام الخالي من الإسلام.

[١٤] . وكالة الأنباء الفرنسية: **صحفي فرنسي يجاهر بازدرائه للإسلام** . الجزيرة نت . السبت ١٤٢٤/٨/٢٩هـ الموافق ٢٠٠٣/١٠/٢٥م.

الإسلام... والمرأة مضطهدة في الإسلام... الإسلام عقيدةٌ خطيرةٌ... والقرآن يعطي تصريحاً ورخصةً بالقتل»[١٥]. أما قوله «قتل خاصَّة المرتدين عن الإسلام فليس حبًّا بالمسلمين ولا حرصاً عليه كما يظنُّ القارئ وإنَّمَا تحذير للأوروبيين من دخول الإسلام لأن مصيرهم سيكون القتل إذا غيروا رأيهم. ولهذا تحديداً وتر يلعب عليه الأوروبيون كثيراً لمعرفتهم بالعقليَّة الأوروبيَّة المبنيَّة علىٰ حريَّة تغيير المعتقد. والكاتب يعلن صراحة أنَّهُ يحذر الغربيين من دخول الإسلام.

ومع اللفتنانت جنرال **وليم بويكن** نائب وكيل وزارة الدِّفاع لشؤون المخابرات نحن أمام طرافةٍ مضحكةٍ فقد وصف معركة أمريكا مع المسلمين «بأنَّهَا معركة مع الشيطان»[١٦]، لنقف مع شيطنة الإسلام وجهاً لوجه وعلىٰ نحوٍ صريحٍ ومباشرٍ. وجه الطرافة المضحكة في الموضوع أنَّ أمريكا أكبر داعم لعبدة الشيطان في العالم، وأكبر مدافع عنهم كما بدا في عام ٢٠١٥م بوضوح لا لبس فيه. هٰذا وجه من أوجه الإدهاش، ولٰكنَّ الوجه الأكثر إدهاشاً أنَّ الغرب يرحب بعبادة الشيطان ولا يعترض عليها إلا عندما يتم اتهام المسلمين بعبادة الشَّيطان أو أنَّهُم الشَّيطان فإنَّ الشَّيطان يصبح شيطاناً آخر وتجب محاربته ومحاربتهم لأنهم متهمون زوراً به!!! وزير الدفاع الأمريكي **دونالد رامسفيلد** أنكر وقال إنَّهُ لم يسمع بها، يعني طالما أنَّهُ لم يسمع بها فهي غير صحيحةٍ أو غير موجودةٍ، يعني أغمض عينيك وقل الشمس غير موجودة وصدِّق نفسك وافرض

---

[١٥] . محمود سلطان: **الخوف من أسلمة أوروبا.. مجدداً!** . موقع الإسلام؛ حركة التوحيد والإصلاح . الأربعاء، ٠٤ آذار/مارس ٢٠٠٩م. وهو منشور في أكثر من موقع إلكتروني منها مثلاً: المسلم أون لاين، المختصر، وغيرهما.

[١٦] . وكالة الأنباء الفرنسية: **مسؤول أميركي؛ المسلمون يعبدون صنماً وسنهزمهم** . الجزيرة نت . السبت ١٤٢٤/٨/٢٢هـ الموافق ٢٠٠٣/١٠/١٨م.

علىٰ الآخرين أن يصدقوك! وقال رئيس هيئة أركان الجيوش الأمريكيَّة الجنرال **ريتشارد مايرز** «لا يبدو أنَّ هناك انتهاكاً لأيِّ قواعد عسكريَّة في تصريحات الجنرال **بويكن**»[١٧]. مثله في ذٰلكَ مثل وزير دفاعه **رامسفيلد**؛ طالما لا ينتهك القوانين العسكريَّة فهو جيد، بينما الجندي المسلم الذي يطيل لحيته يصبح إرهابيًّا!!

وحَتَّىٰ هٰذا اليوم ما زالت النَّغمة ذاتها تتكرر علىٰ لسان كبار المسؤولين والمؤسسات الرسميَّة الغربيَّة ذاتها. ففي تقرير نشره موقع الخارجيَّة البريطانيَّة قالت وزيرة العدل البريطانيَّة: «التَّطرف الإسلامي يشكِّل خطراً علىٰ المجتمع وتهديداً للأمن العام»[١٨]. ولم يعد بخاف أنَّ المقصود بالتطرف الإسلامي هو الإسلام، هو المسلمين كلا وليس عمل شخص من الأشخاص...

والذين يقومون بهٰذه الشَّيطنة أفرادٌ ومؤسساتٌ كما سنبين أكثر لاحقاً، وقد أفرد الدكتور **سيد مرعي** جزءاً من بحثه للمواقع التي سماها عنصريَّة وهي «المواقع التي تتهم المسلمين بالإرهاب، والإسلام بالدَّمويَّة والعنصريَّة، وتلصق الاتهامات الباطلة بالمسلمين في كل مكان وزمان»[١٩].

ووصل الأمر إلىٰ تحميل المسلمين مسؤوليَّة المشكلات الاقتصاديَّة والسياسيَّة ورُبَّما الاجتماعيَّة والنفسيَّة والتربويَّة والكوسموبولتيَّة وهٰذه فكرة يكِّذبها

---

[١٧] . لم يعتذر بويكن ولم تتم إقالته ولا معاتبه، بل إنه على الرغم من هذا الوضوح وعلى الرغم من سلسلة تصريحات وإساءات لا تقل عن هذه الإساءة أعلن أنه ليس متعصباً ولا متطرفاً ضد الإسلام ولا معادياً له... إذا كان كل هذا اعتدال فكيف إذا تطرف؟!

[١٨] . نقلاً عن موقع الخارجية البريطانية على موقع تويتر . تغريدة في يوم السبت ٢٧/ ٨/ ٢٠١٦م.

[١٩] . قدس برس: **آلاف المواقع لمهاجمة الإسلام** . موقع دنيا الوطن . غزة . ٤/ ١٠/ ٢٠٠٥م.

الغربيون أنفسهم ويدحضونها كما فعل الكاتب الفرنسي **إيدوي بلينال**[٢٠] مثلاً إذ دحض فكرة أنَّ «الفرنسيين المسلمين أصبحوا يمثلون مشكلة خطيرة كما يروج أغلب المثقفين الفرنسيين. كما فضح عدم صحة ربط الإسلام بمشكلات فرنسا»[٢١].

حسناً، السُّؤال الذي يفرض ذاته بقوة هنا هو: لماذا شيطنة الإسلام؟

وسنلحقه بسؤال مركب آخر: هل يستحقُّ الإسلام هٰذه الشَّيطنة؟ هل هو شنيع كل هٰذه الشَّناعة الاستثنائيَّة فعلاً كما يصورون؟

هٰذا ما سيكون من موضوعات ما سيأتي من البحث.

ثانياً: محاربة أسلمة أوروبا

الخوف من أسلمة أوروبا ومحاربة أسلمة أوروبا هو كلمة السِّر الحقيقيَّة لفهم الإسلاموفوبيا. هي نقطة انطلاقها ونتيجتها في آنٍ واحدٍ، منذ مئات السنين وإلىٰ اليوم، وكل ما عدا ذَلكَ تفاصيل تدور في فلكها، كل ما يقال عن صراع مصالحٍ وتنافسٍ اقتصاديٍّ أو سياسيٍّ ليس إلا تنويعاتٍ علىٰ نغم الخوف من أسلمة أوروبا. بل إنَّ الحقيقة التي يمكن إعلانها بجرأةٍ ومن دون تردُّد هي أنَّ صراع المصالح الاقتصاديَّة وحماية المصالح الاقتصاديَّة والسِّياسيَّة ليس إلا غطاء علىٰ حقيقة هٰذه الحرب المتمثلة في الحرب علىٰ الإسلام.

الحرب علىٰ الإسلام صورة الحرب الروح العدوانيَّة الغربيَّة علىٰ الشرق بعد الإسلام لأن ما يحدث من عدوانيَّة غربيَّة تجاه الإسلام منذ ظهوره وانتشاره يمكن

---

[٢٠] . إيدوي بلينال صحافي وكاتب فرنسي شغل منصب رئيس تحرير صحيفة لوموند الفرنسية، ثم استقال وأسس موقع ميديا بارت المستقل، وكشف عن العديد من الفضائح السياسية التي هزت الساحة الفرنسية.

[٢١] . بوعلام رمضاني: **إيدوي بلينال في كتابه من أجل المسلمين** . مصدر سابق.

سحبه علىٰ ما قبل الإسلام بذرائع ما قبل الإسلام. وهٰذه مسألة أُخْرَىٰ وقفنا عندها نسبيًّا في كتابنا انهيار مزاعم العولمة[٢٢].

الخوف من أسلمة أوروبا بدأ واضحاً، علىٰ الأقل، مع فتح الأندلس ومعركة بلاط الشُّهداء/ بواتييه سنة ٧٦٢م، وتعزّز مع الحصار العثماني لعاصمة النمسا ڤيينا بداية عام ١٥٢٩م ثمَّ عام ١٥٣٢م ثمَّ عام ١٦٨٣م ومنذ ذٰلكَ الحين لم يتوقَّف هٰذا الهاجس حَتَّىٰ في ذرى السَّطوة الغربيَّة والاستعمار الغربي كما بدا تاريخيًّا وكما سيبدو في بعض الشَّواهد في هٰذا البحث. وهٰذا يعني أنَّ ما نتابعه اليوم ليس وليد مصادفةٍ ولا رد فعل علىٰ عمليَّة (إرهابيَّة) ولا من تزايد المهاجرين كما يحاول الكثيرون القول وكما سيبدو من الشَّواهد التَّالية في هٰذا الفصل وحَتَّىٰ غيره.

النَّاشط اليساري **دانيال كون ـ بنديت**، الذي انتخب نائبًا أوروبيًّا عن الخضر في ألمانيا ثُمَّ في فرنسا يعلن بما يشبه الكشف عن جوهر المشكلة أنَّ المشكلة الحقيقيَّة هي الخوف من تحوُّل الأوروبيين إلىٰ الإسلام، قال: «في أوروبا عموماً، يتزايد الخوف من الأسلمة»[٢٣]، قال ذٰلكَ معلقاً علىٰ تظاهرات في ألمانيا لحركة أوروبيون وطنيون ضدَّ أسلمة الغرب (بيچيدا).

بل من العجب أن كثيراً من المسلمين يُرجعون الإسلاموفوبيا إلىٰ الأحداث الأخيرة عقب الرَّبيع العربي، وهٰذا أمرٌ لا يستحقُّ عناء الدَّحض لوضوح تهافته، وعلىٰ أيِّ حالٍ مثلاً قبل الربيع العربي كان الاستفتاء في سويسرا حول بناء

---

[٢٢] ـ الدكتور عزت السيد أحمد: **انهيار مزاعم العولمة** ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ ٢٠٠٠م.

[٢٣] ـ متابعات: **أسلمة الغرب... العقدة الأوروبية الجديدة** ـ موقع إيلاف ـ الخميس ٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٥م.

المساجد مثيراً للرُّعب من شدَّة الرَّفض والمخاوف «من سيطرة الإسلام علىٰ القارة الأوروبيَّة»[٢٤]. النُّكتة الطَّريفة هي أنَّ «عدداً كبيراً من النَّاس في ألمانيا وهولندا وبريطانيا وكذَلكَ في فرنسا عبَّروا عن استيائهم من نتائج الاستفتاء»[٢٥]، في حين أن نتائج استفتاءات مماثلة في هٰذه البلدان لم تختلف أبداً قبل ذَلكَ وبعده.

الأوروبيون أنفسهم يعلنون ذَلكَ؛ الموضوعيون منهم والحاقدون. وإذا نظرنا إلىٰ الموضوع من هٰذه الزَّاوية تنهار كل المزاعم والادعاءات والافتراءات ضدَّ الإسلام والمسلمين. وبهٰذا المعنى تقريباً أشار **ميكائيل بريفو**[٢٦] للجزيرة نت إلىٰ أنَّ «جلَّ القوانين التَّمييزيَّة مستوحاةٌ من الخوف من الإسلام»[٢٧].

ينظر الأوروبيون، بعيداً عن السِّياق التَّاريخي، إلىٰ خريطة مستقبل أوروبا من أكثر من زاوية منها تزايد المسلمين بغضِّ النَّظر عن دخول الأوروبيين إلىٰ الإسلام، دراساتٍ كثيرةٍ تكشف «أنَّ ٥٠% من المسلمين في غرب أوروبا اليوم مولودون في هٰذه الدُّول الأوروبيَّة، والأكثر أهميَّة من ذَلكَ تزايد نسبة المواليد في صفوف المسلمين اليوم أكثر ثلاث مرات من معدل المواليد بَيْنَ غير المسلمين، وهو ما سيساهم في تزايد

[٢٤] . بيتر فيليب وعبد الحي العلمي: **لماذا الخوف من الاسلام في أوروبا؟** . مراجعة سمير كرم . موقع DW الألماني . الأربعاء ٩ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٩م.

[٢٥] . المصدر السابق . ذاته.

[٢٦] . رئيس المنتدى الأول لانتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا في بروكسل.

[٢٧] . لبيب فهمي: **المنتدى الأول لانتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا في بروكسل** . الجزيرة نت . الاثنين ١٤٣٦/٢/٢٢ هـ – الموافق ٢٠١٤/١٢/١٥م.

عـدد المسـلمين في أوروبـا»[٢٨]... نـاهيكم عـن الامتـدادات التَّخيُّليَّـة لهٰـذا التَّوقُّع وما يرافقها من صور الهلع والرُّعب المصطنعة.

ومن هٰذه الامتدادات التَّخيليَّة ما يرسمونه من سيناريوهاتٍ هوليوديَّةٍ مدهشةٍ لكيفيَّات الأسلمة مثل «سيناريو أسلمة المدارس في برمنچهام البريطانيَّة»[٢٩] التي توقف شعر **شارلوك هولمز** وتدفعه للانتحار، ومنها سيناريو «الكاتب الفرنسي **رينو كامو** الذي لوح بمخاطر هجرة كبرى تؤدِّي إلىٰ هيمنة المسلمين علىٰ القارة العجوز»[٣٠]. ورواية الأديب الفرنسي **ميشال ويلبيك** (استسلام)، «الذي يروي أحداثًا تبدأ في العام ٢٠٢٢م مع انتهاء الولاية الرِّئاسيَّة الثَّانية للرَّئيس الاشتراكي **فرنسوا هولاند** مع فرنسا مشرذمة ومنقسمة علىٰ نفسها، مع فوز **محمد بن عباس** زعيم حزب (الأخويَّة الإسلاميَّة) (من ابتكار المؤلف) علىٰ زعيمة الجبهة الوطنيَّة **مارين لوبن** في الدَّورة الثَّانية من الانتخابات الرِّئاسيَّة، بعد حصوله علىٰ دعم أحزاب يساريَّة ويمينيَّة علىٰ السَّواء»[٣١]. «وتصبح السُّوربون جامعة إسلاميَّة، عميدها متزوج من ثلاث نساء إحداهن مراهقة، ويعمل بها أساتذةٌ مسلمون فقط، بينما يحال غير

---

[٢٨] . تيموثي سافيج: **أوروبا والإسلام؛ الهلال المتنامي وصدام الثقافات** . ترجمة الموقع . موقع إخوان أون لاين . الاثنين ٢٠٠٤/٠٨/١٩م. البحث منشور في: (The Washington quarterly. No Summer 2004).

[٢٩] . بوابة الحركات الإسلامية: **مخاوف من أسلمة أوربا واستعدادات فرنسية وبريطانية للمواجهة** . موقع بوابة الحركات الإسلامية؛ نافذة لدراسة الإسلام السياسي والأقليات . الأربعاء ٢٣تموز/يوليو ٢٠١٤م.

[٣٠] . متابعات: **أسلمة الغرب... العقدة الأوروبية الجديدة** . موقع إيلاف . الخميس ٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٥م.

[٣١] . المصدر السابق . ذاته.

المسلمين وكذلكَ النِّساء إلىٰ التَّقاعد، مع معاشات خياليَّة يوفرِّها الأمراء المسلمون أرباب الثراء...»[٣٢].

علىٰ أيِّ حالٍ، الخوف من أسلمة أوروبا، والتَّحذير من ذلكَ صَدَرَ عن كل المستويات الغربيَّة من أفراد وشخصيات أدبيه وفكريَّة وسياسيَّة ودينيَّة وحتَّىٰ المؤسسات الرَّسميَّة. مؤسَّسة الڤاتيكان ذاتها «سبق وأن أطلقت تحذيراً من تزايد هجرة المسلمين وتأثيرها في الهويَّة المسيحيَّة لأوروبا»[٣٣]. وبابا الفاتيكان **بنديكتوس** ذاته قبل ذلكَ بفترة قصيرة «في قداس أقيم بالعاصمة النِّمساويَّة، حذَّر خلاله من انحسار الهويَّة المسيحيَّة لأوروبا في ظلِّ انخفاض معدل المواليد وزيادة عدد المهاجرين المسلمين»[٣٤]. وإذا كان البابا قد أعاد الأسلمة إلىٰ العامل الإنجابي فإنَّ «السكرتير الخاص للبابا حذَّر من أسلمة أوروبا بتشديده علىٰ ضرورة عدم تجاهل الجذور المسيحيَّة للقارة»[٣٥]. أي ربط الأمر بصراع أو تنازع ديني.

نيكولا ساركوزي وهو رئيس فرنسا السابق ورُبَّما اللاحق «أشار إلىٰ سير أوروبا نحو الإسلام، وهٰذا لن يكون بَيْنَ عشيَّة وضحاها، ولٰكن مع الوقت»[٣٦]. و**فيليب دي فيلرز** أحد المرشَّحين للرِّئاسة الفرنسيَّة عام ٢٠٠٧م، المشهور

---

[٣٢] . متابعات الموقع: **فوبيا أسلمة أوروبا** . موقع بوابة الأزهر . الثلاثاء ٩ شباط/ فبراير ٢٠١٦م.

[٣٣] . محمود سلطان: **الخوف من أسلمة أوروبا.. مجدداً!** . مصدر سابق.

[٣٤] . محرر ديانات: **أسلمة أوروبا؛ حدود الوهم ومؤشرات الواقع** . موقع البيان؛ عالم واحد . ٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٨م.

[٣٥] . محرر المصدر السابق . ذاته.

[٣٦] . بوابة الحركات الإسلامية: **مخاوف من أسلمة أوربا واستعدادات فرنسية وبريطانية للمواجهة** . موقع بوابة الحركات الإسلامية؛ نافذة لدراسة الإسلام السياسي والأقليات . الأربعاء ٢٣تموز/يوليو ٢٠١٤م.

بمعاداته للإسلام «أشار في إحدى اللقاءات التي عُقدت معه إلىٰ سبب اهتمامه بالتَّصدي للإسلام، وهو أنَّهُ في خلال الفترة القادمة ستشهد فرنسا تحويل الكنائس إلىٰ مساجد إثر انتشار الإسلام»[٣٧]. والكاتبة الأمريكيَّة الإيطاليَّة الأصل **أوريانا فالاتشي** قالت في كتابها قوَّة العقل: «أوروبا أصبحت أكثر فأكثر مستعمَرة للإسلام»[٣٨].

صحيح أنَّ هناك تزايد في عدد الدَّاخلين في الإسلام، وتزايد في أعداد المهاجرين المسلمين إلا أنَّ حملة الإسلاموفوبيا حملة مغرضة أساساً، وتقوم علىٰ الضَّخِّ الإعلامي والإيهام والتَّضليل لتخويف الناس من الإسلام. «لقد ارتقى الأمر بأطروحة (الأسلمة) تلك إلىٰ تحولها إلىٰ قضيَّة رأي عامٍّ، وفي ذَلكَ فإنَّ المتابعة الدَّقيقة للإعلام الغربي بكافة روافده، تشير إلىٰ مدى انتشار هٰذا الهاجس الذي يكاد أن يشعر المرء معه بأنَّ (الأسلمة) موضوع الحديث، أصبحت قاب قوسين أو أدنى. غير أنَّ النَّظرة المتأنية للموضوع تكشف عدم صحة هٰذه النَّظرة، وأنَّهَا تقدم بشكل يتضمن قدراً كبيراً من المبالغات المتعمدة التي قد تخدم أهدافاً سياسيَّة وغيرها»[٣٩].

وفي إطار الضَّخ الإعلامي والنَّفخ في نار الإسلاموفوبيا «نشرت وسائل إعلام غربيَّة تقريراً عن الإسلام مفاده أنَّ حركات اليمين الأوروبي والمؤمنين من المسيحيين يخشون أن تتحول أوروبا إلىٰ قارَّةٍ مسلمةٍ في أقلِّ من عقدين حين

---

[٣٧] . المصدر السابق . ذاته.

[٣٨] . أوريانا فالاتشي في كتابها: قوة عقل . نقلا عن: وكالات: **قاض إيطالي يأمر بمحاكمة الكاتبة فالاتشي بتهمة إهانة الإسلام** . الجزيرة نت . الأربعاء ١٤٢٦/٤/١٦ هـ – الموافق٢٠٠٥/٥/٢٥م.

[٣٩] . محرر ديانات: **أسلمة أوروبا؛ حدود الوهم ومؤشرات الواقع** . مصدر سابق.

ستقترب نسبة المسلمين من نصف سكان القارة بحلول عام ٢٠٢٥م»[٤٠]. وقبل ذَلكَ في عام ٢٠٠٤م شنَّت بعض الصُّحف الألمانيَّة حملةً واسعةً تحت عنوان: «أنَّ حصول آلاف المسلمين على الجنسيَّة الألمانيَّة أمرٌ مخيفٌ»[٤١]. ما الذي يخيف؟

حسب وجهة نظرهم، في جانب من المشكلة، «يرى المتخوفون أنَّ مبادئ الديمقراطيَّة الغربيَّة ذاتها ستكون هي المدخل لتحول أوروبا نحو الإسلام والحكم بشريعته»[٤٢]. بل الطَّريف المضحك أن «يذهب بعض المتخوِّفين إلىٰ أبعد من ذَلكَ، معتبرين أن هناك برنامجاً ممنهجاً لأسلمة أوروبا وإعادة غزوها، وأنَّ موجات اللاجئين ما هي إلا عمليَّة غزوٍ سلميٍّ لبلاد الغرب لقلب حضارته رأسا علىٰ عقب»[٤٣].

الأمر لا يتوقَّف عند هٰذا الحدِّ، لا يتوقَّف عند التَّصريحات والتَّحذيرات والصَّيحات والتَّهويلات بل يتجاوزها إلىٰ عقد مؤتمرات تحت عنوان: ضدَّ أسلمة أوروبا/ منها مثلاً «مؤتمر مدن ضدَّ أسلمة أوروبا»[٤٤] الذي نظمه حزب (فلامز بلانج) اليميني البلجيكي في أوائل عام ٢٠٠٨م في مدينة أنتويرب البلجيكيَّة. وفي هٰذا المؤتمر «تمَّ الإعلان عن تدشين أوَّل تحالفٍ غربيٍّ يعارض ما يسمونه بـ"أسلمة أوروبا" ضمَّ عدداً من الأحزاب والمنظمات»[٤٥]. ومن الطَّبيعي أن يركِّز

---

[٤٠] . عاطف محمد: **أوربة الإسلام أم أسلمة أوروبا؟** . الجزيرة نت . الأحد ١٤٣٠/٩/١٦ هـ – الموافق ٢٠٠٩/٩/٦م.

[٤١] . تيموثي سافيج: **أوروبا والإسلام؛ الهلال المتنامي وصدام الثقافات** . مصدر سابق.

[٤٢] . متابعات الموقع: **فوبيا أسلمة أوروبا** . موقع بوابة الأزهر . الثلاثاء ٩ شباط/ فبراير ٢٠١٦م.

[٤٣] . المصدر السابق . ذاته.

[٤٤] . محمود سلطان: **الخوف من أسلمة أوروبا.. مجدداً!** . مصدر سابق.

[٤٥] . المصدر السابق . ذاته.

المؤتمر علىٰ «مناهضة انتشار المساجد في أوروبا»[٤٦]... علىٰ أنَّ ما يجب توضيحه هنا هو أنَّ هٰذه المؤتمرات من هٰذه الطَّبيعة ليست جديدة وإنما ترجع إلىٰ عشرات السَّنين إلىٰ الوراء حَتَّىٰ يصعب البتُّ في بدايتها، أشهرها مؤتمرات تقسيم الأمَّة الإسلاميَّة قبل الحرب العالميَّة الأولى وبعدها، منها **كامبل بنرمان** ١٩٠٥ . ١٩٠٧م، **سايكس بيكو** ١٩١٦م، **سان ريمون** ١٩٢٠م، وعد بلفور ١٩١٧م وبعدها مؤتمرات لم تنتهي إلىٰ الآن.

إنَّ الخوف من الأسلمة هو خوف من امتداد الإسلام بصريح مخاوفهم وليس لأنَّ الإسلام سيء كما يزعمون، وحسب كثير من المثقفين الغربيين «فإنَّ المجابهات الحالية، تتمحور في سياق مجابهة التَّمدد الرَّمزي للإسلام»[٤٧]. وفي هٰذا السِّياق، في مطالع عام ٢٠١٢م إثر الكشف عن نتائج تقريرها الذي يؤكِّد تصاعد انتشار الإسلام في أوروبا بتزايد أعداد الأوروبيين الذين يدخلون الإسلام في السَّنوات العشر الأخيرة وجَّهت مؤسَّسة "IFOP" الفرنسيَّة «تحذيرًا من انتشار الإسلام في أوروبا بسبب تضاعف أعداد الأوروبيين الذين يدخلون في الإسلام»[٤٨]. ولماذا الخوف؟

من جانب آخر يجيب **دانيال بايبس**، وهو من أشد المعادين للإسلام، علىٰ هٰذا السُّؤال عندما تحدث عن أسباب أسلمة أوروبا وجد أنَّ «العقيدة الإسلاميَّة ذاتها» أوَّل العوامل أو الأسباب، وهٰذا يعني أنَّ العقيدة الإسلاميَّة

---

[٤٦] . المصدر السابق . ذاته.

[٤٧] . محمود سلطان: **الخوف من أسلمة أوروبا.. مجدداً!** . مصدر سابق.

[٤٨] . استفتاء مؤسسة "IFOP" الفرنسية التابعة للحكومة الفرنسية في معظم دول الاتحاد بعنوان «كيف يرى الأوروبيون الإسلام؟». في مطالع عام ٢٠١٢م.

جذَّابة وجيِّدة وإلا لما أمكنها أن تجذبهم. وثانيها «الديموچرافيا السُّكانيَّة»[٤٩]، أي تزايد عدد المسلمين في أوروبا العجوز التي تعاني من خلل في الهرم السكاني، وعدم الرَّغبة في الإنجاب...

هنا صارت الحقيقة تبدو أكثر وضوحاً. الخوف من الأسلمة ليس خوفاً من سيءٍ ولا من شرٍّ وإنما هو خوف دوغمائي، أعمى. لهٰذا في الجانب الثالث من جوانب لماذا الخوف. أما الجانب الرابع فهو زيف ادعاء الأسلمة علىٰ حد تصويرهم، وهم أنفسهم ينفون ويدحضون هٰذا الخوف: «في عددها الصادر في ٢٠ يوليو/تموز ٢٠٠٩م وضعت مجلة النيوزويك غلافاً يحمل عنوان أسطورة يوريبيا Eurabia[٥٠]، وكان العنوان الفرعي هو: المخاوف الزائفة لاستيلاء المسلمين علىٰ أوروبا... ومصطلح Eurabia نوع من اللعب بالكلمات، فبدلاً من كتابة الاسم الكامل لأوروبا Europe تمَّ حذف النِّصف الثَّاني من الكلمة لصالح كلمة شبه الجزيرة العربيَّة Arabia في إشارة إلىٰ غزو الأيديولوجيا السَّلفيَّة للقارَّة الأوروبيَّة»[٥١]. والحقيقة المنطقيَّة التي يخلصها إليها أي ناظر موضوعي «هي أنَّ أوروبا، في التَّحليل النِّهائي، لن تصبح مسلمةً بأيِّ حالٍ، وإنما قد يتزايد فيها المكون الإسلامي، وأنَّ المسلمين لن (يتأوربوا)، وإنما قد يكتسبوا المزيد من القيم الأوروبيَّة»[٥٢].

---

[٤٩] . محمود سلطان: **الخوف من أسلمة أوروبا.. مجدداً!** . مصدر سابق.

[٥٠] . ظهر اصطلاح Eurabia لأول مرة عام ٢٠٠٥م، وصكته جيزل ليتمان الباحثة اليهودية البريطانية (من يهود مصر قبل الثورة) التي كرست وقتاً طويلاً من حياتها البحثية في التخويف من الإسلام في أوروبا والأخطار التي ستصيب الحضارة الأوروبية من تنامي الفاشية الإسلامية، ولها كتب كثيرة في هٰذا المجال منها: أهل الذمة، ويوريبيا.

[٥١] . عاطف محمد: **أوربة الإسلام أم أسلمة أوروبا؟** . مصدر سابق.

[٥٢] . محرر ديانات: **أسلمة أوروبا؛ حدود الوهم ومؤشرات الواقع** . مصدر سابق.

في هٰذا السِّياق يؤكِّد الكاتب الأمريكي **وليام أندرهل** بناء علىٰ تقارير استخباراتيَّة «أنَّ أقصى زيادة يمكن أن يحقِّقها المسلمون في أوروبا خلال العقدين المقبلين لن تتجاوز ضعف وزنهم الحالي، حيث سيبلغ عددهم ٣٨ مليون نسمة عام ٢٠٢٥م وحينها لن تتجاوز نسبتهم ٨% من سكان القارة الأوروبيَّة». ويتابع الكاتب الأمريكي قائلاً إنَّهُ علىٰ الرَّغْمِ مما يبدو عليه العدد من ضخامة إلا أنَّهُم بلا قيمة لأنَّهُم غثاء كغثاء السَّيل، «فالمفتاح الأساسي في تحريك هٰذه الكتلة هو درجة التَّنظيم السِّياسي، والائتلاف في اتحاداتٍ فاعلةٍ، والاتفاق علىٰ موقف إسلامي موحد. وهٰذه كلها اعتبارات بعيدة عما يعيشه المسلمون اليوم في أوروبا منقسمين إلىٰ انتماءات طائفيَّة وعرقيَّة. فضلا عن أنَّ الرموز الإسلاميَّة في قطاعات الاقتصاد والسِّياسة والفن والصِّناعة تكاد تكون معدومة»[٥٣].

ومِمَّا يعزِّز دحض مزاعمهم من أنَّ كثرة المسلمين ستؤدِّي إلىٰ أسلمة أوروبا أنَّ أكثر المسلمين في أوروبا يمكن القول لا علاقة لهم بالإسلام، تحدثنا عن نماذج منهم في أكثر من موضع من هٰذا البحث وهم أكثر من ذٰلكَ بكثير ومنهم مثلاً «الصُّوماليَّة **إيان هيرسي علي** التي تشن حربا علىٰ الإسلام تتجاوز في ضراوتها تلك التي يشنها غربيون»[٥٤].

هم يعلمون ذٰلكَ في حقيقة الأمر ولا يجهلونه، ولٰكنَّهُم للحقيقة لا يتركون شيئاً للمصادفة، ولذٰلك يعملون منذ أمد بعيد علىٰ تدجين المسلمين كما سنبين لاحقاً ليكونوا أمثال **إيان هيرسي** وأشباهها. ومع ذٰلكَ كلِّه يبقى أن نتساءل السُّؤال الذي لا يمكن تجاوزه:

---

[٥٣] . عاطف محمد: **أوربة الإسلام أم أسلمة أوروبا؟** . مصدر سابق.

[٥٤] . محرر ديانات: **أسلمة أوروبا؛ حدود الوهم ومؤشرات الواقع** . مصدر سابق.

إذا كان الغرب وهو بكلِّ هٰذه القوَّة والعظمة الهيمنة والثِّقة العمياء في ثقافته وقيمه يخاف من دخول أبنائه إلىٰ الإسلام فهٰذا أبلغ مؤشِّرٍ بل دليلٍ علىٰ تماسك الإسلام وقوَّته ومنطقيته وأفضليته علىٰ كل القيم الغربيَّة وإلا لما خاف منه هٰذه الخوف الهستيري. مثل هٰذا هو «ما جعل المواطن اليهودي **ميشيل فريدمان**، أحد نجوم البرامج التلفزيونيَّة الألمانيَّة، يتساءل عن سبب هٰذا الخوف، ويرجعه إلىٰ غياب الثِّقة في النَّفس لدى الأغلبيَّة المسيحيَّة والتي تتخوَّف من وجود ٥ بالمائة فقط من المواطنين المسلمين في ألمانيا»[٥٥].

اعترف واحد أو اثنان أو أكثر بهٰذه الحقيقة فهل يجرؤ الغربيون علىٰ مراجعة أنفسهم وثقافتهم وقيمهم؟ هٰذا ما يجب أن يفكروا فيه جيداً.

ثالثاً: تنفير الغربيين من الإسلام

الهدف الثالث من أهداف حملة فوبيا لإسلام هو تنفير الغربيين من الإسلام والمسلمين وخلق حواجز نفسيَّة بينهم وبَيْنَ الإسلام والمسلمين. والهدف من هٰذا الهدف واضحٌ وهو عدم الدخول في الإسلام أساساً وعدم التعاطف مع المسلمين

من الطَّبيعي أن تتنوَّع الحملات الغربيَّة وتتكاتف لتنفير الغربيين من الإسلام والدخول في الإسلام، ويحدث ذٰلكَ كلَّما فترت مشاعر الحقد والكراهية علىٰ الإسلام والمسلمين، وكلَّما زاد الإقبال علىٰ الإسلام من قبل الغربيين، كما حدث في أمريكا مثلاً من «منها إقبال الأميركيين كأفراد وحكومة علىٰ التَّعرُّف

[٥٥] . بيتر فيليب وعبد الحي العلمي: **لماذا الخوف من الاسلام في أوروبا؟** . مراجعة سمير كرم . موقع DW الألماني . الأربعاء ٩ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٩م.

علىٰ الإسلام ومسلمي أميركا ووجهات نظرهم، في حركة يشبهها مسؤولون في كير بأنها أشبه بموجات البحر المتلاحقة»[٥٦].

وإذا كانت هناك مراكز أبحاث خاصة لشيطنة الإسلام وتشويهه فمن البداهة بمكان أن تكون مواقع الإنترنت إمَّا جزءاً منها أو امتداداً لها وقد أكَّد الدكتور **سيد مرعي** في دراسته أنَّهُ أمكن توظيف آلاف مواقع الإنترنت المخصصة لتشويه الإسلام وشيطنته «من قِبَلِ أعداء الإسلام في استكمال الحرب عليه، وتشويه صورته لدى غير المسلمين في العالم، بقصد قطع طريق الحقيقة علىٰ من يريد أن يعرف شيئاً عن الإسلام»[٥٧].

يتَّخذ هٰذا التَّنفير والشَّحن بالبغض والكراهية أشكالاً وأنماطاً وأساليب مختلفة بل رُبَّما يصح القول إنَّهُم لا يتورعون عن اللجوء إلىٰ أي وسيلة لتحقيق هٰذا الغرض. ويشارك في هٰذه الحملة رسميًّا ومنهجيًّا أعلام الفكر والأدب والسِّياسة وحَتَّىٰ مؤسَّسات الدَّولة الرَّسميَّة وشخصيَّاتها الاعتباريَّة، والشَّواهد أكثر من أن تحصى أو تعد، وفي إطار هٰذا التَّنفير يأتي أسلوب **وليم بويكن**. اتهام اللفتنانت جنرال **وليم بويكن** بأن المسلمين هم الشَّيطان لا يختلف عن اتهامه لهم بأنَّهُم يعبدون وثناً. ومن ناحية الطرافة والإدهاش، لقد قال حرفيًّا «إنَّ المسلمين يعبدون وثناً»[٥٨]. لنفترض أنَّ هٰذا صحيح، الحكومات الغربيَّة تدافع عمَّن يعبد الأوثان وتحميهم وكذٰلكَ الشَّعب الغربي يرحب بعبادة الأوثان

---

[٥٦] . قدس برس: **منظمة إسلامية تنتقد التشكيك اليهودي في تعداد مسلمي أميركا** . الجزيرة نت . السبت ١٤٢٢/٨/٩هـ الموافق ٢٠٠١/١٠/٢٧م.

[٥٧] . قدس برس: **آلاف المواقع لمهاجمة الإسلام** . موقع دنيا الوطن . غزة . ٤/ ١٠/ ٢٠٠٥م.

[٥٨] . وكالة الأنباء الفرنسية: **مسؤول أميركي؛ المسلمون يعبدون صنما وسنهزمهم** . الجزيرة نت . السبت ١٤٢٤/٨/٢٢هـ الموافق ٢٠٠٣/١٠/١٨م.

ويحترمهم، فلماذا يحاربون المسلمين دون عبدة الأوثان في العالم؟ في هٰذا الموقف وحده ما يعكس الحقيقة الوحيدة في حملة فوبيا الإسلام وهي أنَّ الحرب هي حرب علىٰ الإسلام ذاته بعقيدته التي يؤمنون تمام الإيمان أنَّها ليست عبادة أوثان ولا عبادة شيطان. ومع ذٰلكَ كله نقول ما قاله الأمريكي المسيحي **جون بيترسون**: «لو كان ضابطٌ مسلمٌ هو الذي تفوَّه بتصريحاتٍ مماثلةٍ عن المسيحيين الإنجيليين لكانت الإدارة كلها قد انقضت عليه»[٥٩]. ونضيف ماذا كان يمكن أن يحدث؟

أمَّا الكاتبة الإيطاليَّة الأمريكيَّة **أوريانا فالاتشي** لم تكتفي بالتَّشويه والإساءة بل تجاوزت إلىٰ التَّحريض، فهي تقول: «العقيدة الإسلاميَّة تبث الكراهية بدلاً من المحبة، والعبوديَّة بدلاً من الحريَّة»[٦٠]. ولقد أخطأت الاختيار تماماً، ولٰكنَّ الحقد المضمر يعمي عن الحق، والنوايا الخبيثة محدودة الخيارات. ومع ذٰلكَ فإنَّ السُّؤال الذي يجب أن يُطرح علىٰ نطاق واسع جدًّا هو: أيُّ الأديان الثلاث بثَّا لهذه القيم؟

وفق دراسات وأبحاث المراكز الغربيَّة ذاتها، وهٰذا ما سنعود إليها لاحقاً، فإنَّ الإسلام أقل الأديان بثًّا للكراهية وأقلها حضًّا علىٰ العنف، وأقلها تحريضاً علىٰ الإرهاب... فإنَّ علموا وتجاهلوا مصيبة وإن جهلوا فتلك أيضاً مصيبة. وفي الحالين كليهما برهان علىٰ أنَّ الحملة حملة عمياء.

وبجرَّة قلمٍ وإزاحة مقصودة ضمناً غير ظاهرة علناً تتحوَّل القضيَّة إلىٰ سلوكٍ سطحيٍّ... فيلتفت النَّاس إلىٰ القشور ويظلُّ الأصل يفعله فعله في العقل. فكلما

---

[٥٩] . المصدر السابق . ذاته.

[٦٠] . أوريانا فالاتشي في كتابها: قوة عقل . نقلا عن: وكالات: **قاض إيطالي يأمر بمحاكمة الكاتبة فالاتشي بتهمة إهانة الإسلام** . مصدر سابق.

تصاعدت الفوبيا تصاعد اليمين، وكلَّما تصاعد اليمين اتخذت الحكومات الغربيَّة قراراً بوقف الهجرة أو الحد منها، وكأنَّ الحكومات الأوروبيَّة ساهمت بالفوبيا في صعود اليمين الذي أرادات منه ومن تظاهراته أن توجد لنفسها المسوغ القانوني للحدِّ من هجرة المسلمين إلىٰ أوروبا وإغلاق الأبواب أمامهم من دون اعتراضٍ أو جدالٍ أو انتقاداتٍ داخليَّةٍ أو خارجيَّةٍ، ولذلك، كما يقول الكاتب الأمريكي **وليام أندرهل** فإنَّ «النَّتيجة التي وصلت إليها الحكومات الأوروبيَّة بعد هٰذه التَّغيرات في الخريطة الانتخابيَّة هو التَّشديد علىٰ وقف الهجرة من العالم الإسلامي وعرقلة انضمام تركيا إلىٰ الاتحاد الأوروبي»[٦١]. كان هٰذا قبل سبع سنوات من هٰذه اللحظة، وفي هٰذا اللحظة تماماً يحدث هٰذا تماماً في اجتماع الاتحاد الأوروبي؛ الحد من الهجرة وعرقلة دخول تركيا إلىٰ الاتحاد الأوروبي[٦٢].

كما قلت آنفاً فإنَّ حملة الفوبيا هي لإقناع المقتنع بما يريد أن يقتنع، فليس الشَّعب الغربيِّ عاشقاً للإسلام والمسلمين أصلاً وتاريخيًّا، ويكاد لا ينتظر هٰذه الحملات للنفور من الإسلام والمسلمين، ومن ثَمَّ فإنَّ عزلة المسلمين وبطالتهم ليست بالجديدة، وهٰذا **رشيد موسى**، مثلاً، رئيس منظمة الشَّباب المسلم السُّويدي يقول: «إنَّنا نشهد ارتفاعاً في نسب البطالة لدى الشَّباب المسلم، ونحن نعيش في تجمعات كبرى منعزلة عن محيطها، ووسائل الإعلام وممثلو السُّلطة حاولوا علىٰ مدىٰ سنين خلق صورة عن الشَّباب المسلم وكأنَّهُم إرهابيون

---

[٦١] . عاطف محمد: **أوربة الإسلام أم أسلمة أوروبا؟** . مصدر سابق.

[٦٢] . هٰذه باختصار نتائج اجتماعات قادة الاتحاد الأوروبي في فيينا؛ اجتمعوا في الأسبوع الثالث من أيلول ٢٠١٦م لبحث تداعيات خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي فأدانوا المهاجرين السوريين من ويلات الإرهاب والعنف الذي هم سبب فيه.

محتملون، وبالتالي أصبحنا نشكل في نظر المجتمع السُّويدي تهديداً للأمن القومي»[٦٣]. وفي السَّادس من كانون الثاني/ يناير ٢٠١٥م «تظاهر آلاف الألمان في مدينة دريسدن الألمانيَّة بدعوة من جمعيَّة مناهضة للهجرة تحت شعار معارضة أسلمة الغرب»[٦٤]. وهٰذه واحدة من مئات التَّظاهرات المماثلة في ألمانيا وأرجاء أوروبا في الفترة ذاتها علىٰ الأقل.

تنفير الغربيين من الإسلام والمسلمين وخلق حواجز نفسيَّة بينهم وبَيْنَ الإسلام والمسلمين لا تمرُّ عبر هٰذه البوابة وحدها فلها بوابات كثيرة أتينا علىٰ بعض منها فيما سبق وسنأتي علىٰ بعض آخر منها فيما سيأتي، وهي يقيناً أكثر من أن تحصى أو حَتَّىٰ أن تعد. ومثلما هو الحال في وقوع أرباب هٰذه الحملة من تناقضات في كل باب وجانب وهدف فإنَّنا أمام تناقضات مضحكة مثل العادة هنا.

ففي ظاهرة غير مسبوقة في التاريخ الأوروبي «أمر قاض إيطالي بمحاكمة الكاتبة الأمريكيَّة الإيطاليَّة الأصل **أوريانا فالاتشي** بتهمة إهانة الإسلام... وقد رفض القاضي **أرماندو غراسو** في مدينة بيرجامو شمال إيطاليا مشورة الادعاء بطي الملف، معتبراً أن كتابها الأخير (قوة العقل) الذي صدر العام الماضي يتضمن عبارات تسيء إلىٰ الإسلام ومن يعتنقون هٰذه العقيدة من دون شكٍّ»[٦٥]. هو علىٰ أيِّ حالٍ أمرٌ بالمحاكمة ولم تعد تصلنا أخبار القضيَّة بعد ذٰلكَ.

---

[٦٣] . جورج حوراني: **الإسلاموفوبيا تهدد مسلمي السويد** . الجزيرة نت . الأحد ١٤٣٦/٣/١٣ هـ – الموافق ٢٠١٥/١/٤ م.

[٦٤] . الجزيرة نت: **أردوغان يدعو أوروبا إلى مكافحة الإسلاموفوبيا** . الجزيرة نت . الأربعاء ١٤٣٦/٣/١٦ هـ – الموافق ٢٠١٥/١/٧م.

[٦٥] . وكالات: **قاض إيطالي يأمر بمحاكمة الكاتبة فالاتشي بتهمة إهانة الإسلام** . الجزيرة نت . الأربعاء ١٤٢٦/٤/١٦ هـ – الموافق٢٠٠٥/٥/٢٥م.

المضحك الأوَّل في ذَلكَ أنا في حدود علمنا أنَّها السَّابقة غير المسبوقة من بَيْنَ آلاف الذين يسيئون للإسلام ويشوهونه، ومع ذَلكَ فإنَّ المستشارين رفضوا فتح ملف المحاكمة ونصحوا القاضي بعدم فتح باب جهنم عليه.

المضحك الثَّاني هو أنَّ محض موافقة القاضي الإيطالي **أرماندو غراسو** علىٰ الأمر بمحاكمة الكاتبة **أوريانا فالاتشي** بتهمة إهانة الإسلام أثارت ثائرة وزير العدل الإيطالي **روبرتو كاستيلي** الذي قال علىٰ الفور: «إنَّ الحكم هجوم علىٰ حريَّة التعبير»[٦٦]. التَّعدِّي أو الهجوم علىٰ حريَّة التَّعبير هو نقطة البدء؛ فقط نقد من يسيء للإسلام هو الذي يعتدي علىٰ حريَّة التَّعبير...

يسيئون **لرسول الله محمد** والإسلام ويقولون حريَّة شخصيَّة، ويقولون: «أسيئوا أنتم **للمسيح**»، وهم يعلمون أنَّ المسلمين لا يستطيعون الإساءة **للمسيح** ولا يريدون ولا يقبلون... ومع ذَلكَ هم كاذبون ومتناقضون في هٰذا الزَّعم وهٰذا الادعاء. في أواخر عام ٢٠٠٣م عُرضت حلقة من مسلسل الشَّتات علىٰ تلفزيونٍ لبنانيٍّ تصوِّر يهوداً يضحُّون بطفلٍ مسيحيٍّ لاستخدام دمه في طقوس عيد الفصح، وهٰذا ما يعتقده المسيحيون والأوروبيون لا المسلمون[٦٧] فقامت قائمة أمريكا والغرب، «ندَّدت وزارة الخارجيَّة الأمريكيَّة، إلىٰ جانب السَّفير الأميركي **فينسنت باتل** المسألة في بيروت، وأثارتها القائمة بالأعمال **جين كريتز** في دمشق، بالمسلسل والتلفزيون ووصفت الحلقة بأنَّهَا تنطوي علىٰ تشهيرٍ

[٦٦] . المصدر السابق . ذاته.

[٦٧] . فيما يبدو أنَّ هذه معتقدات ثارت في أوروبا خلال العصور الوسطى بأن اليهود يخطفون الأطفال المسيحيين ويضحون بهم لاستخدام دمهم في خبز عيد الفصح. ويبدو أن هذه الشائعات نشأت في شرق إنجلترا في القرن الثاني عشر الميلادي.

وجديرة بالازدراء... وأوضح المتحدث باسم وزارة الخارجيَّة **آدم إيريلي** أنَّ هٰذا برنامج يتسم بالتَّشهير... إنَّهُ جدير بالازدراء وبأشدِّ إدانة ممكنة»[٦٨]. إذن مقدساتهم فقط هي المقدسة ومقدسات الإسلام فقط هي التي يجب طعنها وتشويهها.

وفي الموضوع ذاته أضاف **إيريلي** أنَّ «معاداة السامية علىٰ هٰذا النَّحو الحقود لا مكان لها إطلاقا في العالم المتحضر. أقل ما يمكن أن نصف به مثل هٰذه البرامج هو أنَّهَا لا تفيد مناخ التسامح والفهم المتبادل الذي يحتاجه الشَّرق الأوسط»[٦٩]. علىٰ أساس أنَّ ما يفعلونه هم كله رسائل شوق وتوق ومحبة وتسامح وسلام!!!

حسناً، ومع ذٰلكَ فإنَّ في هٰذا الكلام ذاته إدانة لهم أيضاً وتناقض صريح فالإساءة للإسلام أو المسلمين هي معاداة للسَّاميَّة. فلماذا لا يقفون ضدَّها؟

رابعاً: محاصرة المسلمين بعقدة بالذنب

بما يشبه استلهام محاصرة الأوروبيين بعقدة الشُّعور بالذَّنب تجاه اليهود بسبب ما يزعمونه عن المحرقة وفرض أتاوات علىٰ الأوروبيين وخاصة الألمان للتكفير عن الذنب...

هل كلُّ أوروبا والغرب قاطبة كانوا مهزومين أمام اليهود ليشرعوا قوانين معاداة الساميَّة التي تجعل الأوروبيين قاطبةً تحت عقدة الشُّعور بالذَّنب والإثم والخوف والقلق والرعب من قول أيِّ كلمة قد لا ترضي اليهود؟

---

[٦٨] . رويتر: **واشنطن تندد ببث حلقة من مسلسل الشتات** . الجزيرة نت . الخميس ١٤٢٤/٩/٢٥هـ الموافق ٢٠٠٣/١١/٢٠م.

[٦٩] . المصدر السابق . ذته.

قادة الغرب وساسته ومفكِّروه ومنظِّروه يريدون ذَلكَ تحديداً؛ يريدون محاصرة المواطن الأوروبي/ الغربي والعالم بالشُّعور بالذَّنب تجاه جريمةٍ لم يرتكبوها، تجاه أمرٍ لا علاقة لهم به، تجاه فعل لم يفعلوه...

علىٰ النَّحو ذاته وبالطَّريقة ذاتها تتمُّ مسألة محاصرة المسلمين بعقدة الشُّعور بالذَّنب... لا يمكن البتُّ في متى بدأ التَّفكير بهٰذه الطَّريقة، ولٰكنَّ المؤكد أنَّهُم استلهموا تجربة **فابيوس غايسو** التي أدت إلىٰ محاصرة الأوروبيين بعقدة الشُّعور بالذَّنب.

محاصرة المسلمين بعقدة الشُّعور بالذَّنب والإثم والخوف والهلع تحقِّق لهم أغراضاً كثيرة جدًّا كلها تصب في أهداف حملة الإسلاموفبيا منها ما سبق وسيأتي من عزل المسلمين وحصرهم في چيتوهات خاصَّة وعدم اختلاطهم بالغربيين لعدم معرفة حقيقة المسلمين، ومنها إخضاعهم للرَّغبات الأوروبيَّة/ الغربيَّة وشروطهم علىٰ سبيل المثال، وهٰذا السِّياسي والباحث الأمريكي **تيموثي سافيج** يرى أنَّ «الدُّول الأوروبيَّة تعمل داخليًّا علىٰ محاولة تبيئة الإسلام واستيعابه من منظورٍ وطنيٍّ أو علمانيٍّ؛ بحيث يصبح تابعًا للدَّولة وخاضعًا لمعايير التعامل مع الظَّواهر الثَّقافيَّة والأديان، ولعَلَّ استحداث بعض المؤسَّسات النَّاطقة باسم المسلمين أو الممثلة لهم إحدى التَّعبيرات الأساسيَّة على هٰذا التَّوجه»[٧٠].

يبدو واضحاً ما ينطوي عليه هٰذا الكلام من خلفيات تقوم علىٰ أساسٍ واحدٍ هو فرض عقدة الشُّعور بالذَّنب علىٰ المسلمين حَتَّىٰ يصل المسلمون في أوروبا إلىٰ حالة من القلق والهلع والقبول بالمعايير والشُّروط التي تفرض عليهم،

[٧٠] . تيموثي سافيج: **أوروبا والإسلام؛ الهلال المتنامي وصدام الثقافات** . مصدر سابق.

حَتَّىٰ يمكن أن يقبلوا بالإسلام المعتدل والرُّضوخ للشُّروط الغربيَّة في تحديد مفهوم الإسلام... وفي مثل ذَلكَ عبَّر **رشيد موسى** رئيس منظمة الشَّباب المسلم السُّويدي «عن القلق العميق الذي يساور الشَّباب المسلم حيال ما يجري»[٧١]، وإيصالهم إلىٰ مرحلة الصَّمت والقبول بانتهاك المقدَّسات الإسلاميَّة من دون اعتراضٍ بل بمباركتهم، وقد وصلوا إلىٰ ذَلكَ فعلاً علىٰ حدِّ تعبير **رشيد موسى**: «لم تعد تصدمنا أخبار حرق المساجد لأنَّنا نعي أنَّنا أمام واقع جديد يجب مواجهته»[٧٢].

وهكذا بات المسلمون في أوروبا، أو كثيرٌ منهم، يتنصَّلون من الإسلام ذاته لا من محض التَّنصل من عمل يقوم به مسلم، ومن شواهد كثيرة جدًّا علىٰ ذَلكَ عندما سئل رئيس المجلس السُّويدي للأئمة عن أسباب الإسلاموفوبيا والاعتداءات علىٰ المسلمين قال علىٰ الفور بما يقترب من التَّنصل من الإسلام قائلاً: «تصرفات بعض المسلمين المسيئة في المجتمعات الأوروبيَّة وممارسات الجماعات المتطرِّفة»[٧٣]، الجماعات المتطرفة لها كل فترة إصدارٌ لتكون في المحصلة هي الإسلام ذاته والمسلمين ذاتهم وليست هٰذه الجماعات فقط بدليل قوله هو، إلىٰ جانب مئات ورُبَّما آلاف الأدلة: «بعض الدُّول الإسلاميَّة التي عوضاً أن تكون سنداً ماديًّا ومعنويًّا للأقليات المسلمة تحرِّض علىٰ المسلمين في الغرب وتصنف كبرى المؤسسات الإسلاميَّة المعتدلة كمنظمات إرهابيَّة»[٧٤].

---

[٧١] . جورج حوراني: **الإسلاموفوبيا تهدد مسلمي السويد** . الجزيرة نت . الأحد ١٤٣٦/٣/١٣ هـ – الموافق ٢٠١٥/١/٤ م.

[٧٢] . المصدر السابق . ذاته.

[٧٣] . المصدر السابق . ذاته.

[٧٤] . المصدر السابق . ذاته.

حَتَّىٰ صار المسلمون في أبسط التَّعبيرات يريدون سلتهم من دون عنب، وبهٰذا المعنى قال **إبراهيم ملانوفيتش** نائب مفتي سلوفينيا «إنَّ مسلمي البلقان من خلال مراجعة الذَّات والتركيز علىٰ الاندماج الإيجابي في المجتمعات والابتعاد عن كلِّ ما من شأنه أن يكون شرارة للصدام»[٧٥].

هٰذا شاهدٌ بسيط من تصريحاتٍ مسؤولةٍ، أمَّا سلوكات المسلمون العاديين وتغريداتهم فحدِّث ولا حرج... علىٰ الرَّغْمِ من أنَّ كل الحق معهم، وكل المنطق، وكل الحجج... علىٰ الرَّغْمِ من أنَّهُم يشاهدون شبه يوميٍّ جريمة إرهابيَّة ضدَّ الإسلام تمرُّ بهدوءٍ وصمتٍ من دون اتهام النَّصرانيَّة أو الأوروبيين بالإرهاب، بَيْنَما أيُّ مسلمٍ يعطس يتم اتِّهام الإسلام كله والمسلمين بالإرهاب.

خامساً: أوربة المسلمين

أَوْرَبَةُ الإسلام شيءٌ وأَوْرَبَةُ المسلمين الأوروبيين شيءٌ آخر. أَوْرَبَةُ المسلمين الأوربيين هي دمجهم بالمجتمع الأوروبي بالشُّروط الأوروبيَّة، وإن كان تحت مسمَّى «أوربة الإسلام أو صبغهُ بصبغة العلمانيَّة الأوروبيَّة في إشارة إلىٰ تراجع ارتباط المسلمين في أوروبا بدينهم خاصَّةً من أبناء الجيل الثَّالث نتيجة الانخراط في الحياة الأوروبيَّة وامتصاص العلمانيَّة الأوروبيَّة لهويتهم»[٧٦]. ولٰكنَّ أوربة الإسلام تعدت ذٰلكَ إلىٰ أوربة الإسلام ذاته عامَّة أي حَتَّىٰ في بلاد المسلمين كما سنبيِّن لاحقاً.

لنبدأ من الحقيقة المرَّة القائمة علىٰ تناقضاتٍ ظاهرةٍ مع المنطق ومع الواقع. فعلىٰ الرَّغْمِ من الدِّارسات الكثيرة؛ الغربيَّة لا العربيَّة ولا الإسلاميَّة، التي تؤكِّد

---

[٧٥] . سيد أحمد زروق: **المراكز الإسلامية بالبلقان تواجه الإسلاموفوبيا** . الجزيرة نت . الأحد ١٤٣٥/٣/٤ هـ – الموافق ٢٠١٤/١/٥م..

[٧٦] . عاطف محمد: **أوربة الإسلام أم أسلمة أوروبا؟** . مصدر سابق.

وجود إمكاناتٍ خصبةٍ وكثيرةٍ الإيجابيات من التَّعاون الأوروبي الإسلامي كما بيَّن مثلاً السِّياسي الأمريكي **تيموثي سافيج** إلا أنَّ الدُّول الأوروبيَّة كما قال هو ذاته تفضِّل السَّير عكس هٰذه الحقيقة «وتُفضِّل الحفاظ علىٰ الوضع القائم بمعادلاته التَّقليديَّة»[٧٧]...

وعلىٰ الرَّغْمِ من مخاطر فناء أوروبا تلقائيًّا إذا لم تستقدم مهاجرين لترميم الهرم والهيكل السُّكَّاني فإنَّهُم يتدللون علىٰ المهاجرين دلالاً ممجوجاً وكل بضعة أيام أو أشهر يتسابقون في قوانين الحدِّ من الهجرة، يعني علىٰ الرَّغْمِ من حاجتهم الماسَّة لهم، وفضل المهاجرين علىٰ عدم فنائهم (نظريًّا) فإنَّهُم يريدون قولبتهم كما يريدون وقلب قيمهم وأخلاقهم وعقائدهم... وعلىٰ هٰذا الأساس فإنَّ الدَّمج الذي تريده أوروبا ليس تقريب وجهات النَّظر ولا التعايش مع احترام الآخر بل **سحق هويَّة المسلم تحديداً ومحوها** دون سواه من أصحاب العقائد مهما كانت، لا يقتربون من عقائد الآخرين مهما كانت وثنيَّة أو غير وثنيَّة وإنَّما فقط عقيدة المسلمين هي التي يريدون قولبتها، وقد كشف **ناصر جابي** الأستاذ في علم الاجتماع أنَّ السُّلطات الفرنسيَّة مثلاً «لا تدمج المسلم في منظومتها، إلا اذا قبل الذَّوبان فيها شكلاً ولغة ودِيناً»[٧٨].

وبهٰذه الصُّورة ذاتها فإنَّ رئيس حزب الحريَّة الهولندي **خيرت فيلدرس** قال «يجب طرد الذين يرفضون القوانين والقيم والدُّستور في البلدان الأوروبيَّة، حَتَّىٰ

---

[٧٧] . تيموثي سافيج: **أوروبا والإسلام؛ الهلال المتنامي وصدام الثقافات** . مصدر سابق.

[٧٨] . فائزة مصطفى: **الإسلاموفوبيا في فرنسا؛ حروب افتراضية** . الجزيرة نت . الثلاثاء ١٤٣٤/٩/٢٢ هـ – الموافق ٢٠١٣/٧/٣٠م.

وإن اقتضى الأمر نزع الجنسيَّة عن هؤلاء الأوروبيين الجدد»[٧٩]. وعلىٰ نحوٍ مماثلٍ فإنَّ وزيرة الدَّولة في وزارة العدل الهولنديَّة المسلمة من أصلٍ تركيٍّ «طالبت البرلمان بالموافقة علىٰ قانون يمنع منح الجنسيَّة للرِّجال المتزوجين بأكثر من امرأة، فيما يمثِّل محاربة لأحد مواد الشَّريعة الإسلاميَّة وَرَدَ النَّصُّ عليها في القرآن»[٨٠].

بل وصل الأمر بالنائب في البرلمان الهولندي خيرت فيلدرز إلىٰ أن «دعا المسلمين الهولنديين إلىٰ تمزيق القرآن الكريم إذا أرادوا العيش في هولندا، كما شنَّ حملةً من أجل فرض حظر علىٰ النقاب وحظر بناء مساجد جديدة ووقف الهجرة أمام المسلمين جميعاً»[٨١].

علىٰ هٰذا النَّحو، وبمثل هٰذا التَّهديد، كان وضع مسلمي أوروبا الأوروبي الأصل والفصل؛ مسلمي سلوڤينيا والبوسنة والهرسك، كشف عن هٰذه الحقيقة المرَّة بوضوحٍ **إبراهيم ملانوفيتش** نائب مفتي سلوڤينيا عندما تحدَّث عن صراعات البلقان، «وما عاناه المسلمون بالذَّات علىٰ أيدي الصرب والكروات الذين خيروهم بَيْنَ الرُّجوع عن دينهم أو القتل»[٨٢]، وكان ذٰلكَ كما يعلم المتابعون جميعاً برعاية الدُّول الغربيَّة قاطبةً وليس اجتهاداً صربيًّا أو كرواتيًّا.

الحقيقة التي يدركونها جيِّداً أنَّهُ لا بديل أمامهم عن إدماج المسلمين بالمجتمع الأوروبي، لأنَّ عدم إدماجهم يشكِّل خطراً منهم علىٰ أوروبا، وهٰذا

---

[٧٩] . بيتر فيليب وعبد الحي العلمي: **لماذا الخوف من الاسلام في أوروبا؟** . مراجعة سمير كرم . موقع DW الألماني . الأربعاء ٩ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٩م.

[٨٠] . محرر ديانات: **أسلمة أوروبا؛ حدود الوهم ومؤشرات الواقع** . مصدر سابق.

[٨١] . فرنس ٢٤: **هولندا؛ حزب الحرية يتعهد بإغلاق المساجد وحظر القرآن** . فرانس ٢٤ . ٢٠١٦/٨/٢٦م.

[٨٢] . سيد أحمد زروق: **المراكز الإسلامية بالبلقان تواجه الإسلاموفوبيا** . مصدر سابق.

الإدماج نفسه يشكِّل خطراً عليهم من ناحية الأسلمة، ففي بحثٍ للسِّياسي الأمريكي **تيموثي سافيج** قال: أمام أوروبا تحدٍّ داخلي «يقتضي من أوروبا إدماج الأقليَّات الإسلاميَّة التي تعيش في عزلة (في الچيتوهات) إلا أنَّهَا تتزايد ديموچرافيًّا، بشكلٍ سريعٍ جدًّا، وهو ما يعتبره كثيرٌ من الأوروبيين مهدِّدًا للهويَّة الجماعية الغربيَّة ولقيم المجتمع الأوروبي»[٨٣].

ولذلك هم يريدون الخروج بأقلِّ الضَّرر وأكثر الفائدة قدر الإمكان وخير سبيل أمامهم هو أَوْرَبَةُ المسلمين أو فرض الاندماج علىٰ المسلمين الأوروبين بالإيقاعات الغربيَّة وتحييدهم عن النَّشاط الإسلامي والدَّعوي. وبهٰذا المعنى قال **محمود** إمام مسجد استكهولم في لقاء مع الجزيرة نت «إنَّ المسلمين في السُّويد باتوا يواجهون تحدِّياتٍ خطيرةً تتعلَّق بتدينهم وهويَّتهم ومستقبل أبنائهم»[٨٤].

هنا تثور علىٰ الرَّغْمِ منا مسألة علىٰ درجةٍ عاليةٍ من الخطورة والأهميَّة وهي أنَّ الغرب نفسه الذي يتباكى علىٰ فَرْضِ الاندماج علىٰ المسلمين فإنَّهُ نفسه ينفِّرهم ويحاصرهم بمشاعر الكره والعداء علىٰ الرَّغْمِ من أنَّهُم يحملون جنسيات الدُّول الغربيَّة منذ عشرات السِّنين. ففي أمريكا وبساعةٍ واحدةٍ، إثر أحداث الحادي عشر من أيلول، صار كلُّ المسلمين إرهابيين؛ المسلمون الذي يحملون الجنسيَّة الأمريكيَّة منذ أكثر من مئة سنة، ورُبَّما إلىٰ بدايات تأسيس الدَّولة الأمريكيَّة، صاروا مطلوبين للعدالة وتحت المراقبة، بَيْنَما الأوروبي الذي دخل

---

[٨٣] . تيموثي سافيج: **أوروبا والإسلام؛ الهلال المتنامي وصدام الثقافات** . مصدر سابق.

[٨٤] . جورج حوراني: **الإسلاموفوبيا تهدد مسلمي السويد** . الجزيرة نت . الأحد ١٤٣٦/٣/١٣ هـ – الموافق ٢٠١٥/١/٤ م.

أمريكا قبل أسبوع فوق الشُّبهات... الأمريكي المشارك في تأسيس أمريكا موضع شبهة لأنَّ أصل أصوله مسلمٌ قبل أكثر من مئة أو مئتي سنة، بَيْنَما الأوروبيُّ غيرُ المسلم فوق الشبهات!!! والأمر في أوروبا غير مختلف، فحسب السِّياسي والباحث الأمريكي **تيموثي سافيج** فإنَّ «غالبيَّة المسلمين في أوروبا لا تشعر بأنَّهَا جزء من المجتمعات الأوروبيَّة، ولا تجد همومها ضمن هٰذه المجتمعات . لأنَّ هٰذه المجتمعات الأوروبيَّة أصلاً . تنظر إليهم علىٰ أنَّهُم أجانب أو مهاجرون»[٨٥].

ومع ذٰلكَ كلِّه وبعده وقبله فإنَّ حمله الإسلاموفوبيا من هٰذا الجانب وهٰذه الزاوية أيضاً كاذبةٌ وباطلةٌ لأكثر من سببٍ منطقيٍّ وواقعيٍّ وعلميٍّ، وكثيرٌ، عدديًّا لا نسبيًّا، من مفكِّري الغرب يقول ذٰلكَ، منهم علىٰ سبيل المثال الكاتب الأمريكي **وليام أندرهل** الذي يدافع عن المسلمين ويحارب الإسلاموفوبيا في سياق سخريته من مخاوف الغرب يوضح حقيقةً مرَّةً، إذا يقول: «صحيحٌ أنَّ أقصى زيادةٍ للمسلمين في أوروبا تصل إلىٰ نحو أربعين مليون مسلم عام ٢٠٢٥ ويمكن أن يشكلوا وزنًا ديموچرافيًّا وسياسيًّا بالغ التَّأثير، لٰكنَّ المفتاح الأساسيَّ في تحريك هٰذه الكتلة هو درجة التَّنظيم السِّياسي، والاتِّفاق علىٰ موقفٍ إسلاميٍّ موحَّدٍ»[٨٦]، وهٰذه هي الحقيقة المرَّة، وهي أنَّ المسلمين لا ناظم لهم ولا ضابط ولا مرجع وهم أعجز عن القيام بأيِّ تأثيرٍ...

يبدو أنَّ همهم الاندماج بالضَّوابط الغربيَّة من دون مناقشة من أجل البقاء في ظلال النَّعيم الأوروبي وراتب اللجوء. وإنَّهُ لمن الغريب أنَّهُ في حين أنَّ المفكرين

---

[٨٥] . تيموثي سافيج: **أوروبا والإسلام؛ الهلال المتنامي وصدام الثقافات** . مصدر سابق.

[٨٦] . عاطف محمد: **أوربة الإسلام أم أسلمة أوروبا؟** . مصدر سابق.

الموضوعيين الغربيين يدينون بشدَّةٍ الموقف الغربيَّ العام وسياسات الدُّول الأوروبيَّة نجد **أحمد جاب الله** مدير المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانيَّة يرى «أنَّ الموقف العام الأوروبي يعتبر (مُتَعَقِّلاً) ولا يريد أن يتبنى العنف، ووصف السَّاحة السِّياسيَّة الأوروبيَّة بأنَّهَا تمثِّل صمام الأمان الذي يحرص علىٰ حفظ الأمن والاستقرار... وأشاد في الوقت ذاته باهتمام عددٍ من الدُّول الغربيَّة بتلك الظاهرة»[٨٧].

حَتَّىٰ زيادة الإنجاب فقد باتت أسطورةً في حقيقة الأمر إذ «إنَّ معدل الإنجاب بَيْنَ عائلات الجيل الجديد من المسلمين انخفض»[٨٨] ليتوازى مع الأوروبيين. ولذلك قال **عاطف محمد** قبل سنوات في مقال له: «تتعجب حقًّا كيف يمكن تحويل ألمانيا أو أوروبا إلىٰ القارة المسلمة بحلول عقدين. حسبك فقط أن تأمل في أن ينصلح حال هؤلاء المسلمين عند الحدِّ الأدنى من متطلبات الحياة»[٨٩].

نعم، لقد وصل الشَّباب العربيُّ المسلم عامَّةً إلىٰ الحدِّ الذي ترجوه سياسيَّة الدَّمج، وقد أشرنا إلىٰ مثل هٰذه التَّصريحات لمسؤولين مسلمين أوروبيين في هٰذا السِّياق، وهٰذا **أحمد جاب الله** مدير المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانيَّة يقول: «علىٰ رغم ما يطرأ من عنصريَّة علىٰ السَّطح فإنَّ اندماج الجاليات أمرٌ لا ترفضه الأجيال الجديدة التي ترى أنَّهَا لا يمكن لها العيش خارج نطاق المجتمع»[٩٠].

---

[٨٧] . برنامج الواقع العربي: **الجاليات العربية والمسلمة بأوروبا وظاهرة إسلاموفوبيا؛ المسلمون محاصرون بالإسلاموفوبيا من الغرب وبأنظمة لا تقل إسلاموفوبيا عن الغرب . الجزيرة نت .** الثلاثاء ١٤٣٦/٢/٩ هـ – الموافق ٢٠١٤/١٢/٢م.

[٨٨] . إبراهيم درويش : **كتابات أمريكية تروج لفكرة أسلمة أوروبا** . موقع مصرس . ١٧ / ٠٨ / ٢٠٠٩م. منشور أيضاً بصحيفة **القدس العربي** ١٧ آب/ أغسطس ٢٠٠٩م.

[٨٩] . عاطف محمد: **أوربة الإسلام أم أسلمة أوروبا؟** . مصدر سابق.

[٩٠] . برنامج الواقع العربي: **عرب أوروبا وجديد الإسلاموفوبيا** . الجزيرة نت . برنامج الواقع العربي . السبت ١٤٣٦/٣/١٢ هـ – الموافق ٢٠١٥/١/٣م.

هٰذه هي المسألة الخطيرة التي لا يريد كثيرون الانتباه إليها، وصول أو إيصال الشَّباب العربيِّ المسلم إلىٰ قناعة أنَّهُ لا بديل عن الإسلام (الموديرين. Modern)، الإسلام العلماني هو الإسلام الحقيقي لأنَّهُ لا بديل عن العيش في أوروبا... وكأنَّ الإسلام كومة بنطلونات تلبس منها ما يطلبه الجمهور.

وعلىٰ هٰذا الأساس عكفت فرنسا منذ ثلاثة عشر عاماً علىٰ تصنيع الأئمة وتربيتهم بما يتناسب مع ما يسمَّى القيم العلمانيَّة الفرنسيَّة، ففي تلك الأيام أعلن رئيس الوزراء الفرنسي **جان بيير رافاران** «في اجتماع الجلسة التأسيسيَّة للمجلس الفرنسي للدِّين الإسلاميِّ أنَّ حكومته كلَّفت الأستاذ الجامعي **دانيال ريفيه** مهمَّة البحث في مسألة تدريب الأئمة في فرنسا. وشدَّد علىٰ أنَّ من المهمِّ أن يحيط الأئمة الذين يمارسون عملهم علىٰ أراضينا علماً بحقائق المجتمع الفرنسي، وأشار إلىٰ أنَّ الدَّولة ستساهم بشكلٍ كاملٍ في هٰذه المهمة مع احترام قوانين العلمانيَّة»[٩١].

سادساً: أوربة الإسلام

أخطر ما في الأهداف الإسلاموفيا علىٰ الإطلاق هو أَوْرَبَةُ الإسلام، وتكاد الأهداف كلها تختصر في هٰذا الهدف وتوجد فيه.

عشرات السِّنين وعشرات ورُبَّما مئات المؤتمرات تنعقد لمناقشة وضع المسلمين في أوروبا والحد من حضورهم، ووضعهم تحت السيطرة، والحيلولة دون انتشار الإسلام في أوروبا... لم تتوقَّف هٰذه المؤتمرات منها مؤتمر الأكاديميَّة الكاثوليكيَّة في مدينة شتوتجارت بجنوبي ألمانيا الذي اختتم أعماله الأحد

[٩١] . وكالات: **فرنسا تتجه لإصدار قانون يحظر الحجاب في المؤسسات التعليمية** . الجزيرة نت . الأحد ١٤٢٤/٣/٣هـ الموافق ٢٠٠٣/٥/٤م.

٢٠١٣/١١/١٧م الذي «حمل عنوان: (تركي أم بوسني أو ألماني... طرق نحو إسلام أوروبي)، وأقيم برعاية الوقفيَّة البحثيَّة لشركة بوش الصناعيَّة الألمانيَّة العملاقة»[٩٢].

هٰذه النَّتيجة: (إسلام أوروبي أو أوربة الإسلام) ليست جديدةً. ولٰكن من عجبٍ أن تجد أن من اخترع أَوْرَبَةَ الإسلام أو الإسلام الأوروبي هو (مسلمٌ) يفاخر بذٰلكَ. «يحاجج **بسام طيبي** بأنَّ مصطلح (الإسلام الأوروبي) قد نشأ علىٰ يديه في العقدين الأخيرين»[٩٣]، ولا أدري مدى صدقه في ذٰلكَ، ولٰكنَّ الحقيقة أنَّ جوهر أَوْرَبَةِ الإسلام أي تفريغه من قيمه ومضمونه يرجع غالباً إلىٰ الدكتور **صادق جلال العظم** في أحد مؤتمرات مواجه المدِّ الإسلامي في كوبنهاچن في الدنمارك عام ١٩٩١م أو قبله بعام إذ أنقذ الأوروبيين من حيرتهم ومخاوفهم بوضع حدٍّ، علىٰ حدِّ قوله، لمخاوف أسلمة أوروبا بمواجهتها بأَوْرَبَةِ الإسلام، أي جعل الإسلام أوروبيًّا بقيمه وطريقته... فكان علىٰ حدِّ تعبيره أوَّل من ابتدع هٰذه الفكرة لتبديد الخوف من الإسلام وكثرة المسلمين في

---

[٩٢] . خالد شمت: **قضايا مسلمي أوروبا بمؤتمر في ألمانيا** . الجزيرة نت . الاثنين ١٤٣٥/١/١٥ هـ – الموافق ٢٠١٣/١١/١٨م.

[٩٣] . عاطف محمد: **أوربة الإسلام أم أسلمة أوروبا؟** . الجزيرة نت . الأحد ١٤٣٠/٩/١٦ هـ – الموافق ٢٠٠٩/٩/٦م. يخطئ كاتب البحث بإرجاعه ظهور هٰذا الإصطلاح إلىٰ قبل أكثر من قرن إلىٰ حالة التعايش بَيْنَ الإسلام والمسيحية الروسية تحت عنوان (الإسلام الروسي) التي تطورت على يد إسماعيل كسبرالي إلىٰ (الإسلام الأوروبي)، فالسياق مختلف والجوهر مختلف والغاية مختلفة.

أوروبا[٩٤]. وبعد ذلكَ بحين غير طويلٍ بدأ الكلام علىٰ نطاق بدأ يزداد اتساعاً عن الإسلام المعتدل، وكثر بالمقابل الحديث عن الإسلام المتطرف، والإسلام الحقيقي، والإسلام الوسطي... ووصل الأمر اليوم إلىٰ تحديد من هو المسلم.

عَكَفَتْ أوروبا الغربيَّة وأمريكا عشرات السِّنين السَّابقة علىٰ صناعة ما يسمَّى الإسلام المعتدل... وأخيراً دخلت روسيا رسميًّا حلبة السِّباق لصناعة الإسلام المعتدل فتجاوزت محاولات الغرب كلِّها بإعلان صارخٍ يزعم أنَّهُ يحدِّد من هم المسلمون، من هم أهل السنة، فأخرجت من أخرجت من الإسلام وأدخلت من أدخلت في الإسلام حَتَّىٰ بالكاد أمكن حشر مذاهب أهل السنة الأربعة ضمن الإسلام أو ضمن أهل السنة. أهل السنة هو عنوان هٰذا المؤتمر الذي عقد علىٰ أيام في چروزني عاصمة الشيشان لتحديد من هم المسلمون، خالطين من دون تمييزٍ عمداً بَيْنَ المذهب والدين والحزب السياسي والجماعة الدعويَّة[٩٥]...

المشكلة في الإسلام المعتدل الذي يريده الغرب هي أنَّك لا تعرف بالضَّبط أين يبدأ ولا أين ينتهي، ولا تعرف ما الذي يريدونه بالضَّبط ليقفوا عنده. هٰذا ليس غباءً ولا تقصيراً، إنَّهُ مسألةٌ مقصودةٌ ومدروسةٌ بعنايةٍ في حقيقة

---

[٩٤] .كان هٰذا الكلام في جلسة خاصة في قسم الفلسفة بجامعة دمشق عام ١٩٩٢م بحضور عدد من أساتذة القسم.

[٩٥] . مؤتمر أهل السنة والجماعة عقد بالعاصمة الشيشانية چروزني برعاية روسية مباشرة علىٰ مدار الأسبوع الأخير من شهر آب/ أوچسطس ٢٠١٦م وأصدر فتوى بأن أهل السنة هم الصوفية والماتردية والأشعرية. أما أصحاب المذاهب الأربعة، حسب سياق الفتوى والبيان، فقريبون من أهل السنة!!! يعني يمكن إخراجهم من أهل السنة في المؤتمر القادم.

الأمر. صحيح أنَّ الكثير من المحللين والمتابعين المهتمين يركزون علىٰ أنَّ الغرب معنيٌّ بإلغاء الجهاد تحديداً، وبعضهم يفصِّل في أنَّ المقصود بعضه الحرب علىٰ اليهود أو النصارى أو معاً، إلا أنَّ الحقيقة تتجاوز ذَلكَ.

الإسلام المعتدل أو الإسلام الحقيقي كما يزعمون لا يتوقَّف عند إبطال الجهاد أو تعطيله بل سيأتي علىٰ الدين كلِّه بملامحه وتفاصيله كلِّها، وقد شاهدنا في السَّنوات الأخيرة ظاهرةَ إمامة المرأة للرجال، وخطبتها الجمعة، والصَّلاة المختلطة، وصلاة المرأة السَّافرة، وغيرها مما يكثر نشره والترويج له بطريقة أو بأُخْرَىٰ. وهٰذا ما كانت تروج له أمريكا لسنوات وتسعى له.

من هٰذه المظاهر ندرك جيداً أن الإسلام المعتدل ليس تعطيل الجهاد وحسب. الإسلام المعتدل يطال الإسلام كلَّه من أركانه الأساسيَّة الصلاة والصيام والزكاة والجهاد والحج حَتَّىٰ أكثر تفاصيله دقَّةً من سننٍ ومظاهر أيضاً ورُبَّما عادات.

عقب غزو العراق علىٰ الفور فرضت أمريكا علىٰ الدُّول الإسلاميَّة التَّفكير في حذف الجهاد من المناهج الدراسيَّة، في خطوة أولى. وسمعنا أن «بعض دول الخليج اعتمدت علىٰ تدريس الفرقان (القرآن الأمريكي) في المدارس الابتدائيَّة والثانويَّة وحذفت منه مصطلحات الجهاد والآيات التي تتحدث عن اليهود»[٩٦]. وقد سبق أن أعلنت مستشارة الأمن القومي **چوندااليزا رايس**[٩٧]

---

[٩٦] . مركز بغداد لدراسات الوحدة العربية: **الإسلام الأمريكي الصهيوني ينطلق من العراق** . شبكة البصرة . الجمعة ٢٨ صفر ١٤٢٦ الموافق لـ ٨ نيسان/ أبريل ٢٠٠٥م.

[٩٧] . چوندااليزا رايس مستشارة الأمن القومي في الفترة الرئاسية الأولى للرئيس جورج بوش الابن، ووزيرة خارجيته في الفترة الرئاسية الثانية خلفاً لوزير الخارجية كولن باول.

عن عزم الولايات المتحدة الأمريكيَّة «تعليم العالم العربي والإسلامي بعض الأمور المتعلقة بالديمقراطيَّة»[٩٨]. وكان منها تغيير المناهج التَّعليميَّة وإلغاء التربية الإسلاميَّة من المدارس.

لا تكتفي **چوندااليزا رايس** بالرَّغبة في تعديل عقليَّة المسلمين بل تتعداها إلىٰ تعديل الإسلام ذاته فقد قالت: «هناك عناصر إصلاحيَّة في العالم الإسلامي يجب دعمها[٩٩]، واعتبرت أنَّ القيم الأميركيَّة من الحريَّة والديمقراطيَّة يمكن أن تسري علىٰ الإسلام ذاته أيضا»[١٠٠].

ولٰكن حدثت بعض الخلافات والمشاحنات والمخاوف في بدايات تطبيق المشروع الأمريكي في العراق والخليج العربي فتراجع التَّنفيذ واستمر الإعداد له إلىٰ اليوم، وقد وجدنا ماذا فعل نظام **السيسي** المصري في هٰذا الشَّأن. «أمَّا في العراق، كما كشف مركز دراسات بغداد، فقد قبل العراقيون الشِّيعة هٰذا التَّعديل لأنَّهُ جاءَ منسجماً مع أفكارهم... ولم تحدث ضجة في وسائل الإعلام العراقيَّة أو العربيَّة لأنَّ التَّغيير جاء في وقت الصِّراع علىٰ تقسيم المناصب. وليس بإمكان أحد الاعتراض علىٰ ذٰلكَ»[١٠١]. بل إنَّ الأحزاب الشِّيعيَّة جميعها كما ذكر مركز بغداد لدراسات الوحدة العربيَّة «وقعت علىٰ التَّنازل عن الجهاد بوصفه ركناً من

---

[٩٨] . رويتر: **مصر تنتقد تصريحات رايس بشأن العالم الإسلامي** . الجزيرة نت . الثلاثاء ١٤٢٣/٧/١٧هـ الموافق ٢٠٠٢/٩/٢٤م.

[٩٩] . المصدر السابق . ذاته.

[١٠٠] . أشارت رايس إلى قطر والبحرين والأردن باعتبارها دولا عربية أجرت بعض الإصلاحات.. تبعتها كثير من الدول العربية الإسلامية بوتائر متسارعة آخرها ما نشهده اليوم في مصر بطريقة لا يمكن تصديقها.

[١٠١] . مركز بغداد لدراسات الوحدة العربية: **الإسلام الأمريكي الصهيوني ينطلق من العراق** . شبكة البصرة . الجمعة ٢٨ صفر ١٤٢٦ الموافق لـ ٨ نيسان/ أبريل ٢٠٠٥م.

أركان الإسلام وحذفته من الدين الإسلامي...» [١٠٢]، ولذلك هي تحت الرعاية الأمريكيَّة إلىٰ اليوم.

هٰذا البديل الدَّاعم هو ما قصدته **چوندااليزا رايس** عندما أعلنت عن رغبة واشنطن في تحرير العالم الإسلامي، لا نعرف ممن ولٰكن غالباً من الإسلام، ولٰكنَّهَا أضافت أنَّ هٰذه الرَّغبة تتمثل «في أن تكون واشنطن قوَّةً محرِّرةً تكرس نفسها لإحلال الديمقراطيَّة ومسيرة الحريَّة في العالم الإسلامي»[١٠٣]. أمريكا تريد أن تقود من فوق وتريد من منتسبين إلىٰ الإسلام أن يكونوا أداة تحرير الإسلام من الإسلام.

الإسلام هو الذي تحدِّده المخابرات الأمريكيَّة أو الأوروبيَّة، فها هو **وليم بويكن** مثلاً، ضابط المخابرات الأمريكيَّة، يعرِّف المسلم الحقيقي من المسلم الزَّائف، يعني هو الذي يحدِّد الإسلام الحقيقيَّ والإسلام غير الحقيقيِّ، **فبويكن** الذي يتحدَّث عن مقاتلٍ صوماليٍّ مسلمٍ يقول بدايةً: ««إلهي أكبر من إلهِ... إلهي إلهٌ حقيقيٌّ وإلهُ مجرَّد وثن»، وعندما أراد توضيح مراده قال: «إِنَّهُ منحرفٌ وليس من أتباع الإسلام»[١٠٤]. ما شاء الله، ما شاء الله!!! يعني لو كان من أتباع الإسلام هل كنت ستحمله علىٰ كتفيك مثلاً أو تقدِّم له وردةً بل لقمةً تسدُّ جوعه بدل أن تقتله؟

---

[١٠٢] . المصدر السابق . ذاته.

[١٠٣] . رويتر: **مصر تنتقد تصريحات رايس بشأن العالم الإسلامي** . الجزيرة نت . الثلاثاء ١٤٢٣/٧/١٧هـ الموافق ٢٠٠٢/٩/٢٤م. انظر كذلكَ: قناة الجزيرة ووكالات: **رمسفيلد يهدد صدام ورايس تسعى لتحرير العالم الإسلامي** . الجزيرة نت . الاثنين ١٤٢٣/٧/١٦هـ الموافق ٢٠٠٢/٩/٢٣م.

[١٠٤] . وكالات: **جنرال أميركي يبرر تصريحاته المعادية للإسلام** . الجزيرة نت . السبت ١٤٢٤/٨/٢٢هـ الموافق ٢٠٠٣/١٠/١٨م.

هنا يحيِّرنا الغرب حيرةً شديدةً بتناقضاتهم... فالواحد نفسه يقول: المسلمون يعبدون الأوثان، ثمَّ يقولون هم لا يمثلون الإسلام الصَّحيح أو الحقيقي... فاللفتنانت جنرال **وليم بويكين** الذي وصف الإسلام بالشَّيطان، والمسلمين بعبدة أوثان، وأساء لله تعالى الذي يعبده المسلمين كونه ليس الإله الذي يعبده المسيحيون علىٰ حسب حديثه عن معاركه في الصُّومال[١٠٥]... وغير ذَلكَ كثير، يتنطَّع لتعريفنا بالإسلام الحقيقي، ففي إطار تنصُّله من الاعتذار قال: «ومثلما أوضحت من قبل فإنَّهُم ليسوا ممن يتَّبعون الإسلام بشكل حقيقيٍّ»[١٠٦].

هم لا يبالون بتناقضاتهم هم مهتمون فقط بتفريغ الإسلام من مضمونه، بأَوْرَبَةِ الإسلام الذي باتوا يسمُّونه الآن الإسلام المعتدل. والإسلام المعتدل هو الذي يرى في الأمريكان سيِّداً مباركاً فهٰذا مثلاً «شيخ الأزهر بَيْنَ الفينة والأُخْرَىٰ يطالعنا بهٰذا التَّصريح أو ذاك لتأييد الاحتلال الأمريكي، فهو لا يريد للشَّعب العراقيِّ العظيم أن يقف في وجه الاحتلال»[١٠٧]. وهٰذه السِّياسة الأزهريَّة كما يقول الكاتب «تأتي دوماً في السِّياق الذي يسير فيه حكام مصر المحروسة الذين مهَّدوا للاحتلال وأيدوه، والذين يقومون بتدريب الحرس الوثني العراقي لمساعدة الأمريكان علىٰ الاحتلال، وهو الذي ينصح الأمريكان بأن لا يتركوا

[١٠٥] ـ المصدر السابق ـ ذاته.

[١٠٦] ـ المصدر السابق ـ ذاته.

[١٠٧] ـ الدكتور غالب الفريجات: **الإسلام الأمريكي في عقول الأئمة** ـ شبكة البصرة ـ الاثنين ١٣ ذي الحجة ١٤٢٥ هـ الموافق لـ ٢٤ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥م.

العراق، لأنَّ تركهم للعراق ليس في مصلحة العراقيين، لأنَّهُم جاؤوا لتعليمهم الدِّيمقراطيَّة»[١٠٨]، أي الإسلام المعتدل، الإسلام الصَّحيح.

الإسلام الصَّحيح أو الإسلام المعتدل كما يقول **غالب الفريجات** هو نسف ركائز الإسلام. «يظهر أنَّ الإسلام في طبعتة الأمريكيَّة لم يعد قاصراً علىٰ آئمة الحوزة الشِّيعيَّة في العراق، عملاء النِّظام الفارسي **كالسِّيستاني والحكيم والجعفري**، بل إنَّ شيخ الازهر في القاهرة الذي يخرج علينا سماحته بَيْنَ الحين والآخر بتصريحاتٍ ما انزل الله بها من سلطان، وفي الغالب تتبعها أو تسبقها تصريحات قادة مصر المحروسة من السِّياسين الرَّسميين تصبُّ في خندق العدوان الإمبريالي الأمريكي علىٰ أرض الرافدين»[١٠٩].

وفي حين أنَّ الحلَّ المنطقيَّ والأخلاقيَّ كما يرى **يورچن نيلسن** رئيس قسم الاستشراق بجامعة كوبنهاغن الدانماركيَّة هو أنَّهُ «يجب ترك مسلمي أوروبا يختارون بأنفسهم ما يناسبهم ويلائم مجتمعاتهم»[١١٠].... فانَّهُ من من المؤسف بكلِّ تأكيدٍ أنَّ الرَّغبة في البقاء في أوروبا للحصول علىٰ ميزات اللجوء تدفع برجال دينٍ وفكرٍ وأدبٍ (مسلمين) إلىٰ تسويغ التَّخلِّي عن الإسلام لصالح ما يزعمون أنَّهُ إسلامٌ معتدلٌ فلأنَّ «أوروبا علىٰ رغم تنامي التَّيَّار العنصري تبقى أفضل الأنظمة في العالم للجوء . كما يرى **أحمد جاب الله** مدير المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانيَّة . دعا

---

[١٠٨] . المصدر السابق . ذاته.

[١٠٩] . الدكتور غالب الفريجات: **الإسلام الأمريكي في عقول الآ ئمة** . مصدر سابق.

[١١٠] . خالد شمت: **قضايا مسلمي أوروبا بمؤتمر في ألمانيا** . مصدر سابق.

إلىٰ مزيد من التواصل مع المجتمعات الأوروبيَّة (التي هي مجتمعاتنا .كما يقول)، ومزيد من التَّمييز بَيْنَ الإسلام المعتدل والمتطرف»[١١١].

ولا عجب لذلك أن نجد أكثر المسلمين لا علاقة لهم بالإسلام، يقول **عاطف محمد** في بحثه: أوربة الإسلام أم أسلمة أوروبا: «في المركز الإسلامي في ڤيينا نلتقي امرأة أمريكيَّة تأتي كي تعتنق الإسلام بصحبة زوجها التركي. قبل أن تنطق بالشَّهادتين توجهت الزَّوجة الشَّابة بعددٍ كبيرٍ من الأسئلة إلىٰ المسؤولين في المركز عن الحياة الدنيا والآخرة، ولباس المرأة المسلمة، وكيف يكون المرء مسلماً أوروبيًّا ملتزماً؟ حينها سألها بعض القائمين علىٰ المركز: لماذا لم تتوجه بداية بهٰذه الأسئلة إلىٰ زوجها المسلم؟ فأجابت: إنَّهُ اعترف لها أنَّهُ لا يعرف عن الإسلام شيئاً»[١١٢].

وإذا كنَّا ذكرنا أنَّ **صادق جلال العظم** أول من ابتدع أوربة الإسلام، فإنَّ فكرة الإسلام المعتدل المزعومة أو أوربة تم تطبيقها في سوريا قبل الجميع فيما يبدو، فعقب مجزرة حماة ١٩٨٢م طرح عددٌ كبار السِّياسيين المنافقين علىٰ حافظ الأسد استئصال الحالة الإسلاميَّة وتجفيف الينابيع وإغلاق المعاهد الدينيَّة وكليَّة الشَّريعة. ولٰكنَّ حافظ الأسد اختار أن يفتح الكثير من المعاهد الدينيَّة التي تشرف عليها المخابرات بطريقة مخفيَّة، وفتح أبواب كليَّة الشَّريعة للبعثيين علىٰ مصراعيها لتخريج أئمة إسلامٍ اعتداليٍّ خوفاً من ردِّ الفعل علىٰ إغلاق المعاهد الدينيَّة وظهور محاربة الإسلام علىٰ نحوٍ صريحٍ.

---

[١١١] . برنامج الواقع العربي: **عرب أوروبا وجديد الإسلاموفوبيا** . الجزيرة نت . برنامج الواقع العربي . السبت ١٤٣٦/٣/١٢ هـ – الموافق ٢٠١٥/١/٣م.

[١١٢] . عاطف محمد: **أوربة الإسلام أم أسلمة أوروبا؟** . مصدر سابق.

هٰذه بعض نماذج أَوْرَبَة ومظاهرها وليست كلَّها، نحن في حقيقة الأمر أمام سيلٍ من المخطَّطات والمشاريع والممارسات التي يصعب حصرها. حسبنا أن نعلم، كما أشرنا في بداية هٰذا الباب أنَّ الإسلام المعتدل الذي يريده الغرب لا تعرف بالضَّبط أين يبدأ ولا أين ينتهي، ولا تعرف ما الذي يريدونه بالضَّبط ليقفوا عنده. ليس غباء ولا تقصيراً وإنما حنكة ودهاء، لأنَّهُم يريدون الإتيان علىٰ تعديل الدين كلِّه وتغييره؛ بملامحه وتفاصيله كلِّها، وليس تغيير محض باب أو بند أو حكم كما يبدو من ظاهر الإيحاء.

لنختم بحقيقةٍ أساسية يجب الاعتراف بها وهي أنَّنا لا ندري أبداً متى بدأ التَّفكير في صوغ إسلام جديدٍ يسمَّى إسلاماً ولٰكنَّهُ ليس إسلاماً، بغضِّ النَّظر عمَّا إذا كانت الغاية هي تحجيم دور الإسلام وقدرته أم محاربة الإسلام ذاته. ولٰكن علىٰ ضوء ما تراكم من معارف في هٰذا الإطار نحن أمام كمٍّ هائلٍ لا محض كثيرٍ في هٰذا الموضوع. وثَمَّة الكثير من الكتب في ذٰلكَ لمن أراد المتابعة.

مع بدايات الغزو الأوروبي للعالم العربي ظهرت الكثير من التَّصريحات التي تدور في هٰذا الفلك، بعد تجربةٍ سابقة في احتلال بعض الدُّول العربيَّة قبل إسقاط الخلافة العثمانيَّة. يقول الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مئة سنة علىٰ استعمار الجزائر: «إنَّنَا لن ننتصر علىٰ الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم»[١١٣]. ومثله في فترة مزامنة قال **غلادستون** رئيس

[١١٣] . المنار – عدد ١٩٦٢/١١/٩. نقلاً عن: قادة الغرب يقولون.

وزراء بريطانيا حينها: «ما دام هٰذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السَّيطرة علىٰ الشَّرق»[١١٤].

وقبل أن تظهر بوضوح فكرة قولبة الإسلام قال المبشر **تاكلي**: «يجب أن نستخدم القرآن، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضدَّ الإسلام نفسه، حَتَّىٰ نقضى عليه تماماً، يجب أن نقنع المسلمين أنَّ الصَّحيح في القرآن ليس جديداً، وأنَّ الجديد فيه ليس صحيحاً»[١١٥]..

فكرة قولبة الإسلام وإزالة الإسلام لصالح صورة عن الإسلام تسمَّى الإسلام ليست وليد لحظةٍ مفاجئةٍ. إنها تراكم تاريخيٌّ. رُبَّما كان الفضل للدكتور صادق في بلورته في كوبنهاچن عام ١٩٩٢م، كما أشرنا قبل قليل، وكانت هنا نقطة الإنطلاق الحقيقة في إعادة صوغ الإسلام وتقديم إسلام جديد. ومنذ ذٰلكَ الحين بدأت تروج الأفكار والدِّراسات الغربية الباحثة عن السبل الممكنة للوصول إلىٰ هٰذه النَّتيجة. وصرنا نشهد بَيْنَ الحين والحين تسريباً، شائعةً، خبراً... القرآن والفرقان، القرآن الجديد، القرآن الصحيح، ناهيكم عن السياسات والمساعي الكثيرة من تحت لتحت لتعميم سلوكات باسم الإسلام أو تحت راية الإسلام ولٰكنَّهَا لا تمت إلىٰ الإسلام بصلةٍ، ومنها النكت التي تصاغ في أروقة المخابرات... وتحسبها النَّاس نكتاً. صرنا نسمع عن الإسلام الوسطي، الإسلام الاعتدالي، الإسلامي الدنيوي... صرنا نشهد نساء يصلين سافرات، عن نساء تخطب الجمعة، عن نساء تؤم الرِّجال في الصَّلاة، عن وعن وعن... وليس شيءٌ من ذٰلكَ مصادفةً... وانتهينا إلىٰ أنَّ وصلنا إلىٰ مشايخ أو متحدثين باسم

[١١٤]. محمد أسد: **الإسلام على مفترق الطرق**. ص ٣٩. نقلاً عن: قادة الغرب يقولون.

[١١٥]. عمر فروخ ومصطفى الخالدي: **التبشير والاستعمار**. ص ٤٠.

الإسلام يقولون: «أنا لست ضدَّ الإسلام... أنا ضد الفهم الخاطئ للقرآن من قبل الرسول والصحابة...».

سابعاً: تسويغ الحرب على العالم الإسلامي

من أهداف الإسلاموفوبيا التي لا يمكن تجاوزها تسويغ الحروب الغربيَّة ضدَّ العالم الإسلامي، ولهذا الهدف قديمٌ برز في أول ظهور واضح له في التَّجييش للحروب الصَّليبية منذ أواخر القرن العاشر الميلادي، وهو أمرٌ متضمَّنٌ أساساً في الأهداف السَّابقة بطريقةٍ أو بأُخْرَىٰ، ناهيكم عن تداخل الأهداف وتشابكها. وفي هٰذا السِّياق أيضاً تسويغ الضُّغوط علىٰ المسلمين في الغرب وفي بلاد المسلمين أنفسهم لحملهم علىٰ ما تريد السِّياسة الغربيَّة من الأهداف التي سبق الكلام فيها...

الحرب الغربيَّة الأوروبيَّة ثمَّ الأمريكيَّة الأوروبيَّة علىٰ العالم الإسلامي ليست جديدةً مطلقاً، وإن كانت الحروب الصَّليبيَّة أظهر أقدمها إلا إنَّهَا لم تكن الأولى، ولم تكن الأخيرة... هٰذا يعني أساساً وتأسيساً أن ساسة الغرب ليسوا بحاجة إلىٰ تقديم المسوغات والمبررات من أجل شنِّ حروبهم علىٰ العالم الإسلامي سواء أكانت العسكريَّة المباشرة أم غير المباشرة أم الحروب السياسيَّة أو الاقتصاديَّة أو الإعلاميَّة أو غيرها مجتمعةً أم متفرِّقةً.

ولٰكنَّ الحقيقة السِّياسيَّة النَّفسيَّة هي أنَّ شنَّ الحروب حَتَّىٰ ولو كانت شرعيَّة فإنَّ السُّلطة بحاجةٍ إلىٰ ضخٍّ إعلاميٍّ وشحنٍ نفسيٍّ قبل الحرب وفي أثنائها لأهدافٍ كثيرةٍ علىٰ رأسها تماسك الجبهة الدَّاخليَّة وتأمين ما يكفي من الدَّعم المادي والمعنوي لشنِّ الحرب واستمرارها حَتَّىٰ تحقيق أهدافها. أهداف الحرب في الضَّخِّ الإعلاميِّ دائماً هي حماية الوطن والمواطن والدفاع عنها. وإنَّهُ لمن أغرب

الغرائب وأعجب العجائب أنَّ أمريكا في خطابها نفسه؛ السِّياسي والإعلامي تعلن أنَّها تدافع عن مواطنيها بالقتال في أفغانستان والعراق والصُّومال وغيرها غير قليل.

بل الأشدُّ غرابةً من ذَلكَ أنَّ أمريكا كما قالت **رايس ورامسفيلد وبوش** يشنُّون الحرب علىٰ المسلمين لتعليمهم الإسلام الصَّحيح. وقد وصل الأمر في فترة العُنجهيَّة الأمريكيَّة إلىٰ التَّصريح المباشر علىٰ لسان مستشارة الأمن القومي **رايس** «بأنَّ واشنطن ستغيِّر أنظمة الدُّول الإسلاميَّة»[١١٦]. لأنَّهَا غير ديمقراطيَّة كما قالت، وكأنَّ أمريكا تريد الديمقراطيَّة فعلاً في الدول الإسلاميَّة وهي التي تحارب أيَّ ديمقراطيَّة في العالم الإسلامي قبل ذَلكَ وبعد ذَلكَ وإلىٰ اليوم كما هو الحال في سوريا ومصر وليبيا وتركيا.

خاتمة

الحقيقة أننا لسنا بحاجة إلىٰ اعتراف أو تصريح بأنَّ النتيجة المنطقيَّة للضخ الإعلامي والسياسي نفخاً في الإسلاموفوبيا إنَّهُ لم يكن يهدف مباشرة إلىٰ تسويغ الحروب علىٰ المسلمين وعلىٰ الإسلام فإنَّهُ من المحتمل جدًّا أن يقود قسراً إلىٰ الحرب علىٰ عدد من دول العالم تقل أو تكثر، بطريقة واحد أو بطرق مختلفة ومتعددة. ومن حيثُ لم ينتبه **جيمس زغبي**، ولا يفوته ذَلكَ علىٰ أيِّ حالٍ، استنتج أنَّ استمرار هٰذه الحملة «يمكن أن يؤدِّي إلىٰ انقسامٍ أميركيٍّ عربيٍّ يدفع صانعي السِّياسة الأمريكيَّة إلىٰ اتِّخاذ مزيدٍ من المواقف السَّلبيَّة تجاه الدُّول

[١١٦] . رويتر: **مصر تنتقد تصريحات رايس بشأن العالم الإسلامي** . الجزيرة نت . الثلاثاء ١٤٢٣/٧/١٧هـ الموافق ٢٠٠٢/٩/٢٤م.

العربيَّة»[١١٧]. يعني بالتَّفسير الواقعي قيام الولايات المتحدة بأعمال عدوانيَّة ضدَّ العرب والمسلمين تحت تأثير الشَّارع والرَّأي العام، وهٰذا ما يسمَّىٰ الدَّور المنطقي، فالدَّولة تريد فعل ذٰلكَ أساساً، وتحرض الشَّارع ليتقبل ذٰلكَ، فيصبح الشَّارع هو من يفرض ذٰلكَ.

في هٰذا السِّياق تماماً كانت الحرب علىٰ أفغانستان، وعلىٰ الصومال، وعلىٰ العراق، ومالي، وعلىٰ سوريا... وغيرها، وفي هٰذا السِّياق كان السُّكوت المخزي علىٰ حروب الإبادة الوحشيَّة ضدَّ مسلمي بورما، وإفريقيا الوسطى، والعراق، وسوريا...

[١١٧] . جيمس زغبي: **حملة منسقة ومتعصبة** . مصدر سابق.

الفصل الثاني

مظاهر الإسلاموفوبيا ومرتكزاتها

كاتبٌ علمانيٌّ (مسلمٌ) كتب بالحرف: «الغرب ينظر إلىٰ الحركات الظَّلاميَّة الدِّينيَّة[١١٨] القاتلة[١١٩] من زاوية مصالحة والخطر علىٰ أمنه، ونحن ننظر إليها من زاوية الخطر علىٰ وجودنا كلِّهِ». الطَّريف المضحك أنَّ هٰذا المفكر الفيلسوف يتابع بتغريدته هٰذه ذاتها قائلاً: «الغرب يسعى لحملنا علىٰ وجهة نظره»، علىٰ أساس أنَّ هناك اختلافاً وصراعاً حول الموقف والفعل!!!

هٰذا التَّصريح يكاد يختصر الحقيقة. المسألة مصالح صراع مصالح، مسألة خوف علىٰ تنازع السُّلطة، خوف علىٰ تنازع النُّفوذ... وليست مسألة إسلامٍ إرهابيٍّ، ولا عنف الإسلام، ولا تخلُّف الإسلام، ولا سوء الإسلام... فلو كان الأمر ديمقراطيَّةً كما يزعمون، أو حرَّيَّةً كما يدَّعون لتُركت الأمور لصندق الاقتراع، لحرية الرَّأي والتَّعبير والاختيار. ولٰكنَّهَا خوف من منافسٍ يعجزون عن مواجهته بغير الخسَّة والتَّلفيق والافتراء.

هٰكذا تبدو الصُّورة من خلال تصريحاتهم وممارساتهم في آن معاً. أكرِّر هنا ما قلته في أكثر من موضعٍ علىٰ سبيل المثال الشَّاهد: كلُّ الانقلابات العسكريَّة

[١١٨] . المقصود هو الإسلامية بالتأكيد من سياق الكلام الذي يبدأه بأن الغرب ينظر... وليس من المعقول أنَّهُ يقصد المسيحية أو اليهودية.

[١١٩] . الحركة الدينية الظلامية أو القاتلة أو الإرهابية... هي في نظرهم أي حركة أو حزب أو جماعة إسلامية تريد الوصول إلىٰ السلطة مهما كانت سلمية، وهٰذا أمر لا يقبل الشك واقعيًّا بدليل الجزائر وفلسطين ومصر وليبيا وتركيا.

في العالم الإسلاميِّ كانت فقط على الإسلاميين عندما يصلوا إلى السُّلطة، ولٰكنَّنا لم نشهد انقلاباً واحداً من الإسلاميين على الديمقراطيَّة... كلُّ الحركات العلمانيَّة في العالم الإسلامي ركبت ظهر الإسلاميين حَتَّى وصلت إلى السُّلطة وعندما وصلت إلى السُّلطة دكَّت الإسلاميين في السُّجون والمعتقلات والإعدامات، ولم يركب الإسلاميين ظهر أحدٍ ولم ينقلبوا على أحدٍ، ودائماً سعوا لإشراك الجميع في السُّلطة عندما وصلوا إليها ولٰكنَّ الجميع كان يأبى مشاركتهم ويصرُّ على مقاطعتهم لا لتركهم ينفردون بالسُّلطة وإنَّما لإفشالهم والتَّضييق عليهم كما حدث على نحوٍ صريح وفجٍّ مع حماس في فلسطين، ومع الأخوان في مصر، وليبيا عقب الثورة...

هٰذا توضيحٌ لا أكثر. المهمُّ هنا نقطة انطلاق سنبرهنها فيما سيأتي هي أنَّ حملة فوبيا الإسلام ببطلان أساسها ستكون مبنيةً بالضَّرورة على تناقضاتٍ وأخطاءٍ مفضوحةٍ لمخالفتها المنطق والواقع في آنٍ معاً. حملة فوبيا الإسلام هي حرب على عدوٍّ وليست حرباً على خطأٍ، هي حربٌ على عدوٍّ وليست فضحاً لشيءٍ سيءٍ، هي خوف من عدوٍّ يمتلك من قوة الحق والحقيقة أكثر مما يمتلكون بكثير تجعلهم عاجزين عن مواجهته بالمنطق والحق فلا يجدون غير الافتراء عليه وتشويهه... بما يعني أنَّ العدوَّ عدوٌّ ليس لأنَّهُ خطأ أو سيء بل لأنَّهُ عدوٌّ لسببٍ ما من الأسباب. ومن منطلق الحرب على العدو يمكن أن نفهم حقيقة التَّشويه والافتراء والتَّضليل على الإسلام والمسلمين.

حسب تعريف الفوبيا وأساسها العلمي وطبيعتها العلميَّة فإنَّ الفوبيا هي خوف رهابيٌّ من شيءٍ. وكما أوضحنا فإنَّهُ حالةٌ مرضيَّةٌ فرديَّةٌ، شخصيَّةٌ. ومع ذٰلكَ تجاوزت فوبيا الإسلام كلَّ الحدود الاصطلاحيَّة والمنهجيَّة، وقد تجاوزنا ذٰلكَ

جدلاً. ولٰكن الفوبيا كيفما قلَّبتها علىٰ وجوهها تجدها خوفاً من شيءٍ لا استعراض قوَّةٍ عليه، لا استضعافاً له، وإلا فهي ليست رهاباً ولا فوبيا، إلا مع فوبيا الإسلام فإنَّ الأمر مقلوبٌ أيضاً ويظلُّون يكرِّرون فوبيا الإسلام، يجعلون المسلمين يعيشون حالةَ هَلَعٍ ورُعْبٍ وهم يتبخترون اعتزازاً وقوَّة واستعراضاً ويسمُّونها فوبيا الإسلام!

مظاهر فوبيا الإسلام إذن مخالفةٌ لأنواع الفوبيا كلِّها؛ في مختلف أنواع الفوبيا يهرب المريض مما يخاف منها إلا في فوبيا الإسلام فإنَّ (المريض يستعرض قوَّتَهُ علىٰ ما يخاف منه).

أمام هٰذه التَّناقضات المريعة والمضحكة في الوقت ذاته يجد الباحث ذاته أمام حيرة وحرج في التعامل مع الإسلاموفوبيا علىٰ أنَّها ظاهرةٌ أو حالةٌ مرضيَّة، بل إنَّهُ من غير الممكن التعامل معها علىٰ أنَّها حالةٌ أو ظاهرةٌ مرضيَّةٌ.

هنا سنقف عند مظاهر الإسلاموفوبيا ومرتكزاتها لنجد أنفسنا من جديدٍ أمام تناقضاتٍ مثيرة للقلق أكثر مما هي مثيرة للضحك. سننظر في مظاهر فوبيا الإسلام من خلال نماذج شهيرة يعرفها الكثيرون جدًّا في أرجاء العالم. وقد ارتكزت حملة فوبيا الإسلام علىٰ ثلاث دعائم أو مرتكزات ومظاهر أساسيَّة هي الإرهاب، وتشويه الإسلام والمسلمين، والافتراء والتَّضليل. وهٰذا ما سنناقشه في الفقرات التَّالية.

أسطورة الإسلام السيء

تقوم ظاهرة الإسلاموفوبيا كلُّها علىٰ ركيزةٍ واحدةٍ هي شيطنة الإسلام وتصويره صورةً أو صوراً سيئةً بمختلف الأشكال والأنماط. وتجتاحك الدَّهاشات عندما تعلم أنَّ هٰذه الحملة موجهةٌ ضدَّ الإسلام وحده دون أديان البشر

السَّماويَّة وغير السَّماويَّة، الأديان التي تؤمن بالله والأديان الوثنيَّة... وتتغاضى عن مساوئ الأديان كلِّها وتفتري علىٰ الإسلام وتتهمه اتِّهاماتٍ باطلةً؛ ترىٰ محاسن الإسلام مساوئاً وترىٰ مساوئ باقي الأديان محاسناً.

هٰذه الصُّورة النَّمطيَّة وأكثر من ذٰلكَ بكثيرٍ تُغرس في العقليَّة الغربيَّة عن طريق السينما والأدب والممارسة السياسيَّة... هٰذه الصُّورة، كما كرَّرت مراراً ليست حديثةً أبداً، وإنَّمَا هي قديمةٌ، ولنعد إلىٰ بدايات القرن العشرين مع السِّياسي الأمريكي **بول فندلي** عضو مجلس الشِّيوخ الذي انقلب علىٰ هٰذه العقليَّة النَّمطيَّة وانتقل إلىٰ مناصرة القضايا العربيَّة والإسلاميَّة وأقر في حلقةٍ من برنامج بلا حدود نحو عام ١٩٩٨م»[١٢٠]. بكيفيَّة تكوين هٰذه العقليَّة النَّمطيَّة وأعطى صورةً صغيرةً عنها قال: «كانت تعلمنا آنسةٌ ونحن صغاراً (في العشرينيات من القرن العشرين)، تقول لنا: يعيش هناك في الشَّرق أناسٌ يسكنون في الخيام، ويركبون الجمال، يعبدون شيئاً اسمه الله، ابتدعه لهم راعي غنم اسمه **محمد** وألَّف لهم كتاباً سَمَّاه القرآن...».

وبوقاحةٍ منقطعة النَّظير قالت الفايننشال تايمز البريطانيَّة في ٢٤ نيسان/أبريل ٢٠١٥م: «الشَّباب العربي صار يخاف الدِّيمقراطيَّة ويكرهها خوفاً من وصول الإسلام (الإسلاميين) للسُّلطة... ولذٰلك لا تستغربوا أن يعشقوا المستبدين ويتمسَّكوا بهم». انظروا إلىٰ هٰذا الدَّهاء والخبث والتَّناقض في الوقت ذاته. يعترفون بوضوحٍ بأنَّ الدِّيمقراطيَّة، يعني الانتخابات الحرَّة، تعني فوز الإسلاميين بالسُّلطة من دون منازعٍ، بما يعني أنَّ الإسلاميين محبوبون وناجحون

[١٢٠]. أحمد منصور: **لقاء مع السيناتور بول فندلي في برنامج بلا حدود**. قناة الجزيرة. عام ١٩٩٨م.

وليسوا فاشلين ولا سيئين كما يزعمون... وإلا كيف يفوزون في انتخابات ديمقراطيَّة؟ ولكنَّهُم من الطَّرف الآخر يصوِّرون أنَّ الشَّباب العربيَّ سيعبد المستبدين خوفاً من وصول الإسلاميين إلىٰ السُّلطة عن طريق الدِّيمقراطيَّة. هل يوجد تناقضٌ أو وقاحةٌ تفوق هٰذه الوقاحة أو التَّناقض؟

المسألة بخطٍّ مستقيم هي الحرب علىٰ الإسلام لأنَّهُ جيِّدٌ وناجحٌ لا لأنَّهُ سيءٌ. ويتذرَّعون بحريَّة الرَّأي والتَّعبير، وهٰذا كَذِبٌ صريحٌ كما بيَّنا في غير هٰذا الموضع، فهم يريدون الإساءة للرسول والإسلام ويزعمون أنَّ ذٰلكَ حريَّة رأي، بَيْنَما أيَّ ناقدٍ جوهريٌّ لقيمة من قيم الغرب يتعرَّض للعقاب المناسب تبعاً لهويته. ومن أدلَّة إدراكهم هٰذه الحقيقة، حقيقة التَّضليل والافتراء، كلَّما انفضحت إحدىٰ إساءاتهم للرسول صلى الله عليه وسلم يقولون لنا: «هٰذه حريَّة رأيٍ... أسيئوا أنتم **للمسيح**». هم يعلمون تماماً أنَّنا نحن المسلمين لا نقبل الإساءة **للمسيح**... إمَّا أنَّهُم فعلاً لا يدركون الحقيقة وهٰذه مصيبةٌ، أو أنَّهُم لا يريدون إدراكها وتلك مصيبةٌ أعظم، وإمَّا أنَّهُم يدركونها وينكرونها وهنا المصيبة الأعظم... نحن لا نقبل أن يسيءَ أحدٌ مسلمٌ أو غير مسلمٍ لا إلىٰ المسيح ولا إلىٰ **موسىٰ** ولا إلىٰ غيرهم من الأنبياء والرُّسل...

الإساءة إلىٰ الإسلام يعني شيطنةَ الإسلام، كلاهما أمرٌ واحدٌ، وقد تحدَّثنا في شيطنة الإسلام بوصفها هدفاً من أهداف حملة الإسلاموفيا، وهنا لن نكرِّر ما قلناه في شيطنة الإسلام، ولن نستعين حَتَّىٰ بشواهده، وإنما سنتابع إيضاح الفكرة من زاويةٍ أُخْرَىٰ؛ هناك بوصف الشَّيطنة هدفاً، وهنا بوصف الشَّيطنة مظهراً ووسيلةً وأداةً من أدوات الإسلاموفوبيا.

الإساءة إلىٰ الإسلام والمسلمين وتشويه الإسلام والمسلمين والفبركة والتَّضليل والافتراء... لا تقف عند حدٍّ أبداً، ولا تقف عند جانبٍ أبداً... إنَّهَا تطال كلَّ ما يخطر في البال ولا يخطر. من النَّاحية التَّاريخيَّة لم يتغيَّرُ شيء سوىٰ أنَّنَا في عصرنا صرنا نجد من ينقل لنا ما يحدث بفضل الثورة التكنولوجيَّة فيما لم يكن ذٰلكَ متوافراً فيما قبل العقد الأخير من القرن العشرين.

النَّماذج أكثر من أن تعدَّ أو تحصىٰ، المسلمون بالكاد يذكرون غير الرُّسوم الدنماركيَّة ومقاطعة البضائع الدنماركيَّة وقصة **شارلي إيبدو**، ولٰكنَّ الحقيقة أكبر من ذٰلكَ بكثيرٍ جدًّا. في أمريكا علىٰ سبيل المثال فإنَّ اللجنة اليهوديَّة الأمريكيَّة منذ عشرات السِّنين تخصِّص جزءاً من جهودها لهٰذا الغرض وتستأجر أشخاصاً للعمل علىٰ تشويه الإسلام، ورُبَّما تكتب بأسماءٍ مستعارةٍ، منها شخص يدعى **خالد دوران** الذي يكتب بزعم «دعم الحوار بَيْنَ اليهوديَّة والإسلام بالولايات المتحدة». الذي وضع، إلىٰ جانب أنشطةٍ كثيرةٍ تحت الإطار ذاته، كتاباً بعنوان: «أبناء إبراهيم؛ مقدمة عن الإسلام لليهود»، الذي تضمَّن الكثير من تشويه المفاهيم والقيم الإسلاميَّة بزعم أنَّهُ مسلمٌ ويفهم الإسلام، ويرىٰ أنَّ بعضها «لا يؤدِّي إلا إلىٰ التَّخلف والإرهاب»[١٢١]. ليتم في المحصلة تقديم الإسلام للغرب بصورةٍ مشوَّهةٍ ممسوخةٍ تنفِّر الغربيين من الإسلام وتحرِّضهم عليه. وليتمَّ تحريض النَّاس علىٰ شراء الكتاب وقراءته راحت

[١٢١] . الجزيرة نت: **مسلمو أميركا يطالبون بوقف نشر كتاب يسيء للإسلام** . الجزيرة نت . الجمعة ١٤٢٢/٢/١٠هـ الموافق ٢٠٠١/٥/٤م.

اللجنة اليهوديَّة «تروِّج بكثرةٍ أنَّ المسلمين أفتوا بقتل مؤلف الكتاب، يعني إمَّا لأنَّهُ يفضحهم أو لأنَّهُم إرهابيون، فيما لا فتوىٰ من أحدٍ في ذَلكَ»[١٢٢].

أولاً: الإساءة للإسلام

الإساءة للإسلام بالمجمل هي الأكثر انتشاراً ورواجاً لأنَّهَا تتمُّ بصفة العموم، وفيما يبدو لا تثير ردود الأفعال الشَّديدة مثلما تفعل الإساءة للرَّسول الكريم صلَّى الله عليه وسلم. وعندما نقول إنَّها الأكثر انتشاراً فمن المتعذَّر بالضَّرورة إحصاءها لكثرتها، ذكرنا بعضاً منها، ونذكر هنا مثالاً واحداً في هٰذا الجانب.

ذكر بيانٌ صحافيٌّ المجلس الإسلامي الأمريكي بشمالي كاليفورنيا تلقَّت الجزيرة نت نسخةً منه أنَّهُ قبل اعتذاراً عن برنامج أذيع يوم الأول من يونيو/حزيران ٢٠٠١م عن الأوضاع في فلسطين علىٰ إذاعة كي جي أو (KGO) المرتبطة بوكالة أي بي سي (ABC) إحدى أكبر وكالات الإعلام الأمريكيَّة، قال مضيف البرنامج «إنَّ الإسلام دينٌ قاتلٌ وخاطئٌ، ومتَّبعيه هم قتلةٌ ومؤمنونَ مزيَّفونَ»[١٢٣]. وحسب بعضهم اعتذرت الإذاعة في اجتماع جَمَعَ مسؤولي فرع (كير . KER) بشمالي كاليفورنيا وبعض المسلمين بمدينة سان فرانسيسكو برئيس الإذاعة ومديرها العام ومدير برامجها ومدير الأخبار حيث اعتذروا جميعاً عن التَّعليقات المسيئة التي

---

[١٢٢] . الجزيرة نت: **اتهام اللجنة اليهودية الأميركية بترويج كتاب يشوه الإسلام باستخدام فتوى إسلامية وهمية** . الجزيرة نت . الخميس ١٤٢٢/٤/١٣هـ الموافق ٢٠٠١/٧/٥م.

[١٢٣] . الجزيرة نت: **على خلفية بث برامج مسيئة للإسلام والمسلمين كير يقبل اعتذار إذاعة أميركية وينتقد وكالة إعلام كندية** . الجزيرة نت . الخميس ١٤٢٢/٤/٢٧هـ الموافق ٢٠٠١/٧/١٩م.

صدرت عبر البرنامج[١٢٤]... الحقيقة المتكرِّر هي أنَّ التَّشويه والإساءة سمعها الجميع، بَيْنَما الاعتذار بقي علىٰ الطَّاولة مع فناجين القهوة.

ثانياً: الإساءة للمسلمين

شيطنة الإسلام والإساءة له لا تكتمل من دون شيطنة المسلمين والإساءة. ذكرنا أيضاً بعض الأمثلة في مواضع أُخْرَىٰ من هٰذا البحث، ونكتفي هنا بواحدٍ من الشَّواهد الشَّهيرة. كلُّنا يذكر أحداث التَّحرش باحتفالات رأس السَّنة ٢٠١٥/٢٠١٦م في مدينة كولونيا الألمانيَّة، إذا ألصقت الاتهامات علىٰ الفور، في السَّاعة الأولى من الحدث، بالمهاجرين السُّوريين وحدهم دون الخلق كلِّهم ومن دون أيِّ دليلٍ أو شبهةٍ سوىٰ أنَّ هٰذه الأحداث وقعت بعد دخول اللاجئين السوريين بكثرة إلىٰ أوروبا، علماً أن اللاجئين السُّوريين لم يشكِّلوا أكثر من عشرين بالمئة من مجموع المهاجرين في هٰذه الموجة. المتوقَّع من بعضهم حينها أنَّ هٰذه الأحداث علىٰ الأرجح مدبَّرةٌ لتصعيد المخاوف من المسلمين ووضع حدٍّ لدخولهم إلىٰ أوروبا، وقد أثبتت التَّحقيقات ما يقترب من ذٰلكَ وعدم وجود أيِّ سوريٍّ بَيْنَ المتحرِّشين... ولٰكن بعد أن فعلت الحملة ما فعلت من تصعيد الإسلاموفيا والشَّحن بالكراهية، ومن دون اعتذار للسوريين أو كشف للحقيقة بالدَّرجة التي يستحقُّها الحدث وما نتج عنه[١٢٥].

---

[١٢٤] . المصدر السابق . ذاته.

[١٢٥] .كانت هٰذه الأحداث الشغل الشاغل للإعلام العالمي حينها حَتَّى بالكاد تجد وسيلة إعلام أو وكالة أنباء لم تقف عندها بالتصورات التي سلف الحديث فيها من اتهامات مرتجلة من دون أي دليل.

ثالثاً: الإساءة للقرآن

الجانب الثَّالث من جوانب الإساءة للإسلام وتشويهه تتَّجهُ إلىٰ القرآن الكريم، وقد ذكرنا فيما سبق بعض الشَّواهد والأمثل. والإساءةُ للقرآن ظاهرةٌ ملأت وسائل الإعلام في السَّنوات العشرين الأخيرة مما ذكرناه ووما لم نذكره، نقف هنا عند ما حَدَثَ منذ أيامٍ قليلةٍ إذ كَتَبَ **خرت فيلدرز** وهو أحد نواب البرلمان الهولندي مقالةً في صحيفة دي فولكسكرانت اليوميَّة حَشَدَ فيها أنواع الطَّعن والإساءة والتَّشويه والتَّحريض قال علىٰ سبيل المثال: «احظروا هٰذا الكتاب الكريه مثلما تمَّ حظر كتاب كفاحي. ابعثوا بإشارةٍ إلىٰ الإسلاميين بأنَّ القرآن لا يمكن علىٰ الاطلاق أن يستخدم في بلادنا ذريعةً أو مصدر إلهام للعنف، يجب حظر بيع القرآن أو استخدامه في المساجد أو في المنازل»[١٢٦]. وهٰذا مشروع **فيلدرز** منذ أكثر من عشر سنوات وهو ينادي بمناسبةٍ أو من دون مناسبةٍ. ومع ذٰلكَ كلِّه بالكاد تجد حديثاً عنه في وسائل الإعلام الإسلاميَّة وتسليطاً للأضواء عليه.

هٰذا شاهد من شواهد جدٍّ كثيرة لا بُدَّ من التَّذكير هنا بحملات حرق القرآن المتكررة في أمريكا خاصَّة علىٰ يد قساوسة، وحملات تزوير القرآن بجهود أمريكية علىٰ نحو الخصوص.

رابعاً: الإساءة للرسول ﷺ

الجانب الرَّابع من جوانب الإساءة للإسلام وتشويهه هو تناولُ شخص الرسول الكريم **محمد صلى الله عليه وسلم** مباشرة. الإساءة للرسول صلى الله

---

[١٢٦] . فرنس ٢٤: **هولندا؛ حزب الحرية يتعهد بإغلاق المساجد وحظر القرآن** . فرانس ٢٤ . ٢٠١٦/٨/٢٦م.

عليه وسلم أيضاً ليست جديدةً، ولا يمكن تشويه الإسلام وشيطنه من دون الطَّعن في رسول الإسلام. وإذا كنَّا نعرف أنَّ بعض كبار أعلام الغرب قد أطروا علىٰ الرسول صلى الله عليه وسلم إطراءات جدِّ جميلة فإنَّهُ بالكاد يسمع أحدٌ في الغرب بهٰذه الإطراءات، ولٰكنَّهُم يتداولون الإساءات والطَّعن في واد وناد.

ذكرنا بعض هٰذه الإساءات وكثيراً منها لم نذكرها لكثرتها أو اشتهارها. نقف عند شاهدٍ ومثالٍ واحدٍ من عام ٢٠٠٢م. ففي شباط من هٰذا العام «أعلن مسؤولون في بنچلاديش أنَّ الحكومة صادرت جميع نسخ العدد الأخير من **مجلة نيوزويك الأمريكيَّة** بسبب تضمُّنها صورةً للنبي **محمد عليه الصَّلاة والسَّلام**، وقالوا إنَّ داكا حظرت نشر وبيع وحفظ أي عدد من المجلة الصَّادرة يوم الحادي عشر من الشَّهر الحالي (شباط/ فبراير ٢٠٠٢م)»[١٢٧]. ولم نسمع عن مثل هٰذا الإجراء في أماكن إسلاميَّة أُخْرَىٰ إما لعدم علمهم بها أو رضاهم عنها.

وبعد شهرٍ واحدٍ فقط أي في نيسان/ أبريل عام ٢٠٠٢م نشرت **مجلة التايم الأمريكيَّة** الأسبوعيَّة صورة كاريكاتيريَّة للرسول **محمد صلى الله عليه وسلم** وقد ووجهت باحتجاجات عنيفة من قبل طلاب المدارس الدينيَّة في سرينچار العاصمة الصَّيفيَّة لإقليم جامو وكشمير الخاضع للسَّيطرة الهنديَّة»[١٢٨]... ولا نعرف عن غير هٰذه الاحتجاجات شيئاً إلا الاحتجاجات

---

[١٢٧] . وكالة الأنباء الفرنسية: **داكا تصادر عددا من مجلة أميركية نشرت صورة للرسول** . الجزيرة نت . الجمعة ١٤٢٢/١١/٢٦هـ الموافق ٢٠٠٢/٢/٨م.

[١٢٨] . وكالة الأنباء الفرنسية: **داكا تصادر عددا من مجلة أميركية نشرت صورة للرسول** . الجزيرة نت . الجمعة ١٤٢٢/١١/٢٦هـ الموافق ٢٠٠٢/٢/٨م.

الواسعة في ماليزيا التي اضطرت أجهزة الرقابة الماليزيَّة إلىٰ سحب هٰذا العدد من منافذ بيع الصُّحف باعتباره يسيء إلىٰ الرسول الكريم **محمد صلى الله عليه وسلم**[١٢٩].

أكثر الدُّول الإسلاميَّة لم تسمع بهٰذه الإساءة بل الأَحْرَىٰ أنَّها لم ترد أن تسمع عنها ولا أن يعلم أحد من شعوبهم عنها شيئاً. ومثل ذٰلكَ ما حدث ويحدث مع كثير من الإساءات المماثلة للإسلام والمسلمين والقرآن والرسول الكريم.

الأمر لا يتوقَّف هنا، القس الأمريكي **جيري فالويل** قال في مقابلة تلفزيونية في محطة كريستشان برودكاستينغ نيتوورك في أوائل تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢م إنَّهُ «يعتقد أنَّ **النبي محمد** (صلى الله عليه وسلم) كان إرهابيًّا»[١٣٠]. وهذه ليست الإساءة الوحيدة فمثلها كثير وكثير جدًّا.

هٰذه مشاهد عامٍ واحدٍ من تاريخٍ طويلٍ من الإساءة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم التي من أشهرها في السَّنوات الأخيرة جريمة الرسوم المسيئة في صحيفة (يلاندز بوستين) الدانماركية في ٣٠ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥م التي أثارت غضباً عارماً في العالم الإسلامي كلِّه تقريباً. وبعد تكرر الأمر غير مرَّة.

---

[١٢٩] . رُبَّما كانت السلطات الماليزية لتحرك ساكنا لولا هٰذه الاحتجاجات، والدليل أنَّهُ حيث لم يوجد احتجاج لم يدر أحد بالقصة.

[١٣٠] . وكان ذلك عبر محطة تلفزيون كريستشان برودكاستينغ نيتوورك تناقلتها وكالات أنباء مختلفة وكثيرة: **واعظ مسيحي أمريكي يشبه المسلمين بالنازيين** . الجزيرة نت . الأربعاء ١٤٢٣/٩/٨هـ الموافق ٢٠٠٢/١١/١٣م. وله إساءات أُخْرَىٰ غير قليلة، انظر مثلاً: وكالة الأنباء الفرنسية: **قس أميركي يهاجم النبي الكريم ويثير غضب المسلمين** . الجزيرة نت . الخميس ١٤٢٣/٤/٢هـ الموافق ٢٠٠٢/٦/١٣م

خامساً: تشويه كل ما يمت للإسلام

الجانب الخامس من جوانب الإساءة للإسلام وتشويهه يتناول كلَّ ما يخطر في البال ولا يخطر من أمور وأحكام وقضايا تتصل بالإسلام من قريبٍ أو بعيدٍ. نحن هنا في حقيقة الأمر أمام قصَّةٍ طويلةٍ عريضةٍ تحتاج وحدها، مثل أيٍّ من الجوانب الأُخْرَىٰ، إلىٰ وقفةٍ مستقلَّةٍ مطوَّلةٍ. من ذٰلكَ علىٰ سبيل المثال أنَّهُ علىٰ الرَّغْمِ من أنَّ عدد المسلمين بالأصول لا بالسلوك ولا بالمظهر لا يزيد عن ٣% أو ٤% في أوروبا أو أمريكا فإنَّك، حسبما أشار **بانجاك ميشرا** في الچارديان يوم السبت ٢٠٠٩/٨/١٥م، تندهش من سيلٍ عَرَمْرَمٍ من تكرار قولهم: «إنَّهُم يحتلُّون شوارع المدن»[١٣١]. أن يكون مسلمٌ واحدٌ في مدينة غربيَّةٍ فهٰذا احتلال إسلاميٌّ لها!!!

الإسلاموفوبيا كما بَيَّنَا ليست رهاب مواطنين جماعات أو فرادىٰ أكثرَ مما هو ممارسةٌ ممأسسةٌ، سياسة دولةٍ. ومحاربة المظاهر الإسلاميَّة ليست مقتصرة علىٰ جانب واحدٍ وإنما تطالُ أيَّ جانبٍ تلوح لهم إمكانيَّته أو سهولته، ومن ذٰلكَ علىٰ سبيل المثال: علىٰ الرَّغْمِ من كلِّ الدِّراسات الأوروبيَّة ذاتها التي أثبتت أنَّ الذَّبح بالطَّريقة الإسلاميَّة هو الأكثر رأفة والأكثر رحمة والأكثر صحيَّة «قالت لجنة استشاريَّة تمولها الحكومة البريطانيَّة اليوم الثلاثاء ٢٠٠٣/٦/١٠م إنَّ ذبح الحيوانات وفقاً للشَّريعة الإسلاميَّة يجب أن يحظر في بريطانيا علىٰ الفور»[١٣٢].

---

[١٣١] . إبراهيم درويش : **كتابات أمريكية تروج لفكرة أسلمة أوروبا** . موقع مصرس . ١٧ / ٠٨ / ٢٠٠٩م. منشور أيضاً بصحيفة **القدس العربي** ١٧ آب/ أغسطس ٢٠٠٩م.

[١٣٢] . رويتر: **هيئة بريطانية تطلب حظر الذبح وفقا للشريعة الإسلامية** . الجزيرة نت . الثلاثاء ١٤٢٤/٤/١٠هـ الموافق ٢٠٠٣/٦/١٠م.

مهما كانت مزاعمهم فهي متهاوية أمام دراساتهم هم لا دراستنا نحن. وبريطانيا ليست الوحيدة في ذَلكَ بل سبقتها دولتها وتلتها دول وترافق ذَلكَ مع حملات إعلاميَّة ومظاهرات علىٰ مدار نحو خمسين سنين سبقت من الطَّعن في الإسلام لوحشيته في ذبح الحيوانات وما زالت إلىٰ يومنا هٰذا[١٣٣]!!

سادساً: المسلمون وحدهم الظلاميون

منذ وعيت علىٰ الدُّنيا وإلىٰ اليوم لم أجد أحداً أو فريقاً يوصف بالظَّلاميَّة إلا المسلم الذي يدافع عن الإسلام. وعندما أقول الإسلام فأنا أعني السُّنة، السُّنة ليست طائفةً، السُّنة ليست مذهباً، السُّنَّة هي الإسلام، هي الأمَّة الإسلاميَّة.

حَتَّىٰ غير المسلم مهما كان دينه أو لا دينه إن دافع عن الإسلام فهو موضوعيٌّ وعقلانيٌّ وعلميٌّ وراقٍ وحبَّاب ومحترمٌ. فقط المسلم الذي يدافع عن الإسلام هو الظلاميُّ.

ومن طريف التَّناقضات هنا أنَّ المسلم وغير المسلم من أيِّ دينٍ أو لا دينٍ إذا هاجم الإسلام بأيِّ طريقةٍ من الطُّرق فهو يمارس حريته، وهو شجاعٌ، وهو موضوعيٌّ، وهو نبراس الوعي والنضج... هو كذَلكَ مهما كانت طريقة الهجوم؛ مؤدَّبة، غير مؤدَّبة، فيها إساءة، فيها تشويه، فيها تحريف، فيها تخريف... لا يهم، المهم أنت تحوز أوسمة الشَّجاعة والبطولة والنبل وتعتلي المحافل الدوليَّة ويُفرش لك السُّجاد الأحمر عندما تهاجم الإسلام.

[١٣٣] . من الملفت هنا أن نشير إلىٰ أننا لو رأينا كيف يتعاملون مع (ذبح الحيوانات) بطريقتهم في المصانع لوقف شعر الرأس متخشباً بل لشعرنا بتجمد الدم في عروقنا هلعاً.

المفارقة المضحكة المبكية هنا هي أنَّ غير المسلم من أيِّ دينٍ أو لا دينٍ إن دافع عن الإسلام فهو بطلٌ ونبيلٌ وعلميٌّ وعقلانيٌّ... وإذا هاجم الإسلام فهو أيضاً بطلٌ ونبيلٌ وعلميٌّ وعقلانيٌّ... أمَّا المسلم فهو بطلٌ ونبيلٌ وعلميٌّ وعقلانيٌّ... فقط إذا هاجم الإسلام أمَّا إذا دافع المسلم عن الإسلام فهو ظلاميٌّ. بل ويا للغرابة والدَّهشة عندما تجد العالم يشيد براجحة عقل أحدهم وأهميته وعظمته وفجأة من دون مقدمات يصير مجنوناً، مخرِّفا، فقد عقله... فقط إذا تحول إلىٰ الدِّفاع عن الإسلام بعد أن كان يهاجمه.

في المقابل، المسيحية قبل الإسلام، وعدد المسيحيين أكثر من عدد المسلمين، وهناك مسيحيون يدافعون عن المسيحيَّة بشدَّة، وبتعصُّبٍ، وبتطرُّف، ومع ذَلكَ لم أجد عَبْرَ عشرات السِّنين من يصف هؤلاء بالظلاميين!!!

اليهوديَّة قبل المسيحيَّة وقبل الإسلام، وبالقياس اليهوديَّة أقليَّة في ميزان الأكثريات الدِّينية والعرقيَّة. وفيها متطرِّفون يفوقون تطرف المسلمين والمسيحيين، ومع ذَلكَ لم أجد أبداً عَبْرَ ما مضى من عشرات السِّنين من يصفهم بالظلاميين!!!

الهندوسيَّة، والبوذيَّة المنبثقة عنها اللتان تسبقان هٰذه الأديان الثَّلاث بمئات السِّنين، وعدد معتنقيها يساوي كلاً من الدِّيانتين علىٰ حدةٍ، وهي بمنزلة الديانة الوثنيَّة مقارنة مع الأديان السماويَّة، فيها من المتطرِّفين أيضاً ما لا يقلُّ عن تطرف المسلمين واليهود والمسيحيين. ومع ذَلكَ لا توجد أيُّ إشارةٍ أو كلامٍ أو تصريحٍ أو تلميحٍ إلىٰ ظلاميَّةٍ هندوسيَّةٍ أو بوذيَّةٍ!!!

حسناً، حَتَّىٰ في العقائد الإلحاديَّة بمختلف أنواعها يوجد متطرفون يفوقون بتطرُّفهم تطرُّف متطرِّفي الأديان السَّماويَّة والوضعيَّة والوثنيَّة... والعقائد الوثنيَّة

فيها كذلكَ متطرفون... ومع ذلكَ لم نجد أبداً من تحدَّث في يومٍ من الأيَّام عن الظلاميَّة الشِّيوعيَّة أو غيرها!!

لماذا المسلمون حصراً هم الظَّلاميون؟

إذا كان الموضوع موضوع تطرُّف فقد وجدنا أنَّ الجميع على الأقلِّ متطرِّفون مثل المتطرِّفين المسلمين، فلماذا المسلمون وحدهم ظلاميون، والآخرون يمارسون حريتهم، وليسوا ظلاميين؟

سيقول قائل: رُبَّما لأنَّ المسلمين ينادون أو يريدون العودة إلى زمن الرسول أو يريدون تطبيق الشَّريعة الإسلاميَّة!!! عجباً، وهل المتطرفون في الأديان الأُخْرَى ينادون بخلاف ذلكَ؟ الأولى إذن أن منتسبي الأديان الأُخْرَى هم من يجب أن يوصفوا بالظلاميين لأنَّ الإسلام أحدث هٰذه الأديان، أولئك يغرقون أكثر في الماضي! هٰذا مع تذكُّر أن الاتهام يوجه لكلِّ مسلمٍ ملتزم، وليس فقط للمتطرف المسلم، فيما نحن نتحدث عن متطرفي الأديان الأُخْرَى لا عن الملتزمين دينيًّا فيها.

إذن لماذا المسلمون حصراً هم الظلاميون؟

أرجو أن لا نخلط بَيْنَ الظلاميَّة والإرهاب، تهمة الإرهاب ناقشناها في أكثر من مكان هنا وفي غير هٰذا البحث. الإرهاب مرتبطٌ بالوحشيَّة والدَّموية سلوكاً، أمَّا الظَّلاميَّة فتهمةٌ تنصب على العقليَّة. ونحاول أن نعرف لماذا عقليَّة المسلم إذا التزم بدينه كانت ظلاميَّةً، بَيْنَما عقليَّة أيِّ ملتزمٍ بدينه من الأديان الأُخْرَى لا تكون ظلاميَّة!! لماذا فقط المسلم إذا دافع عن دينه يكون ظلاميًّا، ولا يكون غير المسلم ظلاميًّا إذا دافع عن دينه؟!

مثل الإرهاب كلمة بلا معنى محدد، وتهمة محدَّدة الهدف، كذلكَ الظلاميَّة، لا نعرف ما المقصود منها، لأنَّنا علىٰ ضوء كلِّ ما تحمله من معاني نجد أنَّ الظلاميَّة تنطبق علىٰ كل ما هو غير إسلاميٍّ أكثر مما تنطبق علىٰ الإسلامي فلماذا يسير الجميع عكس المنطق؟

ويزداد الأمر تعقيداً عندما نعلم أنَّ الاتهام مقرونٌ بالإسلامي تحديداً وليس بالاجتماعيِّ، أي ليس بعقليَّة الشَّخص الاجتماعيَّة. فلا يتهم السُّلوك بالظلاميَّة إذا لم يكن مقترناً بالدِّفاع عن الإسلام أو المناداة به.

الظلاميَّة تكريس الجهل وتكريس التَّخلف ومحاربة العلم... هل يمكن أن تتضمن غير ذَلكَ؟ حسناً، قارنوا بَيْنَ الإسلام وكلِّ الأديان. أيُّها أكثر احتراماً للعلم ودعوة للعلم وحضًّا علىٰ العلم ومحاربة الجهل والتَّخلف، أيَّها أكثر حضًّا علىٰ التَّفكير، أيُّها أكثر حضًّا علىٰ عدم الاتباع الأعمى...؟؟؟ قطعاً، الإسلام علىٰ رأس الأديان التي تحترم العلم والعلماء، أكثرها دعوة وسعياً إلىٰ التَّفكير وإعمال العقل ومحاربة البدع والخرافات والأساطير والجهل والتَّخلُّف... هٰذه حقيقة باتت فوق أيِّ شكٍّ. فكيف يوصف من يدافع عن هٰذا الدِّين بالظَّلاميَّة؟

سيقول بعضٌ: إنَّ الإسلام، أو الأديان كلها، تضع قيود على العلم والحرية... حسناً، الأديان كلُّها متساويةٌ في ذَلكَ، فلماذا توجه تهمة الظَّلاميَّة إلىٰ الإسلام تحديداً دون الأديان كلِّها؟!

لن يبقى السُّؤال معلقاً من دون جواب. كلٌّ لديه جوابه. ولٰكن لكلٍّ الأرضيَّة الخاصَّة به التي يقف عليها. الأرضيَّات مختلفةٌ. لا يمكن لذَلك التَّفاهم.

الحوار بَيْنَ أرضيتين متخالفتين يشبه مسار مستقيمين شماليين؛ لا يلتقيان ولا يتوازيان ولا يتقاطعان.

أسطورة الإرهاب الإسلامي

هنا نحنُ أمام قصَّة القصص وأسطورة الأساطير وأعجوبة الأعاجيب... ومهما كتبنا في هٰذا الموضوع نظلُّ مقصِّرين... لا نعرف من أين نبدأ ولا أين نقف أو ننتهي.

الإرهاب عدوانٌ من دون سببٍ، لا أحد يعتدي علىٰ أحدٍ من دون سببٍ إلاَّ إذا كان مجنوناً أو مختلاً عقليًّا. المختل عقليًّا فردٌ ولا يمكن أن يكون أمَّةً، ولا مجتمعاً بحالٍ من الأحوال. فكيف إذن تحاربون الإسلام كلَّهُ وكيف تحكمون بأنَّهُ إرهابيٌّ بسبب شخصٍ مختلٍّ أو مجنون ينتمي إليه؟

أقول ذٰلكَ علىٰ افتراض أنَّ ما قام به هٰذا المسلم أو ذاك فعلاً إرهاباً من دون سببٍ كما تبدو الصُّورة المصدَّرة للإعلام. لأنَّ الحقيقة ليست كذٰلكَ أبداً. الحقيقة مفارقة لهٰذه الصُّورة بل متعاكسة معها تماماً. إنَّهُم ببساطة يرون الإرهاب هو الإسلام والإسلام وفقط الإسلام هو الإرهاب.

أولاً: المسلمون وحدهم المتطرفون[١٣٤]

أينما وردت كلمة الإسلام فهي تعني السُّنَّة:

الاتحاد الإفريقي يجتمع لبحث وسائل مكافحة الإسلام المتطرِّف...

الاتحاد الأوروبي مستنفرٌ منذ زمنٍ طويلٍ لمكافحة الإسلام المتطرِّف...

أمريكا متفرِّغة منذ زمانٍ لمحاربة الإسلام المتطرِّف...

---

[١٣٤] . هذه الفقرة مقال قصير نشر علىٰ صفحتي في ٢٠١٤/٧/٣م وفي مواقع التواصل الاجتماعي.

مجلس تعاون الخليج يجتمع أسبوعيًّا لمكافحة الإسلام المتطرِّف...

النِّظام السُّوريُّ يحارب الإسلام المتطرِّف...

النِّظام العراقيُّ يحارب الإسلام المتطرِّف...

النِّظام المصريُّ يحارب الإسلام المتطرِّف...

روسيا تشارك الجميع في محاربة الإسلام المتطرِّف...

إيران وإسرائيل تحاربا الإسلام المتطرِّف...

جامعة الدُّول العربيَّة تحارب الإسلام المتطرِّف...

الأمم المتحدة تحارب الإسلام المتطرِّف...

الله أكبر والعزة لله

في الدُّنيا أكثر من مئتي دين

كلُّ الدنيا مجتمعةٌ فقط علىٰ محاربة الإسلام المتطرِّف...

أيعقل أنَّهُ لا يوجد في الدُّنيا متطرِّفين غير مسلمين تجب محاربتهم؟

أيعقل أنَّ الإسلام وحده فيه تطرُّف وبقيَّة الأديان في غاية الاعتدال؟

والمضحك أنَّ المسلمين يتذرَّعون بكثيرٍ من الأسباب لهٰذا الهوان... والمضحك أكثر أنَّهُم يلوذون بهٰذه الذَّرائع ولا يعلمون من أجل وضع حدٍّ لهٰذا الهوان... لهٰذا إذا لم نتكلم عن تكريسهم الهوان الذي هم فيه.

في السِّياق ذاته: تشرَّد أكثر من اثني عشر مليون سوري، وكل ما فعله العالم هو تقديم بطانيات وفراشي أسنان بلا معجون... في حين أنَّهُ في الوقت ذاته تشرد ألفا مسيحي في الموصل فتكركب العالم كله، وهو في حالة استنفار وإدانة ولا أدري ماذا يحاك من وراء الكواليس.

ألفا مسيحي غادروا... غادروا الموصل، فاهتاج العالم وثار وما زال في حالة استنفار، في حين أنَّهُ في الفترة ذاتها تماماً، ارتكبها المسيحيون أبشع المجازر والتهجير بحقِّ نحو مليوني مسلمٍ في أفريقيا الوسطى ولم يتحرَّك ساكنٌ في المجتمع الدولي!!!

أقل من مئتين وخمسين أيزيداً هربوا من داعش في سنجار فأسفط عليهم الطيران الأمريكي عشين ألف سلة إغاثيَّة، واهتاج العالم هيجاناً محموماً مستنفراً الهمم لإنقاذهم ونجدتهم...

أبشع المجازر والتهجير ارتكبت بحق مئات آلاف المسلمين في بورما ولم نجد أيَّ صخبٍ أو ضجيجٍ لإدانة ذَلكَ من قبل المجتمع الدولي.

أكثر من اثني عشر مليون مسلمٍ شرَّدهم النِّظام السُّوري وقتل مئات الألوف بمجازر متنوعةٍ علىٰ مدار نحو ست سنواتٍ متتاليةٍ غير منقطعةٍ والمجتمع الدولي لا يتصرف أيَّ تصرف، بل يدعم النِّظام ويؤازره ويمنع الثُّوَّار من التَّسلُّح ويحاربهم ويحاصرهم لأنَّهُم مسلمون... وفي إيران ملايين المسلمين يعانون التنكيل والتَّمييز والاضطهاد والقتل ولا أحد يدري عنهم شيئاً...

ويسألون: لماذا يكرهنا المسلمون؟

من يكره من؟؟؟

أليس الغرب هو من يصنع التَّطرُّف الذي لا يقبل الحوار؟ لهذا علىٰ افتراض أنَّ هناك تطرُّفٌ إسلاميٌّ، لأنَّ الاتهام غير مقبولٍ من أساسه، وعلىٰ افتراض أنَّ التَّطرُّف الإسلاميَّ المزعوم الذي يتحدثون عنه والموجود فعلاً ليس أكثر رأفةً ورحمةً من التَّطرُّف الغربيِّ بمئات بل بآلاف المرَّات.

ماذا يمكن أن يفعل المسلمون وكيف يمكن أن يفكروا وهو يرون أنَّ الإرهاب ضدَّ المسلمين هو سلوكٌ حضاريٌّ، ومساعدة المسلمين بأيِّ شيءٍ هو سلوك إرهابيٌّ في عرف السِّياسة الغربيَّة والثَّقافة الغربيَّة؟

لا حظوا مثلاً: أكثر من سبعمئة شاب فرنسيٍّ أعمارهم ما بَيْنَ ١٦و١٨ سنة يلتحقون للقتال مع الجيش الصِّهيوني وارتكاب مجازر في غزة. ولٰكن لا أحد في العالم انشغل باله بهم!!! ولا أحد في العالم سأل عنهم أو سألهم لماذا!! ولا أحد في العالم خاف عليهم، ولا خاف من إرهابهم بحقِّ الفلسطينيين!!! ولا أحد في العالم خاف من عودتهم إلىٰ بلادهم بعد انتهاء الحرب!!!

بَيْنَما مثلهم أو أقل منهم من الفرنسيين جاء إلىٰ سوريا دعماً للثَّورة فضاج العالم كلُّه، ضاجت أروقة السِّياسة والإعلام ومراكز الأبحاث وانعقدت النَّدوات والمؤتمرات وحلقات الأبحاث... لبحث هٰذه الظَّاهرة وتداعياتها ومخاطرها ومراشحها ومشاحرها، وكيف سيعودون إلىٰ بلادهم، وماذا سيفعلون عندما يعودون، وماذا لن يفعلوا عندما يعودون، أو لا يعودون...

وماذا يمكن أن نقول عن تأييد غالبيَّة الأمريكيين للمجزرة الإسرائيليَّة في غزة؟

هل يمكن أن نسمِّي ذٰلكَ رحمة أم إنسانيَّة مثلاً؟

لماذا لا يقولون: إنَّ هٰذا تطرُّفٌ؟

لماذا لا يدرسون هٰذه الظَّاهرة علىٰ أنَّها شاذَّةٌ أو خاطئةٌ ما زالوا يحاسبون العرب والمسلمين كلهم لغلطة واحدٍ أو عددٍ قليلٍ من الأشخاص، ورُبَّما يكون عالم المخابرات الغربيَّة هو الذي سخرهم واستخدمهم؟؟

لن نخوض غمار تفاصيل لا تكفيها دفاتر ولا كتب، وكتبنا عن أمثالها غير مرَّةٍ وكتب الكثيرون في ذَلكَ. ولٰكن نحن الآن في قلب وجع نقرأ بعض مظاهرة. تلك المظاهر التي تؤكِّد ما يسمَّى الازدواجيَّة العمياء الرَّعناء. كلُّ ما يقود إلىٰ قتل المسلم أو يقتله فعلاً فهو بطولةٌ وإنجازٌ حضاريٌّ. وكل ما يفعله المسلم حَتَّىٰ ولو كان حضارياً فهو إرهاب. الإسلام هو الإرهاب والمسلم هو الإرهابيُّ.

ألمانيٌّ اعتنق الإسلام، رأى ظاهرة شيطنة الإسلام والمسلمين، اسمه **صلاح الدين بيافوجن**، وقد سأله أحد ما في سجالٍ عن العلاقة بَيْنَ الإرهاب والإسلام فقال:

. من الذي أشعل الحرب العالميَّة الأولىٰ؟ المسلمون؟!

. من الذي أشعل الحرب العالميَّة الثَّانية ؟ المسلمون ؟!

ـ من الذي قام بقتل ٢٠ مليون نفسٍ بشريَّة من سكَّان أستراليا الأصليين؟! المسلمون؟!

ـ من الذي أرسل القنابل النَّوويَّة لتضرب هيروشيما وناجازاكي؟ المسلمون؟!

. من الذي قام بقتل ما يزيد علىٰ الـ ١٠٠ مليون هنديٍّ من الهنود الحمر في أمريكا الشَّماليَّة؟ المسلمون؟!

ـ من الذي قام بقتل أكثر من ٥٠ مليون هنديٍّ من الهنود الحمر في أمريكا الجنوبيَّة؟ المسلمون؟!

. من الذي قام باسترقاق حوالي ١٨٠ مليون أفريقيٍّ كعبيد وقد توفي حوالي ٨٨% منهم وتَمَّ إلقاؤهم في المحيط الأطلنطي؟ المسلمون؟!

وتابع قائلاً: لا... لم يكونوا المسلمين!!!!

ثمَّ أردف قائلاً: «قبل كلِّ ذلكَ عليك أن تقوم بتحديد معنى الإرهاب جيِّداً؛ فلو أنَّ غير المسلم قام بفعل شيء خاطئ فإنَّها حينئذٍ تكون مجرَّد جريمةٍ، أمَّا حين يقوم مسلمٌ بارتكاب الخطأ نفسه فإنَّهُ حينئذ يوصف بالإرهاب!!! عليك أوَّلاً ألا تكيل بمكيالين وستعرف من هم الإرهابيون الحقيقيون!!».

ثانياً: صورة من الازدواجية

إنَّ محض طرح سؤال: هل هناك ازدواجيَّة في السِّياسة الغربيَّة سيثيرُ غضب الكثيرين، ورُبَّما الهيجان الانفعالي الشَّديد عند عددٍ غير قليلٍ من أبناء العالم العربيِّ خاصَّةً والإسلاميِّ عامَّة. وأن أبدأ الجواب علىٰ الفور بأنَّهَا ليست ازدواجيَّة أمرٌ سيثير حفيظة الكثيرين ورُبَّما علامات الاستفهام التي قد تصل إلىٰ حدِّ الشُّبهة في صاحب هٰذا الجواب.

ومع ذٰلكَ سأقول سلفاً إنَّهَا ليست ازدواجيَّةً. ما يمارسة الغرب مما يبدو ازدواجيَّةً صارخةً ليس في حقيقة الأمر ازدواجيَّةً أبداً. كم من حالةٍ مرَّت معنا وجدنا لها فهماً متناقضاً من طرفين متناقضين أو رُبَّما غير متناقضين؟ والحالة هي ذاتها!!

منذ ربع القرن كتبت عن ازدواجيَّة المجتمع الدولي عشرات المقالات والأبحاث. أوَّلها كتابٌ كاملٌ اسمه الأمم المتحدة بَيْنَ الاستقلال والاستقالة والتَّرميم ١٩٩٣م[١٣٥]. وفي قبله كثيرٌ من كتاب: كيف ستواجه أمريكا العالم ١٩٩٢م[١٣٦]، وبعدهما كتاب: انهيار أسطورة السلام ١٩٩٤م[١٣٧]، ومنها

[١٣٥] . الدكتور عزت السيد أحمد: **الأمم المتحدة بين الاستقلال والاستقالة والترميم** . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.

[١٣٦] . الدكتور عزت السيد أحمد: **كيف ستواجه أمريكا العالم؟** . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.

كتاب انهيار مزاعم العولمة ٢٠٠٠م[١٣٨]، ومنها مناقشات مباشرة لهذه الظَّاهرة في كتبي: أعاجيب السِّياسة الأمريكيَّة ٢٠٠٨م[١٣٩]، عالم مجنون ٢٠٠٨م[١٤٠]، بشريَّة عمياء عرجاء ٢٠٠٩م[١٤١]... وقبلها بضع مقالات وبعدها عشرات المقالات.

ولكنِّي كنت أشير دائماً إلىٰ أنَّهَا المصالح وحكم القوي، وإن فَقَأَتْ عين العقل والمنطق... المشكلة أنَّ التَّناقضات في هٰذه الازدواجيَّة تربك العقل وتربك المنطق وتربك الأخلاق ولا تترك لك مجالاً للمجادلة، إلىٰ درجة أنَّ غربيين أمحاضاً عندما يقفون لحظة أمام العقل لا يجدون مناصاً من الاعتراف بهٰذه الازدواجيَّة والتَّناقضات، وقد ذكراً بعضاً منهم وسنذكر بعضاً آخر... ازدواجيَّة الغرب والمجتمع الدولي التي تفقأ أعين العقل والمنطق والأخلاق لا حدود لها.

في أواسط عام ٢٠١٤م لأنَّ جنوب السُّودان المسيحي تعرض لبعض المخاطر لم تتأخر الأمم المتحدة غير بضع ساعات لتلوِّح بتطبيق الفصل السَّابع في جنوب السُّودان لحماية المواطنين.

---

[١٣٧] . الدكتور عزت السيد أحمد: **انهيار أُسطورة السَّلام؛ مصير السَّلام العربي الإسرائيلي** . الطبعة الأولى: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. الطبعة الثانية: دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٣م.

[١٣٨] . الدكتور عزت السيد أحمد: **انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها** . اتحاد الكتاب العرب . ٢٠٠٠م.

[١٣٩] . الدكتور عزت السيد أحمد: **أعاجيب السياسة الأمريكية؛** مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.

[١٤٠] . الدكتور عزت السيد أحمد: **عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.

[١٤١] . الدكتور عزت السيد أحمد: **بشرية عمياء عرجاء؛** مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

كم هي مفعمةٌ بالإنسانيَّة هٰذه الأمم المتحدة؟!؟!

وقبل ذٰلكَ بأيَّامٍ قليلةٍ ما إن اندلعت المواجهات في جنوب السُّودان حَتَّىٰ أرسلت فرنسا قواتها للتَّدخُّل ووقف العنف ريثما يتَّخذ مجلس الأمن القرار المناسب.

وقبل أشهرٍ قليلةٍ حَشَدَتْ فرنسا جيشها وذهبت إلىٰ مالي لاسترداد المناطق التي حرَّرها الثُّوار الإسلاميون في مالي وإعادتها إلىٰ سلطة الدَّولة...

إنَّهَا وعي المصالح. ولٰكنَّهَا ازدواجيَّة صارخة أكثر مما تتخيلون، وتتضح الصُّورة بما لا يقبل الشَّكَّ عند ربطها بأمثالها ونظائرها في الوقت ذاته لا في أوقات أُخْرَىٰ. لننظر في صراخ أدعياء الحضارة اليوم ومنذ سنواتٍ قليلةٍ هي المرافقة للرَّبيع العربيِّ، يسمُّونها صرخات الضَّمير العالمي، يصرخون:

تهجير الأقليَّات المسيحيَّة جريمةٌ كبرىٰ...

تهجير الأقليَّات الأيزيديَّة جريمةٌ كبرىٰ...

يجب حماية الأقليَّات الأيزيديَّة...

يجب حماية الأقليَّة المسيحيَّة في سوريا...

يجب حماية الأقليَّة المسيحيَّة في العراق...

يجب تقديم ضمانات للأقليَّة العلويَّة في سوريا...

لا يجوز السُّكوت علىٰ ما يحدث للأقليَّة الكرديَّة في العراق...

يجب دعم الأقليَّة الكرديَّة في سوريا لتحمي نفسها...

هٰذا كلُّه هو الكلام الحضاري الرَّاقي المفعم بالإنسانيَّة. أمَّا قيام الأقليَّة أيُّ أقليَّةٍ بإبادة أكثريَّة مسلمة، بذبح مئات ألوف المسلمين، وتشريد ملايين المسلمين، وتدمير منازل ملايين المسلمين، وتدمير آلاف مساجد المسلمين...

فهذا سلوكٌ حضاريٌّ لا يجوز الاعتراض عليه... ومن يعترض عليه فهو متخلِّف ورجعيٌّ وانتهازيٌّ يجب أن يحجر عليه... فهو إرهابي يجب القضاء عليه.

ولٰكن، ومع ذٰلكَ، هناك تناقضٌ فاضحٌ في الاستنفار لحماية الأقليَّات... وسؤالٌ يظهر فوق كلِّ الرُّؤوس بقوَّة:

هل هناك أقليَّات محدَّدة هي التي يجب حمايتها أم يجب حماية أيِّ أقليَّة؟ فلقد تعرَّضت أقليَّة مسلمي الروهينچيا لمجازر لا يمكن أن تصدَّق من شدَّةِ وحشيتها ولم يتحرَّك هٰذا الضَّمير الأقلياتوي علىٰ الرَّغْمِ من أنَّها تفوق وحشيَّة كلِّ ما يمكن تخيُّله، وتتجاوز كلَّ ما مارسه مسلم (سنيٌّ) فرد أو مجموعة أو جماعة أو تنظيم عبر التاريخ كلِّه!!!

كذٰلكَ، لقد تعرَّضت أقليَّة مسلمي أفريقيا الوسطى لمجازر وحشيَّة مماثلةٍ لمذابح الروهينجيا وأيضاً لم يتحرَّك الضَّمير الأقلياتويُّ أيضاً علىٰ الرَّغْمِ من أنَّها تفوق وحشيَّة كلَّ ما ما يمكن تخيله، وتفوق كلَّ ما مارسه مسلمٌ (سنيٌّ) فرد أو مجموعة أو جماعة أو تنظيم عبر التاريخ أيضاً!!!؟

ومثل ذٰلكَ حَدَثَ في العراق للمسلمين علىٰ يد النِّظام الشِّيعي أو الشِّيعة قولوا ما شئتم، وقد قال **أوباما**: «السُّنَّة أقليَّة في العراق»... ومع ذٰلكَ لم يتحرَّك ضمير **أوباما** الأقلياتويُّ ولا ضمير غيره لنجدتهم أو حمايتهم!!! بَيْنَما طالبوا بتقديم ضمانات لقتلة المسلمين سواء أكانوا أقليات كما في سوريا أو أكثريَّة كما يزعمون في العراق.

كما أنَّ من الغباء محاولة برهان المبرهن، أو محاولة إثبات المثبت فإنَّ من أشدِّ الحماقات محاولة توضيح الواضحات.

هل بعد ذٰلكَ وضوح؟

ومع ذَلكَ ما هٰذا كلِّه إلا غيضٌ من فيضٍ يكاد لا ينتهي.

ثالثاً: صورة من التناقضات

كلُّ ما كان قبل قليلٍ صرخات ألمٍ من وقائع من التَّناقضات والافتراءات علىٰ المسلمين واتِّهامهم بالإرهاب زوراً وبهتاناً فيما الغرب وغير المسلمين هم الإرهابيون الفعليون. لننظر هنا في بعض التَّناقضات أيضاً التي تصبب العرق من تصدع الرأس.

إلىٰ جانب الإحصاءات السابقة، لنبدأ من إحصاءات لم تمسسها يدٌ مسلمةٌ وإنَّمَا هي بأيدٍ غربيَّةٍ خالصةٍ كشفت أنَّ «الأعمال الإرهابيَّة التي ارتكبت في أوروبا ما بَيْنَ عامي ٢٠١١م، و٢٠١٥م ليس فيها بيد المسلمين سوىٰ اثنين بالمئة فقط»[١٤٢]... وثَمَّة في أوائل عام ٢٠١٦م خريطة لتوزع الجريمة في أمريكا وإحصاءات مماثلة تقدِّم النَّتيجة ذاتها تماماً... ومع ذَلكَ فإنَّ العالم الغربي ذاته يرى أنَّ الاثنين بالمئة أكبر من الثمانية وتسعين بالمئة بمئة مرَّة بل بمليون مرة!!! العالم الغربي ذاته يتحدَّث عن إرهابٍ إسلاميٍّ ولا يرى الإرهاب الذي يفوقه بمئة مرة.

لا أتحدث هنا عن الإرهاب الممارس ضدَّ المسلمين أتحدَّث فقط عن الجرائم الإرهابيَّة في أوروبا وأمريكا. لا أتحدث عن الإرهاب الغربيِّ في حروبه ضدَّ المسلمين وضدَّ غيرهم، هٰذا الإرهاب الغربي والوحشيَّة الغربيَّة التي فرضت علىٰ **چوستاف لوبون** الاعتراف بالخط العريض أنَّهُ: «ما عرف التاريخ فاتحاً/ غازياً/ محارباً أرحم من المسلمين». كان هٰذا الاعتراف قبل الإرهاب الغربي الأشنع في القرن العشرين والحالي.

---

[١٤٢] . مايكل بريڤو: برنامج بلا حدود . **لقاء مع مايكل بريڤو مدير الشبكة الأوروبية لمكافحة العنصرية** . قناة الجزيرة . الأربعاء ٧ أيلول/سبتمبر ٢٠١٦م.

لا نريد أن نقدِّم إحصاءاتٍ لهذه التَّناقضات لأنَّ ذَلكَ أمرٌ سيطول بنا كثيراً وكثيراً جدًّا. سنلقي نظرةً خاطفةً إلىٰ هٰذه الأيام التي نعيشها الآن.

في قصَّةٍ تتكرر دائماً... أيُّ إرهابٍ من غير المسلم فهو مبرَّرٌ ولا يوصف بالإرهاب مهما بَلَغَ من الشِّدَّة والعنف... في ١٤ آب/ أغسطس ٢٠١٦م تداولت وسائل الإعلام مقتل إمام مسجدٍ في أمريكا لدى خروجه من المسجد علىٰ يد مسلح أمريكيٍّ مسيحيٍّ. تَمَّ تداول الخبر وكَأَنَّهُ لا شيء يستحقُّ الذِّكر، ولم يوصف المسلح بالإرهابي... بَيْنَما قبل أيامٍ قليلةٍ قام مسلمٌ بعمليَّةٍ مماثلةٍ تماماً قَتَلَ فيها قسًّا أمام كنيسة في أمستردام فضاجت الدنيا بالحدث علىٰ أنَّهُ إرهابٌ وإرهابٌ إسلاميٌّ... وقبل أسبوع من هٰذا الحدث أيضاً هاج العالم وماج لمقتل شرطيٍّ فرنسيٍّ علىٰ يد شخصٍ ينتمي إلىٰ الإسلام، ووصف الحدث بالإرهابي، وحورب الإسلام بتهمة الإرهاب[١٤٣]...

مثل هٰذه الحوادث والتَّناقضات أكثر من أن تحصى في حقيقة الأمر، والاعتداءات الإرهابيَّة علىٰ المسلمين أضعاف أضعاف اعتداءات المسلمين علىٰ غير المسلمين. وعلىٰ سبيل المثال أيضاً، من مئات بل آلاف الأمثلة، في ١٨ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٦م وقع ثمانية جرحى نتيجة طعنٍ بالسكِّين في ولاية مينسوتا الأمريكيَّة... سُمِّيَ علىٰ الفور هجوماً إرهابيًّا لأنَّ الفاعل مسلمٌ. وللمصادفة أنَّهُ في اليوم ذاته تماماً سقط ٣٧ جريحاً حصيلة انفجارٍ في حيٍّ تشلسي في نيويورك، لم يتجرَّأ مسؤولٌ أمريكيٌّ علىٰ وصفه بالإرهابي لأنَّهُم لا يعرفون الفاعل، ويرجحون أنَّهُ غير مسلمٍ. بل إنَّ حاكم نيويورك قال: «لا

[١٤٣] . مواقع/ وكالات. مختلف وكالات الأنباء ومواقع الإنترنت تابعت ذَلكَ يمكن متابعة الموضوع والرجوع إليه من خلال الكلمات المفتاحية في الفقرة.

نستطيع الجزم إن كان الدَّافع شخصيًّا أم سياسيًّا»[١٤٤]. فقد عرفوا هنا أنَّ الفاعل غير مسلمٍ، وطالما هو غير مسلمٍ فهو غير إرهابيٍّ وإن كانت جريمته أشنع وضحاياها أضعاف ضحايا الجريمة التي ارتكبها المسلم.

وفي أواخر عام ٢٠١٥م وأوائل عام ٢٠١٦م حدث في أمريكا ما أدهش الأمريكيين أنفسهم، عندما هيمنت ميليشيا أوريغون علىٰ محميَّةٍ للدَّولة وطالبت أن تسمح لهم الدَّولة باستثمار هٰذه المحميَّة في الرَّعي والزَّرع وحَتَّىٰ استثمار ثرواتها الباطنيَّة وهدَّدت باستخدام السِّلاح إذا لم تستجب الدَّولة لهم... ثُمَّ تابعوا اعتصامهم المسلَّح باحتلال بنايةٍ اتحاديَّةٍ بولاية أوريجون الأمريكيَّة واستمرَّ الاعتصام المسلَّح في المحميَّة والبناء الاتحادي أسابيع...

هل يوجد إرهابٌ أوضح من هٰذا الإرهاب؟

ومع ذٰلكَ تعاملت معه الدَّولة الأمريكيَّة بمرونةٍ أدهشت الأمريكيين أنفسهم «فأثار انتقاداتٍ من جانب كثيرٍ من الأمريكيين وتساؤلات عن سبب عدم اتهامها بالإرهاب، وحفلت مواقع التَّواصل الاجتماعي بتساؤلات عن الكيفيَّة التي كانت ستتعامل بها الحكومة الاتحاديَّة لو كانت هٰذه المجموعة المسلحة من المسلمين العرب أو من السود»[١٤٥].

---

[١٤٤] . مواقع/ وكالات. مختلف وكالات الأنباء ومواقع الإنترنت تابعت تطورات الحدثين في هٰذا اليوم ٢٠١٦/٩/١٨م، ومع وضوح الازدواجية لم تلتفت وسيلة إعلام إلىٰ التناقض في التعامل مع الحدثين. انظر مثلاً: متابعات: **٣٧ مصاباً حصيلة انفجار في حي تشلسي في نيويورك وهجوم بالسكين في مينسوتا** . الجزيرة نت . الأحد ١٦ ذو الحجة ١٤٣٧هـ الموافق لـ ١٨ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٦م.

[١٤٥] . متابعات: **انتقاد للسلطات الأميركية لمرونتها مع مليشيا "أوريغون"**. الجزيرة نت . الأحد ١٠ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٦م.

أكرِّر كما فعلت مراراً: هٰذه شواهد لا إحصاءات. هٰذه شواهد من مئات بل من آلاف وأضعاف الآلاف ولا مبالغة في ذٰلكَ، حَتَّىٰ وصل الأمر إلىٰ استخفاف واستسخاف غربيين لما وصلت إليه الحال من سخافة وسفاهة اتهام الإسلام بالإرهاب، قال الكاتب الألمانى **دانيال باكس**: «إنَّ موضة (أسلمة) الإرهاب أصبحت مستهلكةً، حَتَّىٰ إنَّهَا لم تعد تصلح للاستخدام، فى الوقت الذى لا يكفُّ فيه المسلمون عن إعلان تبرؤهم من أيِّ فعلٍ دمويٍّ يرتكب باسم دينهم»[١٤٦].

يزداد الأمر سخفاً وسفاهةً عندما نعلم أنَّ المسلمين هم الذين يتعرَّضون للإرهاب في البلدان الأوروبيَّة وأمريكا مئات أضعاف أضعاف ما يقوم به المسلمون، ومع وضوح الإحصاءات والحقائق فإنَّهُم ينكرونها، وهي إحصاءات مؤسَّساتهم هم وليست إحصاءاتنا. سياسة الإنكار واعتبار ما يصدر عن المسلمين فقط إرهاباً حدت بالسُّلطات الفرنسيَّة مثلاً إلىٰ إنكار هٰذه الاعتداءات «فعلىٰ رغم تسجيل ٤٦٩ حالة اعتداء سنة ٢٠١٢م، أي بارتفاع ٥٧,٤% مقارنة بسنة ٢٠١٠م، فإنَّ السُّلطات الفرنسيَّة تنفي وجود ظاهرة الإسلاموفوبيا داخل مجتمعها»[١٤٧]. هٰذا الإنكار ليس إنكاراً للإسلاموفوبيا بقدر ما هو رفع تهمة الإرهاب عن الفرنسين وتصوير إرهابهم علىٰ أنَّهُم براءة لها مبرراتها.

---

[١٤٦] . نبيلة مجدي: **كاتب ألمانى؛ الغرب مسئول عن زيادة نشاط المتطرفين... ويجتزئ من الإسلام النصوص التى تخدم أهواءه اعتباطيًّا... ويوجد آلاف السلفيين فى ألمانيا** . موقع جريدة اليوم السابع . الثلاثاء ١٧ شباط/ فبراير ٢٠١٥م.

[١٤٧] . فائزة مصطفى: **الإسلاموفوبيا في فرنسا؛ حروب افتراضية** . الجزيرة نت . الثلاثاء ١٤٣٤/٩/٢٢ هـ – الموافق ٢٠١٣/٧/٣٠م.

هٰذا الذي يسمُّونه إرهاباً إسلاميًّا، وعلىٰ أنَّهُ لا يزيد عن اثنين أو ثلاثة بالمئة من إرهاب الغرب فإنَّهُ في حقيقة الأمر كما يقول الغربيون أنفسهم ليس إلا ردَّ فعلٍ علىٰ إرهابهم ضدَّ الإسلام والمسلمين، والأمثلة الشَّاهدة علىٰ هٰذه الحقيقة كثيرةٌ لا قليلةٌ، وقويَّةٌ قوَّةً دامغةً، منها مثلاً الكاتب الألماني **دانيال باكس** الذي «أرجع تزايد نشاط الحركات الإسلامويَّة في الشَّرق الأوسط مؤخَّراً إلىٰ ما وصفه بإخفاق الأنظمة العلمانيَّة في المنطقة (التي يحميها الغرب) في تحقيق الرَّخاء والمشاركة والعدالة لمواطنيها، فنشط الإسلامويين الذين ألبسوا الخطاب المعادى للإمبرياليَّة مصطلحاتٍ دينيَّةٍ لتقدِّم نفسها علىٰ أنَّهَا البديل، موضحاً أنَّهُ كلما زاد القمع الذي تعرضت له عنفاً، زاد جزء منها تطرفاً»[١٤٨]، وأضاف **دانيال باكس** أنَّ «التَّدخلات الغربيَّة في عمليَّة تفتُّت دول الشَّرق الأوسط علىٰ طول حدود دينيَّةٍ ـ عرقيَّةٍ مثل ما حدث في العراق وليبيا فتغلغلت هٰذه الجماعات الإرهابيَّة المتطرِّفة في الفراغ الذي خلفته هٰذه التَّقسيمات»[١٤٩]، وكان الحريُّ به القول إنَّ هٰذه التَّدخُّلات والاعتداءات الغربيَّة علىٰ دول المسلمين كان لا بُدَّ لها أن تولِّد ردود أفعالٍ عنفيَّةٍ ضدَّها وضدَّ عملائها.

ما لم يقله **دانيال باكس** بوضوح قاله الفيلسوف الفرنسي **ميشال أونفري** في مقابلةٍ تليفزيونيَّةٍ علىٰ قناة بي اف ام تي في، إذا قال في خطاب مكثَّفٍ ما يختصر كتباً:

---

[١٤٨] . نبيلة مجدي: **كاتب ألماني؛ الغرب مسئول عن زيادة نشاط المتطرفين... ويجتزئ من الإسلام النصوص التى تخدم أهواءه اعتباطيًّا... ويوجد آلاف السلفيين فى ألمانيا** . موقع جريدة اليوم السابع . الثلاثاء ١٧ شباط/ فبراير ٢٠١٥م.

[١٤٩] . المصدر السابق . ذاته.

«لماذا نذهب إلىٰ بلدان المسلمين ونتدخل في شؤونهم ونقول لهم يجب أن تتَّبعوا منهج فرنسا؟؟

لماذا نقتلهم في مالي كما قتلنا قبل ذٰلكَ في بلدان شمال إفريقيا وعندما يدافعون عن أنفسهم نتهمهم بالإرهاب؟

المسلمون ليسوا مغفَّلين كما يظنُّ الجميع في فرنسا وأوروبا و العالم هم فقط يجتاحهم بعض الضَّعف ورد فعلهم يكون عنيفاً وعاديًّا لأنَّ ما نفعله بهم في بلدانهم أخطر بكثير من قتل ١٠ اشخاص فنحن نقتل المئات منهم يوميًّا.

سؤالٌ أطرحه لك (يتحدَّث مع مقدِّم البرنامج الذي كان يتَّهم الإسلام): لماذا لا تذهب فرنسا إلىٰ إسرائيل أو الصين أو كوريا أو اليابان أو ألمانيا من أجل أن يتَّبعَ قوم تلك البلدان منهج فرنسا؟؟ ولماذا نختار دولاً ضعيفةً مثل مالي وليبيا والنيجر وإفريقيا الوسطى؟

المشكل ليس مشكل إسلامٍ بل هو مشكل عنصريَّةٍ ويجب أن نعترف أنَّنا عنصريين في حادثة **شارلي إيبدو** لماذا لم تقل الحكومة للصحفيين توقفوا عن الإساءة لرسولهم في حين قالت لنفس الرسامين لما رسموا عن شعار اليهود أنَّهُ فعل مخجلٌ لكم اعتذرو لإسرائيل؟؟

لماذا **ديودوني** منعت مسرحيته من العرض؟؟

وقد أدين أمام المحكمة العليا الفرنسيَّة بتهمة معاداة السَّاميَّة إلا لأنَّ مسرحيَّته تستهزئ باليهود... لماذا؟ أجبني؟ نحن مسيحيُّون هيا نستهزئ بالمسلمين واليهود معاً، لماذا بالمسلمين فقط؟ وعندما يتعلَّق الأمر باليهود فنحن متهمون بأنَّنا نعادي السَّاميَّة؟!

لا تكذبوا علىٰ أنفسكم وكأنَّنا مظلومون... ترسمون نبيَّهم الذي هو قدوتهم في أوضاعٍ مشينةٍ وندعي بعدها أنَّها حرِّيَّة التَّعبير... لا لا معذرة و لٰكنَّ الأمور لا تسير هٰكذا لأنَّنا وبهٰذه الطَّريقة سنكون شعباً منافقاً»[١٥٠].

هٰذه هي الحقيقة باختصار... هي الحقيقة سواء أقالها ميشيل أو جورج أو عبد الله أو أيُّ شخصٍ مهما كانت صفته وعقيدته. المسألة ليست مسألة اسم المسألة مسألة مطابقة الوصف للواقع.

أسطورة محاربة الرموز الدينية

إنَّ أحد أبرز تجليَّات فوبيا الإسلام من ناحية كونها مظهراً من مظاهرها وهدفاً من أهدافها ونتيجةً مرجوَّةً هي القضاء علىٰ المظاهر الإسلاميَّة رويداً رويداً، خطوةً خطوةً، من خلال ما يسمَّى محاربة أو منع الرُّموز الدِّينيَّة، أو المظاهر الدِّينيَّة.

محاربة الرُّموز الدينيَّة أسطورةٌ مفضوحة الكذب والتَّضليل، واضحة تماماً في استهدافها المسلمين والمسلمات دون غيرهم من الأديان جميعاً. وهٰذا ما جاء في اعتراف **ميكائيل بريفو**[١٥١] الذي قال للجزيرة نت بوضوحٍ: «إنَّ مقترح القرار الأخير للحكومة الجديدة السَّاعي إلىٰ حظر الرُّموز الدِّينيَّة في المؤسَّسات العموميَّة، يستهدف المسلمين وخاصَّةً النِّساء»[١٥٢].

---

[١٥٠] . عادل عبد الله القناعي: **صنع في فرنسا** . موقع يمن ٢٤ . ٢١/ ١١/ ٢٠١٥م، وقد نشر في مواقع كثيرة تحت عنوان الفيلسوف الفرنسي ميشال أونفري يعترض، ينتقد، يوضح.

[١٥١] . رئيس المنتدى الأول لانتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا في بروكسل.

[١٥٢] . لبيب فهمي: **المنتدى الأول لانتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا في بروكسل** . الجزيرة نت . الاثنين ١٤٣٦/٢/٢٢ هـ – الموافق ٢٠١٤/١٢/١٥م.

الأمر والفضيحة لا تنتظر اعتراف **بريفو** ولا غيره في حقيقة الأمر. الأمر أوضح من أن يمكن إنكاره، ومع ذَلكَ يحاولون تغليفه بثيابٍ (حضاريَّةٍ وإنسانيَّةٍ) وكأنَّ المسلمين بلهاء بلاهةً لا علاج لها ولا شفاء منها... يلفُّون ويدورون لإخفاء حقيقة محاربة الإسلام دون غيره ولا يفلحون لأنَّ التَّناقض أوضح من أن يمكن إخفاءه أو التَّستُّر عليه.

يعتقد كثيرون أنَّ حملة التَّضييق علىٰ المسلمين حديثةً أو ناجمةً عن تعقيدات المرحلة الحاليَّة ومعطياتها، وهي ليست كذَلكَ... وعلىٰ سبيل المثال، كما بيَّن **تيموثي سافيج**، فإنَّ المطالبة بإغلاق الحدود أمام المهاجرين والتَّضييق عليهم قديمةٌ وليست جديدةً، فمنذ أكثر من عشر سنوات «بدأت الحملة الرَّسميَّة للحدِّ من الهجرة، والمطالبة بسنِّ قوانين تحظر الحجاب في المدارس والمؤسَّسات العامَّة، وتشديد قوانين اللجوء»[١٥٣].

تيموثي سافيج قال هٰذا الكلام في عام ٢٠٠٤م، ويتحدَّث عن قبل كلامه بأكثر من عشر سنوات. أي قبل ربع قرنٍ من الآن، فكيف يتنطع المتنطِّعون لزعم أنَّ الأزمة التي يعيشها العالم عامَّة والعالم الإسلاميُّ خاصَّةً اليوم هي السَّبب؟ إنَّهَا كما كرَّرنا ونكرِّر امتدادٌ لسياقٍ تاريخيٍّ طويلٍ جدًّا.

مشكلة الحجاب والنِّقاب مشكلةٌ قديمةٌ وليست جديدةً، وطويلةٌ عريضةٌ كبيرةٌ وليست قانوناً أو اثنين ولا حادثةً أو اثنتين. يزعمون أنَّهُم حريصون علىٰ المرأة وحريَّة المرأة ويحاربون الحجاب لتحرير المرأة وهٰذا كذبٌ صريحٌ، ثُمَّ زعموا أنَّها

---

[١٥٣] . تيموثي سافيج: **أوروبا والإسلام؛ الهلال المتنامي وصدام الثقافات** . ترجمة الموقع . موقع إخوان أون لاين . الاثنين ٢٠٠٤/٠٨/١٩م. البحث منشور في: (The Washington quarterly. No Summer 2004).

حربٌ علىٰ الرموز الدِّينيَّة فتبيَّن أيضاً أنَّ هٰذا الكلام كذبٌ صريحٌ وإنَّمَا هي فقط حربٌ علىٰ رموز الإسلام دون سواه من سائر الأديان وحَتَّىٰ الوثنيَّة منها. الكاتب والصحافي **برنارد ليڤي** «لا يرى في الحجاب إلا سجناً»[١٥٤]، فقط حجاب أو نقاب المسلمة هو السِّجن، أمَّا نقاب اليهوديَّة المماثل فهو تاج جمالٍ وحريَّةٍ لا حدود لها. أمَّا **جاك أتالي** فقد «كتب عن الحجاب بوصفه معادلاً لجدار برلين»[١٥٥]. جدار برلين لا سور الصِّين العظيم، وقد أحسن الاختيار فجدار برلين هو الذي فصل الشَّرق عن الغرب، أمَّا سور الصِّين العظيم فهو الذي حماها من العدوان الخارجي. وأيضاً فقط حجاب المرأة المسلمة هو جدار وليس حجاب الراهبات ولا اليهوديات ولا البوذيات.

لنلقي نظرةً خاطفةً سريعةً علىٰ بدايات إثارة ما يزعمونه حظر الرُّموز الدِّينيَّة. بدأت المشكلة في فرنسا. في مطلع أيار ٢٠٠٣م «أعلن رئيس الوزراء الفرنسي **جان بيير رافاران** أنَّ حكومته قد تسعى لمنح المعلمين سنداً قانونيًّا لطرد الطَّلبة الذين **يخالفون التقاليد العلمانيَّة للدولة**، وأنَّهُ ينبغي أن يأخذ المدرسون موقفا صارماً من الطَّلبة الذين يقومون بتحدِّي هٰذه التقاليد»[١٥٦]. ولأنَّهُ يعلم إلىٰ أين يتَّجه وما هو هدفه فقد اعترف من حيث لا يدري بأنَّ هدف القانون هو المسلمات، فقد «قال **رافاران** في تصريحات لـ"راديو أوروبا/١": **يرجح أن تؤجج الجدل بشأن ارتداء الحجاب** "ينبغي أن يملك المعلم أو مدير المدرسة أو رئيس

---

[١٥٤] . إبراهيم درويش : **كتابات أمريكية تروج لفكرة أسلمة أوروبا** . موقع مصرس . ١٧ / ٠٨ / ٢٠٠٩م. منشور أيضاً بصحيفة **القدس العربي** ١٧ آب/ أغسطس ٢٠٠٩م.

[١٥٥] . المصدر السابق . ذاته .

[١٥٦] . وكالات: **فرنسا تتجه لإصدار قانون يحظر الحجاب في المؤسسات التعليمية** . الجزيرة نت . الأحد ١٤٢٤/٣/٣هـ الموافق ٢٠٠٣/٥/٤م.

الجامعة سلطة أخذ إجراء ضدَّ هؤلاء لإجبارهم على احترام القواعد أو حتَّى طردهم، وأعتقد أنَّ القيم العلمانيَّة يجب أن تكون من القوَّة بما لا يتطلب سن قانون لاحترامها، لٰكن إذا استدعى الأمر سنسنُّ قانوناً»[١٥٧].

وبالفعل ثار الجدل حول الحجاب الإسلاميِّ تحديداً ولم يحرِّك أحدٌ ساكناً في غير ذٰلكَ لأنَّ المقصود هو الحجاب الإسلاميَّ تحديداً. وقد أيَّد نحو نصف الشَّعب الفرنسيِّ هٰذا الإجراء، بل إنَّ نحو الثُّلث تجاوز ذٰلكَ إلىٰ الرَّغبة في منع ارتداء الحجاب في الأماكن العامَّة كلِّها!!! ورُبَّما يصل الأمر إلىٰ تفتيش البيوت كما فعل الإسبان يوماً ما.

وعندما حاول **رافاران** تهدئة الجدل بشأن الحجاب زاد الطِّين بلَّةً بقوله: «لا أريد أن أثير صراعاً غير مجدٍ بشأن مسألة الحجاب»[١٥٨]. وأشار إلىٰ إجراءاتٍ حاسمةٍ قادمةٍ في الطَّريق. وبعد شهر ونصف الشَّهر من ذٰلكَ أعلن **رافاران** ذاته «أنَّ فرنسا رُبَّما تصدر قانوناً جديداً **يحظر الحجاب الإسلامي وغيره** من الرُّموز الدِّينيَّة في المباني والمدارس العامَّة إذا لم يحترم النَّاس السِّياسات العلمانيَّة للجمهوريَّة»[١٥٩].

وهدَّد بأنَّهُ «إذا لم يكن هناك إجماعٌ وخاصَّةً علىٰ الرُّموز والسُّلوك المرتبط بالدِّين في المنشآت العامَّة فلن أتردَّد في فرض احترام العلمانيَّة بالقانون». وفي حين أنَّ الحظر المزعوم يطال الجميع فإنَّ المسلمين في فرنسا يقولون إنَّ الرُّموز

---

[١٥٧] . المصدر السابق . ذاته.

[١٥٨] . المصدر السابق . ذاته.

[١٥٩] . رويتر: **فرنسا بصدد إصدار قانون لحظر الحجاب** . الجزيرة نت. الأربعاء ١٤٢٤/٤/٢٥هـ الموافق ٢٠٠٣/٦/٢٥م.

الدِّينيَّة الأُخْرَىٰ مسموحٌ بها في المدارس والمباني العامة، أمَّا الرُّموز الإسلاميَّة فلا»[١٦٠].

وعلىٰ الرَّغْمِ من الزَّعم بأنَّ المقصود هو الرُّموز الدِّينيَّة عامَّةً فإنَّ **جان بيار رافاران** يعود بعد أربعة أشهر من الجدال والنِّقاش والاحتجاج «يعلن أنَّ المظاهر الدِّينيَّة **مثل ارتداء الحجاب الإسلامي** لا مكان لها في المؤسَّسات التَّربويَّة في فرنسا»[١٦١]. وبعد شهرٍ من ذَلكَ انضمَّت ألمانيا إلىٰ الجوقة الفرنسيَّة في محاربة الرُّموز الدِّينيَّة أي الحجاب الإسلامي فقد اتَّجهت «ستُّ مقاطعات من أصل ١٦ في ألمانيا لإصدار قوانين تحظر علىٰ المدرِّسات ارتداء الحجاب إثر قرارٍ محكمةٍ دستوريَّةٍ السَّماح للمدرِّسات المسلمات في ألمانيا بارتداء الحجاب مع إعطاء السُّلطات المحليَّة حقَّ إصدار قوانين مخالفةٍ لذَلك»[١٦٢]، بما يعني أنَّ المشكلة مثارةٌ قبل ذَلكَ بحين غير قصيرٍ.

وفي الوقت ذاته تماماً وصلت فرنسا إلىٰ مرحلة التَّحقيق والتَّدقيق والمتابعة في مسألة منع ارتداء الحجاب الإسلامي للمسلمات، وكانت رائدة هٰذه الملاحقة **توقيه صايفي** الوزيرة المسلمة في الحكومة الفرنسيَّة التي أعلنت «أنَّهَا ترفض وضع الطَّالبات لغطاء الرَّأس، وقالت إنَّهَا ستمنع مثل هٰذا الأمر»[١٦٣].

---

[١٦٠] . المصدر السابق . ذاته.

[١٦١] . وكالة الأنباء الفرنسية: **رافاران يجدد رفضه لارتداء الحجاب في المدارس الفرنسية** . الجزيرة نت . الاثنين ١٤٢٤/٧/٢٦هـ الموافق ٢٠٠٣/٩/٢٢م.

[١٦٢] . وكالات: **ألمانيا وفرنسا تضيقان على الحجاب** . الجزيرة نت. الأربعاء ١٤٢٤/٨/٥هـ الموافق ٢٠٠٣/١٠/١م.

[١٦٣] . رويتر: **وزيرة فرنسية تدعو لمنع الحجاب في المدارس** . الجزيرة نت. الأربعاء ١٤٢٤/٨/٥هـ الموافق ٢٠٠٣/١٠/١م.

وبعد نحو شهرٍ من ذلكَ انتهى الأمر إلىٰ الوضوح الصَّريح في محاربة الحجاب الإسلامي نصًّا وقانوناً بقانون تبنَّته الحكومة المحليَّة لمقاطعة بادي فورتنبرغ ينصُّ علىٰ «منع المدرسات من ارتداء الحجاب الإسلاميِّ لكنَّهُ يسمح لهنَّ بإبراز رموز دينيَّة مسيحيَّة ويهوديَّة»[١٦٤].

طبعاً سيوجد من يعترض علىٰ ذلكَ من الغربيين أنفسهم مثل «المسؤولة المنتدبة لشؤون الاندماج في الحكومة الفيدراليَّة **ماري لويز بيك** التي انتقدت التَّمييز بَيْنَ الدِّيانات واعتبرت الأمر مشكلةً ستقف أمام اندماج نحو ثلاثة ملايين مسلم يعيشون في ألمانيا مستنكرة عدم المساواة في التَّعامل مع المجموعات الدِّينيَّة التي يكفلها الدُّستور»[١٦٥]. ولٰكن لا قيمة لمثل هٰذه الاعتراضات مثل العادة.

دعك من ذلكَ كله، ماذا يقولون في أنَّ «أيَّ امرأة مسيحيَّة في العالم مهما كان منصبها ومكانتها تريد أن تقابل **بابا الفاتيكان** يجب أن ترتدي لباساً محتشماً ويغطي كامل اليدين مع غطاء للرأس، ويجب أن يكون أسوداً، حَتَّىٰ ولو كانت وزيرة أو رئيسة وزراء أو ملكة أو رئيسة... مرَّة واحدة وامرأة واحدة لم تلبس غطاء الرَّأس هي **أنجيلا ميركل**، ولٰكنَّهَا لبست لباساً محتشماً»[١٦٦]. ولٰكن فقط سبع نساء في العالم يمكنهن ارتداء اللون الأبيض عند لقاء البابا، بشرط ارتداء غطاء الرأس والأكمام الطويلة وأن يكون الثوب طويلاً.

---

[١٦٤] . وكالة الأنباء الفرنسية: **مقاطعة ألمانية تمنع المدرسات من الحجاب أثناء العمل** . الجزيرة نت. الأربعاء ١٤٢٤/٩/١٧هـ الموافق ٢٠٠٣/١١/١٢م.

[١٦٥] . المصدر السابق . ذاته.

[١٦٦] . عبد الله علاونة: **٧ نساء في العالم يمكنهن ارتداء الأبيض في حضرة البابا** . موقع إرم نيوز . ١٩ كانون/ ١/ ٢٠١٦م.

ثُمَّ تتالت منذ ذَلكَ الحين سلسلةٌ الإجراءات المماثلة تماماً في مختلف بقاع أوروبا علىٰ الرَّغْمِ من الاستهداف المقصود والمحدَّد لدينٍ بعينه خلاف القوانين الأوروبيَّة ذاتها لا غيرها، وعلىٰ الرَّغْمِ من تناقضاتها مع ذاتها غالباً، حَتَّىٰ وصل الأمر إلىٰ الاعتداء العنفيِّ المباشر علىٰ المسلمات تطبيقاً لهٰذا القانون، وقد تابعنا أخبار الكثير من هٰذه الاعتداءات العنفيَّة والنَّفسيَّة في أرجاء أوروبا وأمريكا واستراليا، منها ما ذكرنا، ومنها الكثير الذي يستحقُّ حملة توثيقٍ مستقلَّةٍ، ومنها مثلاً حادثة اعتداء شرطيٍّ فرنسيٍّ علىٰ مسلمةٍ لمحض ارتدائها النِّقاب، وعلىٰ الرَّغْمِ من إثبات التَّصرف العنصريِّ والحاقد وحَتَّىٰ الإرهابي علىٰ الشُّرطيِّ فقد خرج «وزير الدَّاخليَّة الفرنسيُّ **إيمانويل فالس** شخصيًّا ليقول: الواقعة بعيدةٌ عن كونها عنصريَّةً، داعياً لاحترام قوانين الجمهوريَّة وفي مقدِّمتها حظر النِّقاب»[١٦٧]. حظر النِّقاب لا الرُّموز الدِّينيَّة كما كانوا يزعمون. وَوَصَلَ الأمر أخيراً إلىٰ أزمة البوركيني التي عشناها في الأيام الماضيَّة.

حَتَّىٰ في أزمة البوركيني وقعت السِّياسة الأوروبيَّة في فضيحةٍ من التَّناقض والحرب المباشرة ضدَّ الإسلام في انتقائيَّةٍ صفيقةٍ، وقد بدأت المشكلة في قرارات بلديات محليَّة ومرَّت في يوم الجمعة ٢٠١٦/٨/٢٦م بقيام المحكمة الفرنسيَّة العليا بإبطال بل تعليق قرار بلديَّة نيس، ولٰكنَّ «البلديات الفرنسيَّة أعلنت أنَّها لن تلتزم به، في تحدٍّ صارخٍ للقانون والقضاء الذي هو فوق العلمانيَّة وفوق الديمقراطيَّة»[١٦٨]. وتوج في الفترة ذاتها باعتداءٍ شرطيٍّ اعتداءً فاضخاً علىٰ

---

[١٦٧] . فائزة مصطفى: **الإسلاموفوبيا في فرنسا؛ حروب افتراضية** . الجزيرة نت . الثلاثاء ١٤٣٤/٩/٢٢ هـ – الموافق ٢٠١٣/٧/٣٠م.

[١٦٨] . المصدر السابق . ذاته.

مسملةٍ علىٰ الشَّاطئ وإرغامها علىٰ خلع البوركيني وقد تمَّ تصوير ذٰلكَ ونشره علىٰ اليوتيوب ومواقع التَّواصل الاجتماعي وحَتَّىٰ المحطَّات التِّلفزيونيَّة.

في هٰذه الأثناء «أثار إمام مسجد مدينة فلورنسا الإيطاليَّة **عز الدين الزير** جدلاً واسعاً بعد قيامه بنشر صورةٍ علىٰ حسابه في فيسبوك لمجموعة من الرَّاهبات علىٰ شاطئ البحر بلباسهن الدِّيني، ردًّا علىٰ الحملة ضدَّ انتشار لباس البحر الإسلاميِّ[١٦٩] المعروف باسم (البوركيني)»[١٧٠]. الغريب هنا ليس إشارة الإمام إلىٰ التَّمييز الدِّيني فو لم يكتب أي تعليق علىٰ الصورة، وإنَّمَا قيام موقع الفيسبوك «بحجب صفحة **الزير** التي استعادها بعد ساعاتٍ قليلةٍ». في ظاهرةٍ لا يمكن القول إنَّهَا غير مسبوقةٍ في مواقع التَّواصل الاجتماعي لأنَّنا شهدنا مثل هٰذا الحجب لحسابات إسلاميَّة، بل في مرَّةٍ أغلق موقع الفيسبوك حسابات كلِّ الذين يستغفرون الله باللغة العربيَّة[١٧١] وبلغ عددهم حينها في يوم واحد أكثر من مئة وخمسين ألف حساب. فماذا يمكن أن نقول بعد ذٰلكَ؟

المدهش أكثر من ذٰلكَ هو أنَّهُم يريدوننا إقناعنا بأنَّهُم يقومون بهٰذا التَّصرف حرصاً علىٰ المرأة المسلمة ودفاعاً عنها ضدَّ الاستعباد كما زعم كثيرون ممن ذكرنا، وكما زعم رئيس الوزراء الفرنسي **مانويل فالس** عندما برَّر حربهم علىٰ

---

[١٦٩] . يسمون البوركيني لباس البحر الإسلامي وهٰذا غير صحيح، فمصممته أصلاً مصممة أزياء فرنسية صممته لمسيحيات لا يرد التعري الكامل لدى السباحة البحر ليس من باب التستر ولا من غيره من باب الموضوة أساساً.

[١٧٠] . وكالات: **إمام مسجد فلورنسا ينشر صور راهبات على البحر** . الجزيرة نت . الأحد ١٤٣٧/١١/١٨ هـ – الموافق ٢٠١٦/٨/٢١م.

[١٧١] .كان ذٰلكَ في ٢٦/ ١٠ / ٢٠١٤م وقد أثار ضجة في الأوساط العربية على نحو خاص، ويمكن مراجعة التفاصيل في كثير من مواقع الإنترنت العربية.

البوركيني؛ لباس البحر الإسلامي بسبب أنَّهُ «ترجمة لمشروع سياسي ضدَّ المجتمع مبنيٌّ خصوصاً علىٰ استعباد المرأة»[١٧٢].

أسطورة الحرص علىٰ المرأة المسلمة والعمل علىٰ تحريرها ليست جديدةً علىٰ أيِّ حالٍ، إنَّهَا أسطورة تمكين المرأة العربيَّة أو المسلمة التي نسمع بها وعنها منذ أواخر السَّبعينيات في القرن العشرين وهي أيضاً مهزلةٌ من مهازل الغرب.

منذ عقود ولا همَّ للمجتمع الدولي إلاَّ تمكين المرأة العربيَّة تحديداً والمسلمة عامَّةً. حَتَّىٰ هٰذه اللحظة كان تمكين المرأة العربيَّة/ المسلمة جزءاً من الهمِّ الأمريكيِّ والدولي في خطاب **أوباما** وقبله **بوش الابن وچوندليزا رايس ورامسفيلد**، في خطابات الغرب جميعاً!!!

لماذا تمكين المرأة العربيَّة/ المسلمة دون غير من نساء الأرض؟

هٰذا يطرح تساؤلات واستغرابات كثيرة جدًّا:

هل نستطيع أن نفهم أنَّ المرأة الأوروبيَّة (ماكنة) جدًّا مثلاً، وهل المرأة الأمريكيَّة (ماكنة) بما يكفي أيضاً؟

هل المرأة العربيَّة/ المسلمة وحدها من فصيلة الرَّخويات أو الكائنات السِّيتوبلازميَّة وبحاجةٍ إلىٰ شدِّ مفاصلٍ وتمكينٍ، ولا همَّ للمجتمع الدَّولي برأسه الأمريكيِّ ومؤسَّساته الأمميَّة إلا تمكين المرأة العربيَّة/ المسلمة، ولا شغل لهم إلا هٰذا الشَّاغل؟

وهل يعني هٰذا أنَّ الرَّجل العربيَّ/ المسلم ماكنٌ بما يكفي ولا يحتاج إلىٰ تمكينٍ؟

---

[١٧٢] . المصدر السابق . ذاته.

وأنَّ الاقتصاد العربي/ المسلم يفظِّع في النَّجاح والتَّقدم وليس بحاجةٍ إلىٰ تمكينٍ؟

التَّعليم، الإعلام، الحريات، العدالة... كلها لا ينقصها إلا خرزة زرقاء علىٰ صدرها، والمرأة العربيَّة/ المسلمة وحدها الجزء الرَّخوي الذي يحتاج إلىٰ تمكين؟

من الطَّبيعي أن يوجد من يعترض ويقول: هم يقصدون الإفساح في المجال أمامها للعمل السِّياسي والعام.

هٰذا صحيحٌ. هم يريدون ذٰلكَ. بل إنَّهُم يفرضون بطريقةٍ أو بأُخْرَىٰ أن يكون لها حصَّة في المجالس النيابيَّة، والسِّياسيَّة والوزارات، والمجالس المنتخبة وغير ذٰلكَ.

حسناً. أنا أريد أن أسأل هنا: كم وزيرةٍ توجد في أيِّ دولةٍ أوروبيَّة أو أمريكيَّة؟

كم عضوة برلمان في أيِّ دولة أوروبيَّة أو أمريكيَّة؟

وأضيف للمقارنة هل توجد في أيِّ دولةٍ منها نسبة أكبر من نسب وجود المرأة في كثير من الدُّول العربيَّة/ المسلمة؟

وليس هٰذا فحسب، بل لا بُدَّ أن أتساءل: لماذا في دولنا العربيَّة/ المسلمة فقط يجب أن تفرض لها حصَّةٌ فرضاً، ولا توجد في دولةٍ أوروبيَّة أو أمريكيَّة واحدةٌ مثل هٰذه المحاصصة؟ هل هٰذه هي الديمقراطيَّة؟ لماذا يكون لهم ديمقراطيَّة حرَّة وتكون لدينا ديمقراطيَّة توافقيَّة وتحاصصيَّة في المرأة وغيرها؟

لا يمكن الوثوق في نيَّتهم أبداً. هم لا يريدون ديمقراطيَّة، ولا يريدون حريَّة، ولا يريدون مساواه، ولا ينادون بذٰلكَ حرصاً علىٰ المرأة العربيَّة/ المسلمة. هٰذا

التَّباكي علىٰ المرأة العربيَّة كذبٌ صريحٌ لا يريدون من ورائه إلا تدمير المجتمع العربي/ المسلم وكل من يؤمن بحسن نواياهم فهو أبلهٌ أو شريكٌ لهم شراكة عمالة وخيانة ولا أتردَّد في ذَلكَ أبداً أبداً أبداً.

المرأة العربيَّة المسلمة في مصر تنتهك.

المرأة العربيَّة المسلمة في الصومال تموت جوعاً.

المرأة العربيَّة المسلمة في سوريا تغتصب أبشع اغتصاب.

المرأة العربيَّة المسلمة في العراق رهينة المعتقلات والاغتصاب.

ووسط ذَلكَ كلِّه لا ينشغل الغرب إلا بالمرأة السُّعوديَّة التي لا تقود السِّيارة. الغرب منشغل أكبر انشغال بمنع المرأة السعوديَّة من قيادة السِّيارة ويرى ذَلكَ انتهاكاً للحقوق والحريات!!! أما ما يحدث للمرأة في مصر والعراق وسوريا والصُّومال وميانمار وإفريقيا الوسطى فلا أحد يراه، ولا أحد يريد أن يراه!!! لماذا؟

خاتمة

تناقضات الغرب في حملته علىٰ الإسلام تحت مسمى الإسلاموفوبيا؛ علىٰ المستويين الشعبي والرسمي أكثر من أن تحصى، وهي جلها تناقضات صارخة فاضحة، ناهيكم كما أشرنا مراراً إلىٰ أنَّ هٰذه التناقضات تظهر علىٰ ألسنة مفكرين وفلاسفة غربيين أبت عقولهم الانسياق لهذه السخافات المتناقضة.

من هؤلاء من سنقف عنده وقفة سريعة في هٰذه الخاتمة وهو الدكتور **لودفيج هايچمان**[١٧٣] في كتابه المسيحية والإسلام. انطلق

[١٧٣] . لودچيغ هاچيمان: باحث ألماني وبروفيسور الإلهيات وتاريخ الأديان في جامعة مانهايم بألمانيا، صدر كتابه: **المسيحية والإسلام؛ تاريخ المواجهات الفاشلة** في طبعته الأولى عام ٢٠٠١م عن الناشر بريموس فيرلاغ، دارمستاد بألمانيا.

هايجمان من مقديمة حيادية إلىٰ حدٍّ كبير وهي «أنَّ العلاقة بَيْنَ الإسلام والمسيحية تميَّزت في التَّاريخ بالتَّنافس والصِّراع والغزو المتبادل (والمذابح)، وكل ذلك باسم الدين. غير أن كل تلك الصِّراعات كانت في الواقع بهدف نشر النفوذ والسَّيطرة»[١٧٤].

رؤية حيادية ليت أنَّ الغرب يتعامل بها، ومع حيادية هٰذه الرؤية فإنها لن تخلو من جنف علىٰ الإسلام والمسلمين، وهٰذا مما لن نتوقف عنده هنا. يلقي الباحث ضوءاً لا يستطيع أوروبيٌّ إنكاره إلا زوراً علىٰ تقبل المسلمين للمسيحيين واليهود وتعايشهم معهم شركاء لا أجراء ولا أعداء، «ففي تجربة الأندلس الثَّريَّة تعايش المسلمون والمسيحيون في وئامٍ لعقودٍ طويلةٍ من الزَّمن، فيما سُمِّي لاحقاً بالعصر الذَّهبيِّ، بل وضمَّ ذٰلكَ التَّعايش أيضاً اليهود، واستمرَّ ذلك حَتَّىٰ سقوط غرناطة عام ١٤٩٢ ميلادية»[١٧٥]. وكان الأمر كذٰلكَ علىٰ امتداد دول الإسلام في العالم الإسلامي.

وتحت سقف الحيادية هٰذه يتناقض الباحث مع ما بدأ هو به وأقر به هو ذاته من تسانح المسلمين واحتضانهم المسيحيين واليهود، فيتحدث بألمٍ «كيف كانت العلاقة مأساويَّةً ومؤسفةً في طابعها الغالب بسبب غياب التَّسامح والتَّفكير الإقصائيِّ وحيث كان كلُّ جانبٍ يدَّعي بأنَّهُ يحتكر الحقيقة. وباستخدام الدين لغايات سياسية يشرح المؤلف كيف استخدم المسلمون

---

[١٧٤] . خدمة كامبردج بوك ريفيوز: **المسيحية والإسلام؛ تاريخ المواجهات الفاشلة** . الجزيرة نت . الاثنين ١٤٢٢/٨/٤هـ الموافق ٢٠٠١/١٠/٢٢م.

[١٧٥] . المصدر السابق . ذاته.

والمسيحيون على حد سواء النصوص الدِّينيَّة لتبرير التَّوسُّع والحروب القاتلة»[١٧٦].

أيُّ إقصائيَّة هٰذه ومن الذي كان يمارسها وهل تجوز المساواة بَيْنَ الغرب والشرق بهٰذه البساطة في هٰذا الموضوع؟

ما كان له أن يفلت من الشَّرَكِ الذي نصبه بنفسه، فيتحدَّث عن «الأثر الذي تركته تلك الحقب الدَّمويَّة علىٰ صورة الإسلام في الغرب كان كارثة، وما يزال كذٰلكَ حَتَّىٰ اليوم حيث إِنَّهُ ما يزال هنالك حَتَّىٰ اليوم مشاعر عميقة لما يُرى بأَنَّهُ (الجنون الإسلامي). وقد تعمَّقت هٰذه المشاعر خلال العقد الماضي عندما تَمَّ استبدال الإسلام بالشِّيوعيَّة كعدوٍ يهدِّد العالم الغربي»[١٧٧].

أساساً إلىٰ هٰذه النُّقطة، نقطة انهيار الاتحاد السُّوفيتي واستبداله بالإسلام والمسلمين، لم يكن من الجائز الحديث عن تطرُّفٍ إسلاميٍّ ولا متطرفين إسلاميين، ومع ذٰلكَ فإِنَّهُ والآخرون يتحدثون عن التطرف الإسلامي منذ ما قبل مئات السنين، ويتساءل بما يؤكِّد تناقضه «ما إن كان الماضي يلحق بنا الآن وحيث تعود النَّظرة التَّقليديَّة إلىٰ الإِسلام كعدوٍّ إلىٰ الواجهة»[١٧٨]. فالمشكلة إذن في العقلية الغربية المسيحية التي تتخذ الإسلام والمسلمين أعداء، وهٰذه النَّظرة تقليديَّة، يعني عادة طبيعيَّة، اجتماعيَّة، يظن أَنَّها غابت فترة الحرب الباردة ولٰكنَّهَا لم تغب

[١٧٦] . المصدر السابق . ذاته.

[١٧٧] . المصدر السابق . ذاته.

[١٧٨] . المصدر السابق . ذاته.

مطلقاً... ولا يوجد مثل هٰذا العداء من المسلمين للمسيحيين باعترافه هو بداية وأكثر من مرة في أثناء الكتاب منها قوله إنَّ «أساس العداء النَّظري العقدي القادم من الطَّرف المسيحي يقوم علىٰ رفض نبوَّة النَّبيِّ **محمد** وعدم الاعتراف بالإسلام ديناً سماويًّا، بَيْنَما يعتبر المسلمون الأنبياء **موسى وعيسى** من أنبيائهم ويعترفون باليهودية والمسيحية كأديان سماويَّة، لٰكنَّهُم يرون أن تحريفاً طرأ عليها في مراحل لاحقة»[١٧٩]، وهٰذا التَّحريف معترف به من كثير من أعلام المسيحيَّة واليهوديَّة الغربيين أنفسهم. ويتابع المؤلف ذاته قائلاً: «ولٰكن لأنَّ المسيحيين واليهود رفضوا دعوته والاعتراف به كآخر الأنبياء فإنَّهُ كان واضحاً في اعتبار أنَّ الإسلام هو الدين الحقيقي الوحيد. لٰكنَّ ذٰلكَ لم يؤثر علىٰ التَّعامل المتسامح معهم من قبل الرَّسول **محمد** والمسلمين حيث نعم المسيحيون واليهود بمعاملة حسنة وحَتَّىٰ الانقلاب علىٰ اليهود إثر إخفاقهم في احترام اتفاقيَّاتهم مع المسلمين»[١٨٠].

الكتاب غير صغيرٍ، ولا نهدف إلىٰ تلخيصه ولا استعراضه ولا مناقشته هنا، ولٰكن هي بعض الأفكار التي كان من الضروري المرور بها نماذج وأمثله. علىٰ أنَّ الفكرة المهمة التي تواترت غير مرة في الكتاب عن غير قصدٍ هي الاندهاش المسيحي واليهودي من سرعة انتشار الإسلام حرباً وسلماً عبر مراحل التَّاريخ علىٰ الرَّغْمِ من التَّصوُّرات المغروزة في نفوس الغربيين عن الإسلام والمسلمين التي تتناقض مع هٰذه النَّتائج، فخرجوا بتفسير هزلي لانتصارات

[١٧٩] . المصدر السابق . ذاته.

[١٨٠] . المصدر السابق . ذاته.

المسلمين العسكريَّة بأنَّ جيوش المسلمين يستخدمون السِّحر في الحروب... ولكنَّهُم لم يستطيعوا تفسير الانتشار السِّلمي المدهش للإسلام في آسيا وإفريقيا قديماً وفي أوروبا القرن العشرين إلا بمزيدٍ من الحقد والعدوان عليه وعلىٰ المسلمين، ومثلما ذَلكَ الإخفاقات المذهلة لحملات التبشير بَيْنَ المسلمين منذ مطالع القرن الثَّالث عشر الميلادي وإلىٰ يومنا هٰذا.

الفصل الثالث

تاريخية الإسلاموفوبيا ومأسسها

يتخيَّلُ الكثيرون وهماً أو اعتباطاً أنَّ فوبيا الإسلام، التي تشغل الناس لهذه الأيام ومنذ بضع سنوات قليلة، قد نشأت في غضون هذه السَّنوات الأخيرة، وخاصَّةً إثر أحداث الحادي عشر من أيلول كما يرى كثيرون. فيما يذهب فريق إلىٰ أبعد من ذَلكَ بسنوات عشر تقريباً عندما يفترض أنَّ الإسلاموفوبيا أو فوبيا الإسلام قد نشأت عقب انتهاء الحرب الباردة أو كانت نتيجة لها بمعنى أو بآخر. والأمران كلاهما وهم لا أساس له من الصِّحَّة.

لن نعرض هنا لما يتخبَّط به الغرب في التَّعامل مع فوبيا الإسلام وتصعيدها بَيْنَ الحين والحين ضمن تراكمٍ من التَّناقضات الصَّارخة والازدواجيَّة المفرطة، بما يعكس بوضوحٍ مسألةً مهمَّةً تستحقُّ تسليط الضَّوء عليها وهي الأبعاد التَّضليلية لتصعيد فوبيا الإسلام في الإعلام الغربي وفي الخطاب الإعلامي وفي السِّياسة الغربية ذاتها... فهو موضوع مستقل أفردنا له بحثاً بل أكثر من بحث مستقلٍّ. وإنما سنسلط الضوء هنا علىٰ بعدين متلازمين من أبعاد الإسلاموفوبيا وهما تاريخيَّة الإسلاموفوبيا ومأسستها.

أوهام ما بعد الحرب الباردة

غالباً يصعب القول بغير أنَّ فوبيا الإسلام بوصفها اصطلاحاً أخذ في الظُّهور والنُّمو عقب انهيار الاتحاد السُّوفيتي وانتهاء الصِّراع بَيْنَ

المعسكرين الرَّأسمالي والاشتراكي...العدوُّ القادم... ثَمَّة قولٌ شهيرٌ وخطيرٌ نسب قوله إلىٰ الأمين العام لحلف الناتو إثر انهيار الاتحاد السُّوفيتي تصدَّر صحيفة النِّيويورك تايمز في تلك الفترة، القول متداولٌ ومشهورٌ جدًّا، ذكره الدكتور **أحمد قطرية** أستاذ الأدب الأمريكي في جامعة الملك سعود في ندوة «العرب والمسلمون في المخيِّلة الغربيَّة» قال: «عندما سقط الاتحاد السُّوفيتي رأيت علىٰ غلاف مجلَّة التَّايم غلافاً أزعجني كثيراً يقول العدو القادم هو الإسلام بسقوط الاتحاد السُّوفيتي». يتابع: «قالوا نحن بحاجة إلىٰ عدوٍّ لنستمرَّ ورشحَّوا الإسلام»[١٨١].

التَّحليل منطقيٌّ وواقعي في حقيقة الأمر. في صراع الحضارات وديمومتها تحتاج الإمبراطوريَّة دائماً إلىٰ عدوٍّ كي تستمرَّ في الوجود. وجود العدو ضرورةٌ عسكريَّةٌ وسياسيَّةٌ واقتصاديَّةٌ واجتماعيَّةٌ ونفسيَّةٌ تمارسها الدول والإمبراطوريات شعوريًّا ولا شعوريًّا... من دون العدوِّ الخارجيِّ تفقد الحضارات تماسكها وقوَّتها وتتآكل بسرعةٍ، ولذلك إن لم يكن لها عدوٌّ تصنع عدوًّا.

من هٰذا الباب يمكن فهم أنَّ انهيار الاتحاد السُّوفيتي فرض علىٰ الغرب البحث عن عدوٍّ جديدٍ. فكان الإسلام والمسلمون. ولٰكن هل فعلاً بحثوا فكان الإسلام والمسلمون هو العدوَّ البديل، أو العدوَّ الجديد؟ **أحمد قطرية** ذاته علَّق علىٰ ذٰلكَ قائلاً: «لم يجدوا إلا الإسلام ليختاروه عدواً»[١٨٢]. والسُّؤال الذي

---

[١٨١] . الدكتور أحمد قطرية: **ندوة العرب والمسلمون في المخيّلة الغربية؛ بحث في الأصول التاريخية.. واستعراض لمسببات الظاهرة واقتراحات حول كيفية تقديم صورة إيجابية للعرب والمسلمين للآخر** . ندوة صحيفة الجزيرة الثقافية . الرياض . السعودية . شباط/ فبراير ٢٠٠٧م.

[١٨٢] . الدكتور أحمد قطرية: **ندوة العرب والمسلمون في المخيّلة الغربية؛ بحث في الأصول التاريخية** . المصدر السابق ذاته.

يفرض ذاته من جديدٍ هنا هل هٰذه هي الحقيقة؟ هل لم يعد لهم عدو فاختاروا الإسلام؟

مطلقاً، هٰذا الكلام غير صحيحٍ أبداً. الرِّوائي المصري اليساري الشَّهير **جمال الغيطاني** في حديثٍ خاصٍّ في أوائل تسعينيات القرن العشرين تحدَّث عن مؤتمرٍ لليسار العالمي انعقد في موسكو قبل ذٰلكَ بنحو عشر سنوات أي في الثَّمانينيات، وفوجئ بأنَّ الجمع مجمعٌ علىٰ كيفيَّة محاربة الإسلام، أما الإمبرياليَّة التي تداعوا لمحاربتها فلا مكان لها علىٰ خريطة الأعداء... وكأنَّ مهمة اليسار وواجبه الوحيد هو محاربة الإسلام...

هنا تبرز صورة هٰذا اليوم الذي نعيشه تماماً؛ الغرب اختار الإسلام عدوًّا جديداً له، والإسلام هو عدوُّ عدوه الذي انهزم وانهار!! وكأنَّ الغرب كان صديق الإسلام والمسلمين فيما قبل، وهٰذا وهم محض لأنَّ عداء الغرب للإسلام والمسلمين سابقٌ علىٰ وجود السوفييت والاشتراكيَّة والشِّيوعيَّة والحرب الباردة والدَّافئة بمئات السِّنين الكثيرة، وهٰذا ما نحن مقبلون علىٰ توضيحه وتبيانه في الفقرات التَّالية من هٰذا الباب.

لا أستطردُ هنا في ذٰلكَ فذٰلكَ أمره طويلٌ وفيه الكثير الكثير من الكلام والقول والتَّفاصيل. ولٰكن في العقود الأخيرة من القرن اتخذت الأمور منحًى جديداً لتطوراتٍ جديدةٍ رُبَّما لم تكن في الحسبان. تمثَّلت تلك التَّطورات في تزايد المدِّ الإسلامي في أوروبا وتزايد أعداد الأوروبيين الذين يعتنقون الإسلام. فتحولت المعركة من منحًى إلىٰ منحًى، بل الأصحُّ صار الغرب أمام معركة واحدةٍ علىٰ جبهتين:

أولاً: جبهة محاربة الإسلام ذاته بحامله العربي ومنع قيام أيِّ وحدةٍ عربيَّةٍ أو إسلاميَّةٍ، ولا أستطرد في الشَّواهد أكتفي بواحدٍ فقط من كثيرٍ جدًّا. يقول **مورو بيرجر** في كتابه العالم العربي المعاصر: «إنَّ الخوف من العرب، واهتمامنا بالأمة العربيَّة، ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام. يجب محاربة الإسلام، للحيلولة دون وحدة العرب، التي تؤدِّي إلىٰ قوَّة العرب، لأنَّ قوَّة العرب تتصاحب دائماً مع قوَّة الإسلام وعزَّته وانتشاره. إنَّ الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الأفريقيَّة»[١٨٣].

ثانياً: جبهة مواجهة المدِّ الإسلاميِّ في أوروبا. وهنا ظهرت فوبيا الإسلام بالصِّيغة المعاصرة؛ المخاوف من أسلمة أوروبا. هٰذه المخاوف التي ما زالت الشِّعار الأبرز الذي يحمله اليمين الأوروبي علىٰ امتداد القارة الأوروبيَّة.

الخوف من أسلمة أوروبا يقوم تأسيساً علىٰ فرضيَّةٍ واحدةٍ هي أنَّ الإسلام سيءٌ، وباءٌ، يجب تجنيب الشَّعب الأوروبي منه. ويزاد أمر المفارقة غرابة عندما نجد أنَّهُ لا توجد أبداً أي مخاوف من أيِّ غزوٍ دينيٍّ من أيِّ نوع كالبوذيِّ أو الزَّرادشتيِّ أو الإيزيدي أو غير ذٰلكَ... الإسلام وحده هو الذي يتخوَّفون منه ولا يريدون له أن ينتشر...

هم يرون الإسلام ينتشر بسرعةٍ وبأعدادٍ كبيرةٍ ولٰكنَّهُم لا يسألون أنفسهم لماذا ينتشر الإسلام بسرعة؟ وهم يعترفون بذٰلكَ منذ عشرات السِّنين، وهٰذا هو **هانوتر** وزير خارجيَّة فرنسا سابقاً يقول: «لا يوجد مكان علىٰ سطح الأرض إلا

[١٨٣] . الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي . ص ١٩. نقلا عن: قادة الغرب يقولون.

واجتاز الإسلام حدوده وانتشر فيه، فهو الدِّين الوحيد الذي يميل النَّاس إلىٰ اعتناقه بشدَّةٍ تفوق أيَّ دين آخر»[١٨٤].

أيعقل أن يكون الإسلام وباءً أو سيئاً بالطَّريقة التي يصوِّرها وينتشر بهٰذه السُّرعة والأعداد الكبيرة؟!

إذن الحرب علىٰ الإسلام، ومعاداة الإسلام قائمة علىٰ تصوُّرات أُخْرَىٰ وذهنيَّة محدَّدة لا تريد الإسلام مهما كانت طبيعته. لا أطيل في الجواب ولا أستطرد فيه، أكتفي بقول **أشعيا بومان** في مقال نشره في مجلة العالم الإسلامي التَّبشيريَّة إذ قال: «إنَّ شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر علىٰ العالم الغربي من الإسلام، لهٰذا الخوف أسباب، منها أنَّ الإسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف عددياً، بل إنَّ أتباعه يزدادون باستمرار، من أسباب الخوف أنَّ هٰذا الدين من أركانه الجهاد»[١٨٥].

هٰذا الجهاد الذي يحاربونه ويخافون منه هو الأرحم والأكثر رفقاً وإنسانيَّة بَيْنَ كلِّ عقائد الشُّعوب وهٰذا ما أكَّده المؤرخ الفيلسوف الفرنسي المسيحي **چوستاف لوبون** إذ قال قبل نحو مئة سنة: «لم يعرف التَّاريخ فاتحاً أو غازياً أرحم من الإسلام والمسلمين».

أوهام الظرف الراهن

من الأوهام السَّائدة أيضاً أنَّ الإسلاموفوبيا نشأت فقط في الآونة الأخيرة اللاحقة علىٰ انهيار الاتحاد السُّوفيتي أو بعد بقليل أو كثيرٍ خاصَّة الأحداث الأخيرة في البلدان الإسلاميَّة، والحقيقة هي أنَّ «الأحداث المتلاحقة في منطقة

---

[١٨٤]. المصدر السابق. ص ١٨.

[١٨٥]. عمر فروخ ومصطفى الخالدي: **التبشير والاستعمار**. ص ١٣١.

الشَّرق الأوسط حرَّكت ماكينة الإسلاموفوبيا في الإعلام الغربي من جديد»[١٨٦]، حركتها وقدَّمت لها الوقود الجديد ولم تبتدعها أو تخترعها أو تختلقها.

وإذا كان «واقع الإرهاب الدَّولي والدَّاخلي في بعض الدُّول الأوروبيَّة يعطي شرعيَّةً لهٰذه التَّظاهرات»[١٨٧]، أي التَّظاهرات المناهضة للإسلام والمسلمين في أوروبا، كما ترى الخبيرة الاجتماعيَّة الفرنسيَّة **كاثرين ويتول** فبماذا وكيف نُفسِّرُ أمثالها ونظائرها وفوبيا الإسلام وتشويه الإسلام علىٰ الأقل في عشرات السِّنين السَّابقة في القرن العشرين؟

ويعتقد بعضٌ غير قليلٍ، مثل **نور الدين السعيدي**، وهو من إحدى المنظَّمات المؤيِّدة لنضال الشَّعب الفلسطيني، في حديثه للجزيرة نت، «أنَّ جذور الإسلاموفوبيا ظهرت في سياق الوضع الاستعماريِّ الحاليِّ»[١٨٨]. الوضع الاستعماريُّ الحاليُّ فيما يفترض ويبدو هو ما بعد احتلال العراق أو رُبَّما أفغانستان في الحدِّ الأبعد، لأنَّهُ من غير المتَّسق مع التَّعبير الذَّهابُ إلىٰ أنَّهُ يقصد الاستعمار التَّقليدي في مطالع القرن العشرين في العالم العربي الذي بدأ أصلاً منذ القرن السَّابع عشر في العالم الإسلامي وغيره. وهٰذا وهمٌ خطيرٌ يقود إلىٰ حرف الوعي عن السِّياق الحقيقيِّ لظاهرة الإسلاموفوبيا، ويجعل المسلمين يتعاملون معها بسطحيَّةٍ وغباءٍ أيضاً.

---

[١٨٦] . برنامج المرصد: **عودة الإسلاموفوبيا.. وأطلس مستعد للقتال** . الجزيرة نت . برنامج المرصد . الاثنين ١٤٣٦/٣/١٤ هـ – الموافق ٢٠١٥/١/٥م.

[١٨٧] . متابعات: **أسلمة الغرب... العقدة الأوروبية الجديدة** . موقع إيلاف . الخميس ٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٥م.

[١٨٨] . لبيب فهمي: **المنتدى الأول لانتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا في بروكسل** . الجزيرة نت . الاثنين ١٤٣٦/٢/٢٢ هـ – الموافق ٢٠١٤/١٢/١٥م.

المحللون الخطِّيون، أعني السَّطحيين، الساذجين، الباردين ينظرون إلىٰ الأمر من الزَّاوية المنطقيَّة الخطيَّة السَّحطيَّة فكثيرون يحلِّلون ظاهرة الإسلاموفيوبيا علىٰ أنَّها ردَّة فعلٍ علىٰ القاعدة مثلاً، أو ردَّ فعلٍ علىٰ التَّردِّي الاقتصاديِّ الغربيِّ كما يرى **أحمد جاب الله** مدير المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانيَّة إذ ردَّ الاعتداءات علىٰ المسلمين والمساجد في السُّويد (ذات الرَّخاء الاقتصادي) «إلىٰ لأزمة الاقتصاديَّة التي تجعل الشُّعوب تنكفئ وتعتبر الأجنبي المسؤولَ عن تراجع وضعه الاقتصادي، فيستغل اليمين الفرصة ليرفع من وتيرة العداء للأجانب في سبيل الحصول علىٰ مكاسب انتخابيَّة»[١٨٩]. علىٰ أنَّهُ لولا الأزمة الاقتصاديَّة لما استجاب أحد، ولما استطاع اليمين تحريض النَّاس... وعلىٰ أساس أنَّ فوبيا الإسلام والتَّحريض علىٰ الإسلام وليدة السَّاعات السَّابقة علىٰ حرق المساجد!! هٰذه الطَّريقة في التَّحليل تحرف الفهم عن الاتجاه الصَّحيح وتجعل النَّاس تركن إلىٰ تفسيرٍ خرافيٍّ لا أساس له من الصِّحَّة؛ صحيح الظَّاهر ولٰكنَّهُ فارغ المضمون، فيقنعون بحقيقةٍ زائفةٍ مفادها أنَّ هم السَّبب في الحقد الغربيِّ عليهم، وأنَّ الغرب بريءٌ لا ذنب له.

تاريخية الإسلاموفوبيا

أودُّ أن أبيِّن هنا ثانيةً أني في الأساس كنت أنوي تتبع تاريخيَّة فوبيا الإسلام علىٰ نحو موسَّعٍ قليلاً لتعذُّر التَّتبع الشامل، ولٰكنِّي علىٰ معرفتي بكثرة المعطيات والمعلومات في هٰذا الشَّأن فإنِّي فوجئت بأنها أكثر مما توقعت، وتستحق وقفة أكبر مما خططت. لننطلق من الآخر، من اليوم

[١٨٩] . برنامج الواقع العربي: **عرب أوروبا وجديد الإسلاموفوبيا** . الجزيرة نت . برنامج الواقع العربي . السبت ١٤٣٦/٣/١٢ هـ – الموافق ٢٠١٥/١/٣م.

بنظرة خاطفة تمهيديَّة لنعود إلىٰ الوراء بنظرة خاطفة أيضاً لإلقاء ضوء علىٰ الحقيقة لا للكشف عن تفاصيلها.

ترصد الغرب للإسلام تاريخيٌّ وليس بجديد أبداً. قد يصعب تحديد نقطة بدء لذلك. ولذلك من المتعذَّر العودة إلىٰ نقطة أو مرحلة تاريخيَّة تقول فيها من هنا بدأ ترصُّد الغرب للإسلام ومحاربته. وهنا يبرز **أيوجين روستو** رئيس قسم التَّخطيط في وزارة الخارجيَّة الأمريكيَّة ومساعد وزير الخارجيَّة الأمريكيَّة، ومستشار الرَّئيس **جونسون** لشؤون الشرق الأوسط حَتَّىٰ عام ١٩٦٧م يقول: «يجب أن ندرك أنَّ الخلافات القائمة بَيْنَنا وبَيْنَ الشُّعوب العربيَّة ليست خلافاتٍ بَيْنَ دولٍ أو شعوبٍ، بل هي خلافاتٌ بَيْنَ الحضارة الإسلاميَّة والحضارة المسيحيَّة»[١٩٠].

ويتابع قائلاً: «إنَّ الظُّروف التَّاريخيَّة تؤكد أن أمريكا إنَّمَا هي جزءٌ مكمِّلٌ للعالم الغربيِّ؛ فلسفته، وعقيدته، ونظامه، وذَلكَ يجعلها تقف معاديةً للعالم الشَّرقيِّ الإسلاميِّ، بفلسفته وعقيدته المتمثِّلة بالدِّين الإسلاميِّ، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هٰذا الموقف في الصَّف المعادي للإسلام وإلىٰ جانب العالم الغربيِّ والدَّولة الصهيونيَّة، لأنَّهَا إن فعلت عكس ذَلكَ فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسَّساتها. إن **روستو** يحدد أن هدف الاستعمار في الشَّرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلاميَّة، وأن قيام إسرائيل، هو جزء من هٰذا المخطَّط، وأنَّ ذَلكَ ليس إلا استمراراً للحروب الصَّليبيَّة»[١٩١].

---

[١٩٠]. المؤامرة ومعركة المصير – صفحات ٨٧-٩٤. نقلاً عن قادة الغرب يقولون.

[١٩١]. المصدر السابق. صفحات ٨٧-٩٤.

ما يختصر الحقيقة بأبلغ العبارات وأوجزها وأوضحها ليس تصريحاً واحداً أبداً... مئات التَّصريحات المعاصرة وحَتَّىٰ القديمة يختصر لنا كل واحدٍ منها وحده حقيقة فوبيا الإسلام ويعبر عنها بوضوح لا لبس فيه، فأكثر الغربيين أنفسهم يؤكِّد أنَّ «ظاهرة العداء للإسلام في أوروبا تجلٍّ لصراعٍ دينيٍّ وثقافيٍّ ممتدٍ عبر العصور»[١٩٢].

جورج بوش الابن في أوَّل خطاب له عقب أحداث أيلول ٢٠٠١م أعلنها حرباً صليبيَّة. هٰذا الإعلان وحده مؤشِّرٌ صريحٌ علىٰ عمق جذور الحقد الدِّيني التي لا علاقة لها بالمصالح الاقتصاديَّة ولا السِّياسيَّة، وقد حالوا مراراً ترقيع هٰذا التَّصريح وتليينه، ولٰكنَّ ما يحدث أنَّ تصريحاتٍ أشدَّ وطأةً تخلفُ سابقاتها دائماً.

إذا كان **بوش** عاد بضع مئات من السِّنين إلىٰ الوراء فإنَّ **رونالد ترامب** تجاوز كلَّ المنطق وكلَّ التَّاريخ وأعاد الثَّأر المسيحي من الإسلام إلىٰ ما قبل الإسلام بمئات السِّنين، ومن ثمَّ أعاد الإسلاموفوبيا أيضاً إلىٰ ما قبل الإسلام بمئات السِّنين، ففي أحد خطاباته في أواخر آذار/ مارس ٢٠١٦م قال مخاطباً الشَّرق الأوسط: «**لن أنسى صلبكم للمسيح**». المسلمون حسب **ترامب** صلبوا المسيح قبل الإسلام بستمئة سنة!!

هنا تقف اللغات مصلوبةً علىٰ جدارن اللامنطق بمسامير العبث. ماذا يمكن أن نقول بعد هٰذا الكلام؟

---

[١٩٢] . محمد فال ولد المجتبى: **الإسلاموفوبيا القاتلة.. على نفسها جنت أوروبا** . الجزيرة نت . الخميس ١٤٣٢/٨/٢٧ هـ – الموافق ٢٠١١/٧/٢٨ م.

منطقيًّا من المحال أن نجد أيَّ وثيقةٍ أو كلامٍ في الإسلاموفوبيا قبل الإسلام، ولٰكن مع ذٰلكَ فإنَّ **ترامب** ألقى ضوءاً علىٰ حقيقة أنَّ الإسلاموفوبيا فعلاً قد سبقت ظهور الإسلام عندما حرَّف النصارى الإنجيل لمحو البشارة **بمحمد صلى الله عليه وسلم** من الإنجيل، وقد كان ذٰلكَ قبل الإسلام بنحو أربعمئة سنة

يرجع أول ذكرٍ لتعدُّد الأناجيل إلىٰ القديس **جاستن** الذي توفي قتلاً سنة ١٦٥ميلاديَّة، ثمَّ بعده علىٰ يد «**تاتيان** الذي جمع الأناجيل الأربعة في كتاب واحدٍ سمَّاه (الدياطسرن) في الفترة ١٦٦ . ١٧٠ ميلاديَّة»[١٩٣]. وعندما نعلم أن الأناجيل الأربعة الجديدة حينها تجمع علىٰ شطب بشارة الرَّحمن جلَّ وعلا **بمحمد عليه الصلاة والسلام** فلا يمكن إلا القول بأنَّ الحرب علىٰ الإسلام قد بدأت منذ ذٰلكَ الحين... وأنَّها بدايات الإسلاموفوبيا؛ بدأت الإسلاموفوبيا قبل الإسلام بنحو أربعمئة سنة. ومع القرن الهجري الأول بدأت تتشكِّل ملامح الإسلاموفوبيا وتأخذ أبعادها علىٰ مدار القرون التَّالية من دون انقطاع أو حَتَّىٰ فتور. ويمكن موافقة الدكتور **علي عودة** بأنَّ عقيدة الغرب تجاه الإسلام «القائمة علىٰ أساس التَّلفيق والاختراع لتصوير الإسلام في أشكال مشوهة وبشعة هي عقيدة غربيَّة موروثة تشكلت ونمت خلال ثمانية قرون منذ القرن الأول وحَتَّىٰ نهاية القرن الثامن الهجري. وانتقلت هٰذه العقيدة كاملة متماسكة عبر القرون لتصل إلىٰ القرون الحديثة

[١٩٣] . خالد وداعة: **من أدلة تحريف الإنجيل** . موقع شبكة الألوكة . الخميس ١٤٣٢/٦/٢٨ هـ – الموافق ٢٠١١/٦/١م.

والمعاصرة. وأصبحت أشبه بالمستنقع الآسن العَفِن الذي تغرف منه وسائل الإعلام الغربيَّة»[١٩٤].

الطَّريف غير الغريب أنَّ النَّصارى الشَّرقيين الذين عاشوا في أكناف الدَّولة الإسلاميَّة ونهلوا من معينها وعلومها وتنعَّموا بنعيمها تابعوا هٰذه الحملة التَّخويفيَّة من الإسلام والتَّشويهيَّة والافترائيَّة علىٰ الإسلام وعلىٰ الرَّسول الكريم وعلىٰ القرآن الكريم. ومنهم علىٰ سبيل المثال **يوحنا الدمشقي**[١٩٥] الفيلسوف الشَّهير الذي قدَّره المسلمون أكبر تقدير واحترموه أيَّما احترام «وضع كتاباً باللغة اليونانيَّة بعنوان الهرطقات. وأفرد فيه فصلاً عن الإسلام أطلق عليه اسم (هرطقة الإسماعيليين) ويقصد بالإسماعيلين العرب من أبناء **اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام**. وهٰذا الفصل شديد الطَّعن، اتهم فيه **يوحنا** العرب بالهرطقه والضَّلال والخرافة، واعتبرهم فرقةً نصرانيَّةً متهرطقةً، وزعم أنَّ **محمداً عليه الصلاة والسَّلام** كان رسولاً زائفاً ادَّعى النَّبوة زمن الإمبراطور **هرقل**، بعد أن قرأ العهد القديم والعهد الجديد وتعلَّم من راهبٍ أريوسي فتظاهر بالتَّقوى حَتَّىٰ استمال العرب إليه وأخبرهم أنَّهُ تلقَّى كتاباً من السَّماء، وقدّم فيه تلك الشَّرائع المضحكة ـ علىٰ حدِّ قوله ـ التي تسمَّى بالإسلام»[١٩٦]. وغير ذٰلكَ كثير من الإساءات والفبركات والتَّشويهات.

---

[١٩٤] . الدكتور علي بن محمد عودة: **العدوان الفكري الغربي على الإسلام وعلى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام**. العرب نيوز. ١٨ حزيران/ يوليو ٢٠١٦م.

[١٩٥] . يوحنا الدمشقي (٥٥ – ١٣١هـ / ٦٧٥ – ٧٤٩ م) من نصارى الشام، وُلدَ وعاش في العصر الأموي، وتضلع في اللاهوت، وكتب كتباً كثيرة.

[١٩٦] . الدكتور علي بن محمد عودة: **العدوان الفكري الغربي على الإسلام وعلى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام**. العرب نيوز. ١٨ حزيران/ يوليو ٢٠١٦م.

في أواخر القرن الثَّاني الهجري/ أواخر القرن الثامن وأوائل التَّاسع الميلادي، الفترة الموازية لحياة **يوحنا الدِّمشقي**، ظهرت في أحد الأديرة الشَّماليَّة الإسبانيَّة ما اشتهرت تحت عنوان المقالة الإسبانيَّة لكاتبٍ مجهولٍ أغلب الظَّن أنَّهُ نصرانيٌّ شرقيٌّ ورُبَّما نصرانيٌّ مستعربٌ كما قال ناشر الرسالة، وهي عبارة عن نصٍّ هجوميٍّ بذيءٍ على النَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام عُرفت باسم المقالة الأسبانيَّة عن **محمد عليه الصلاة والسلام** «تصِّور **النبي عليه الصلاة والسلام** بصورةٍ مجافيةٍ للذَّوق ومعاكسةٍ لصفاته، فتزعم . زوراً وبهتاناً . أنَّهُ كان كاذباً مبتدعاً شهوانياً، وأنه دعا عربه المتوحشين إلىٰ أن يتخلُّوا عن الوثنيَّة، وأن يعبدوا إلها ماديًّا في السَّماء علىٰ شكل كرةٍ ماديَّةٍ، وتزعم هٰذه المقالة الزَّائفة أنَّ **إبليس** ظهر **لمحمد عليه الصلاة والسلام** مدعياً أنَّهُ الملك **جبريل**، وأخبره أنَّ الرَّب أرسله ليبشر العرب بما كان قد سمعه في مدارس المسيحيين ويدعوهم إلىٰ عبادة ذٰلكَ الإله المادي في السَّماء وهجر عبادة الأوثان»[١٩٧]. وتتجاوز إلىٰ إساءات يعفُّ اللسان عن ذكرها ويقشعرُّ البدن منها.

لقد انتشرت هٰذه الرِّسالة انتشار النَّار في الهشيم بَيْنَ نصارى الأندلس وأوروبا، ومن شدَّة ما فيها من الشَّحن ضدَّ الإسلام والمسلمين أدَّت إلىٰ تشكيل حركة استشهاديَّة تجاهر بستم الرَّسول وتسفيه الإسلام في قرطبة الأمر الذي أدَّىٰ إلىٰ إصدار حكم الإعدام علىٰ عددٍ منهم ناهز الخمسين حسب المصادر

[١٩٧] . المصدر السابق . ذاته.

الأسبانيَّة أن عددهم يبلغ زهاء ٥٠ شخصاً. منهم الرَّاهب **بيرفكتوس** والراهب **بول الفارو**، وأسقف طليطلة أولوخيو الذي «كتب روايةً عن هٰذه الحركة وسبَّ النَّبي عليه الصلاة والسلام فحُكمَ عليه بالأعدام سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م. **وبول الفارو** هو الذي كتب سيرة **أولوخيو** بعد مقتله»[١٩٨].

وفي رواية **أولوخيو** وسيرته التي كتبها **الفارو** من الإساءات والافتراءات والتَّشويه والشَّتائم ما يعفُّ اللسان عن ذكرها أقلُّها وصف الإسلام بأنَّهُ «العقيدة الضَّالَّة، وخدعة الشَّيطان الماكرة... وعبادة إبليس، ومستنقع كلِّ الرَّذائل...» [١٩٩].

وبعد نحو مئة سنة خرج علينا **نيقتاس البيزنطي**[٢٠٠] بكتاب سمَّاه (دحض كتاب محمد المزور)[٢٠١]. في الكتاب الكثير من الافتراءات والمزاعم والإساءات خلاصتها «أنَّ **محمداً عليه الصلاة والسلام** قاد المسلمين ليعبدوا في مكة وثناً مصنوعاً علىٰ غرار **أفروديت**، وأنَّهُ جعل الشَّيطان ربًّا للخلق، وظلَّ يؤكِّد علىٰ أنَّ دين **محمد عليه الصلاة والسلام** دينٌ وثنيٌّ وأنَّ أتباعه مجرَّد جماعة من الوثنيين. وكان في كلِّ سورةٍ (يسميها أسطورة) يتحدَّث عنها يوجه السَّب والشَّتم إلىٰ **النبي عليه الصلاة والسلام**، زاعماً أنَّهُ هو الذي وضع القرآن وشحنه

---

[١٩٨] . المصدر السابق . ذاته.

[١٩٩] . المصدر السابق . ذاته.

[٢٠٠] . نيقتاس البيزنطي الذي عاش في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي.

[٢٠١] . كان الكتاب تلبية للإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث (٢٢٧ . ٢٥٤ / ٨٤٢ . ٨٦٧) الذي تلقى مقالتين من بعض العلماء المسلمين تفندان مزاعم النصارى بأنَّ لله جلَّ وعلا ابن يشاركه في أسمائه وصفاته، وبطلان مقولة الأقانيم الثلاثة، فكلَّفَ الإمبراطور نيقتاس بالرد عليهما.

بالأساطير، وأنَّهُ أمر أتباعه بقتل من يجعل شريكاً في جانب الله، ولذلك وَقَعَ معظم ذلكَ القتل علىٰ النَّصارى الذين يعبدون المسيح ابن الله»[٢٠٢]. وهٰذا كل مما نجده في الخطاب الإسلاموفوبي اليوم.

وبعد نحو من مئة سنة كانت رسالة نجم نجوم الثَّقافة الإسلاميَّة الفيلسوف النَّصراني **يحيى بن عدي** المتوفى سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٥م، الذي أجلَّهُ المسلمون وبجَّلوه وأكرموه حَتَّىٰ غدا نجم نجوم الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة. كتب «رسالة النَّصراني الشَّرقي»، وهي من دعائم الثَّقافة الغربيَّة في الإسلاموفوبيا والحرب علىٰ الإسلام، وهي التي أحدثت المشروع الكلوني برمَّته، لهٰذا المشروع الذي سنمرُّ به بعد قليلٍ.

لن نطيل الوقوف عند الرسالة عرضاً ولا مناقشة فقد عرضها الدكتور علي عودة عرضاً مختصراً وافياً في بحثه، وهي افتراءات صريحة وتناقضات واضحة، فيما اشتهر عنه من حنكة وذكاء بدأ بمحاولة دحض عقيدة التوحيد، ثمَّ وجه هجومه علىٰ **النبي صلى الله عليه وسلم** باتهامات من مختلف الألوان والأنواع، «فاتهمه بأنَّهُ كان يطمع أن يكون ملكاً فادعى النبوة، واغتصب أرضاً لغلامين يتيمين وبنى عليها مسجده، وأنَّهُ اصطحب قوماً فراغاً لا عمل لهم، وبدأ في شن الغارات وممارسة النَّهب والسَّلب وقطع الطَّريق وإخافة السَّبيل، ويتَّهم **النبي عليه الصلاة والسلام** أنَّهُ أمر باغتيال بعض الآمنين في بيوتهم... ثمَّ يهاجم شعائر الإسلام، ويعتبر الحج عملاً من أعمال الوثنيَّة، ويرى أنَّ الجهاد

[٢٠٢] . الدكتور علي بن محمد عودة: **العدوان الفكري الغربي على الإسلام وعلى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام**. مصدر سابق.

في سبيل الله إنَّمَا هو عمل الشيطان...»[٢٠٣]، وغير ذَلكَ كثير علىٰ مدار مئة وأربعين صفحة.

المسألة المهمة التي انتبه إليها عودة هي أنَّ **يحيى بن عدي** كتب هٰذا الكتاب حين ازداد دخول النَّصارى في الإسلام في القرن الرَّابع الهجري، وكان هدفه منه تحصين أهل الذِّمَّة من النَّصارى لمنعهم من اعتناق الإسلام وإقناعهم بأنَّ دينهم هو الدِّين الصَّحيح، بما يشبه تماماً ما يحدث اليوم من الخوف من أسلمة أوروبا إثر الإقبال المتزايد من الأوروبيين علىٰ دخول الإسلام.

في الفترة ذاتها وصلت الرسالة إلىٰ أوروبا وكانت فيما يبدو سبباً مباشراً في إنشاء دير كلوني في جنوب فرنسا الذي تأسس سنة ٢٩٧هـ/٩١٠م ومنه انبثقت حركة لإصلاح الحياة الرهبانيَّة عُرفت في التَّاريخ الأوربي باسم حركة الإصلاح الكلونيَّة، ومن هٰذا الدِّير انطلقت حملة الإسلاموفوبيا وحملة العداء للإسلام علىٰ نحو مبرمج ممنهج، «وهٰذا المشروع يعتبره بعض الباحثين الغربيين بأنَّهُ: المشروع الغربيَّ العالميَّ الأول لدراسة الإسلام، وهو في حقيقته المشروع الغربي الأكبر لتشويه صورة الإسلام، الذي حدث سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٣م»[٢٠٤]. علىٰ يد الرَّئيس الجديد لدير كلوني الراهب **بيير موريس دي مونتبوسيير** الذي أطلق عليه معاصروه لقب بطرس المكرَّم.

ورُبَّما مع إنشاء هٰذا الدِّير بدأ التَّخطيط للغزو الصليبي، ومع **أوربان الثاني** (١٠٩٦ ميلادي) منظم الحملات الصليبيَّة تظهر الإسلاموفوبيا بوضوح في

[٢٠٣] . المصدر السابق . ذاته.

[٢٠٤] . المصدر السابق . ذاته.

خطاب **أوربان الثاني** الذي كان يجمع النَّاس للمشاركة في الحروب الصليبيَّة بصراخه وصياحه: «المسيح المعذب يدعوكم... القبر المقدس يرجوكم... الوعد الأعظم ينتظركم...». أكثر من مئتي سنة من الحروب الصليبيَّة وهٰذا الخطاب يتردَّد في أرجاء أوروبا ويشكِّل عقليتها المعادية للإسلام... هنا نقطة الفهم الحقيقيَّة لفوبيا الإسلام: فوبيا الإسلام هي العداء للإسلام والحشد ضدَّه وليست الخوف من الإسلام أو المسلمين كما سيبدو في سياق البحث مراراً.

ومنذ بدء مشروع كلوني سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٣م وعلىٰ مدار قرنين علىٰ الأقل شهدت أوروبا أكبر حملة في رسم صورة الإسلام المشوَّه واستعداء الأوروبيين ضدَّ الإسلام وتكوين العقليَّة الغربيَّة تجاه الشَّرق والعرب والإسلام، هٰذه العقليَّة التي كانت موجودة أساساً واستمرَّت إلىٰ يومنا هٰذا كما هي تقريباً من دون أيِّ تغيُّرٍ سوى مزيد التَّعزيز والتَّقوية.

ففي هٰذه الفترة «كتبت أربع سير للرسول (عليه الصلاة والسلام) باللغة اللاتينيَّة من قبل قساوسة ورهبان لقيت رواجاً كبيراً في الأوساط المدرسيَّة المسيحيَّة ساهمت في ترسيخ أفكار مشوَّهةٍ عبر سلسلةٍ من القصص المختلقة في التُّراث الفلكلوري المسيحي تركِّز علىٰ إلصاق أبشع الصِّفات بالرَّسول الكريم»[٢٠٥].

ركزت هٰذه المرحلة علىٰ تشويه الرسول الكريم والإساءة إليه أكثر مِمَّا ركَّزت علىٰ تشويه المسلمين كما هو الأمر اليوم. كانت الحرب علىٰ الإسلام في تلك المرحلة علىٰ طبيعتها الحقيقيَّة غير مضطرة للمجاملة واللف والدَّوارن مثلما هو

---

[٢٠٥] . خالد يوسف: **جريمة الرسوم؛ عدسة البقع السوداء وعين المخابرات** . موقع المسلم نت . ٤آذار/ مارس ٢٠٠٦م.

الأمر اليوم لأسباب كثيرة منها الإعلاميَّة. ولذلك ركَّزوا حربهم علىٰ نسف أصل الإسلام وهو الرسول **محمد صلى الله عليه وسلم**، فإذا نسف هٰذا الأصل لم يعد لشيء بعده قيمة.

في تلك الفترة تفاوتت مستويات تشويه الرَّسول صلى الله عليه وسلم ووصلت إلىٰ حدود يعجز اللسان عن ذكرها ويأبى ترديدها. ففي كتاب (في ظهور محمد[٢٠٦]) لراهب فرنسي من دير كلوني في القرن الثاني عشر الميلادي صوِّر الرسول علىٰ هيئة «وحشٍ ذي لحيةٍ طويلةٍ»[٢٠٧].

وتظهر فوبيا الإسلام ظهوراً جليًّا في مخطوط يرجع إلىٰ سنة ١٢٤٢م **لألكسندر لايكس** إذ يخوِّف الأوروبيين من المسلمين ويصورهم علىٰ أنَّهُم وباء وحشي يجتاح المسيحيَّة، وقد «صور كلاًّ من الرسول الكريم عليه الصَّلاة والسَّلام **وصلاح الدين** بصورةٍ بشعة يباركان مجموعة من المسلمين في مواجهة مجموعة من المسيحيين أمام الصَّليب»[٢٠٨]. وكذٰلكَ بالطَّريقة ذاتها وفي الفترة ذاتها تظهر فوبيا الإسلام في مخطوطٍ[٢٠٩] للرَّاهب الفرنسي **بيير دي بواتييه** «الذي يربط بَيْنَ **رسول** الله **وصلاح الدين** في معاداة الصَّليبيَّة والحرب عليها»[٢١٠].

وإلىٰ جانب هٰذه الكتب وغيرها كان يسير مشروع كلوني، مشروع **بطرس المكرَّم**. **بطرس** هٰذا رأى في الإسلام «هرطقة تهدد النصرانيَّة»، كيف تهدد

---

[٢٠٦] . محفوظ في مكتبة الأرسنال في باريس برقم ١١٦٢.

[٢٠٧] . خالد يوسف: **جريمة الرسوم؛ عدسة البقع السوداء وعين المخابرات** . مصدر سابق.

[٢٠٨] . المصدر السابق . ذاته.

[٢٠٩] . المخطوط محفوظ في مكتبة معهد ايتون في وندسور تحت رقم٩٦.

[٢١٠] . خالد يوسف: **جريمة الرسوم؛ عدسة البقع السوداء وعين المخابرات** . مصدر سابق.

هرطقة ديناً؟ ودعا إلىٰ محاربة الهرطة بتحريفها وتشويهها!! إن كانت هرطقة يكفي أن تقدِّمها كما هي ولا حاجة لتحريفها وتشويهها. وعلىٰ هٰذا الأساس شكل فريقاً لترجمة القرآن ترجمةً مشوَّهةً تقدِّمه للنَّصارى بصورةٍ مقرفةٍ منفِّرةٍ. وهٰذا ما طلبه من المترجم الإنجليزي روبرت أوف كيتون وفعله المترجم باجتهادٍ وإدراكٍ فهو من المفترض أنَّهُ يترجم القرآن ولٰكنَّهُ جعل الترجمة حرباً علىٰ الإسلام وتحريضاً عليه، أي ببساطة لم يتحلَّى بأيِّ عنصر من عناصر أمانة الترجمة، بما يعكس حقيقة الهدف المسبق وهو تشويه الإسلام والافتراء عليه ويبين أنَّهُ في خطابه إلىٰ **بطرس المكرم** في مقدمة الترجمة: «ولذلك قمت بالعمل معك لما علمت أن نفسك مجتهدة في سبيل كلِّ شيءٍ صالحٍ، وأنَّك تتوق إلىٰ ردم المستنقع غير الخصب للعقيدة الإسلاميَّة... لذٰلك أنا كشفت عن السُّبل والوسائل . بكل جهدي . للوصول إلىٰ ذٰلكَ... وها أنا أحضرت الخشب والحجارة اللازمة لعمارتك الجميلة التي يجب أن تنتصب فوق الجميع خالدة. أنا كشفت الغطاء عن دخان **محمد** الذي يجب أن يُخمد بواسطة منفاخك»[٢١١].

وما الذي فعله؟ فعل الكثير من الطَّعن والتَّشويه والتَّحريف والتَّغيير والتَّبديل، واختصر ذٰلكَ بقوله بأنَّهُ قد صحَّح أخطاء «دكاترة الكنيسة الذين أهملوا تلك الهرطقه الكبرى . يقصد الإسلام . لتصل وتصعد إلىٰ شيء ضخمٍ جدًّا ومفرطٍ لمدَّة خمسمائة وسبع وثلاثين سنة، لأنَّهَا مهلكةٌ وضارَّةٌ، وتُحطِّم بالخداع قانون الدين المسيحي»[٢١٢]. وفي هٰذا الكلام اعتراف بتناقضه من جهة وصف الإسلام بالهرطقة أي الكلام

[٢١١] . الدكتور علي بن محمد عودة: **العدوان الفكري الغربي على الإسلام** . مصدر سابق.

[٢١٢] . المصدر السابق . ذاته.

الفارغ والمتناقض يشكل خطراً على الدين النصراني! وإذا كان هرطقة فلماذا قام بما قام به من تزوير وتشويه وتحريف...؟!

جهود **بطرس المكرَّم** لا تتوقَّف هنا فهي كثيرةٌ ومتنوِّعةٌ، إنَّهَا مشروعٌ كبيرٌ بكلِّ ما تحمله الكلمة من معنى. نكتفي بهٰذا القدر منها لأنَّهَا تستحقُّ وقفةً مستقلَّةً مطوَّلةً لوحدها. على أننا لا بُدَّ من التذكير بمدى خطورتها ومدى ما أسهمت به في بلورة العقل الأوروبي وصنعه في هٰذا الشَّأن، ومدى ما فيه من تشويهٍ وتزويرٍ وتحريفٍ وتضليلٍ... كل ذٰلكَ عن وعيٍ وإدراكٍ وتخطيطٍ مسبَّقٍ.

بعد ذٰلكَ لم تتوقَّف الحملة ولو عاماً واحداً. وفي كلِّ عقدٍ على الأقل لدينا كاتب يسطع نجمع في سماء أوروبا في حملة استعداء الأوروبيين ضدَّ الإسلام وتشويهه والتَّخويف منه... بما يعني حملة إسلاموفوبيَّة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، لو كان اصطلاح الفوبيا موجوداً حينها لكان مرافقاً لكل تلك الكتابات والحملات.

في خواتيم القرن الثالث عشر برز الرَّاهب الإسباني **سان بدرو باسكوال** المتوفى سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م الذي كتب الكثير من الكتب في تشويه الإسلام والافتراء عليه والاستعداء ضدَّ المسلمين ومنه كتابه (الفرقة المحمديَّة)، الذي ركَّز فيه، مثل الجميع قديما وحديثاً واليوم على الطعن في مسألة الجهاد، ومما جاء فيه: «ما الذي جاء به **محمد** غير الفسوق والسَّلب، القرآن على حدٍّ سواء وبتناقض، أَمَرَ بالسَّلب والحرب، والحديث أكَّد هٰذا، حيث وُعِدَ المسلمون بمكافأة ضخمة من أجل الموت في الحرب، وأنَّ جروحهم سوف تكون جميلة يوم البعث، ذٰلكَ أنَّ **محمداً** أمر بأن النَّاس من غير المسلمين يجب أن يُقتلوا بواسطة

الجهاد، وتُغتصب نساؤهم ويؤخذن سبايا مع الأطفال، وخيراتهم تُنهب وبلادهم تُحتل. وقد زعم **سان بدرو باسكوال** أنَّ **محمداً عليه الصلاة والسلام** أثنى ذات مـرَّةٍ علىٰ آلهـة الـوثنيين في آيـات زعـم أنَّ المسـلمين يسـمونها الآيـات الشَّيطانيَّة[٢١٣] واخترع الكثير من القصص والأساطير التي نسبها لرسول الله والإسلام»[٢١٤].

لم تتوقف الجملة أبداً كما أشرنا، ولقد كان للقرنين الثَّالث عشر والسَّابع عشر أثراً بالغاً في صوغ العقل الجمعي الأوروبي منذ تلك المرحلة إلىٰ درجة أنَّهُ في عام ٧٦٢هـ / ١٣٦١ م كتب الرَّاهب البندكتي **أوثرد أوف بولدون** الذي يعمل في جامعة أكسفورد قائلا: «إنَّهُ عند لحظة الموت لكلِّ إنسانٍ سواء كان نصرانيًّا أو مسلماً، أو من أيِّ دين، فإنَّهُ ينعم بالرُّؤية المباشرة للرَّب، ويتلقى حكمه الأبدي في ضوء استجابته لهٰذه التَّجربة... فقامت ضدَّ الراهب **أوثرد** احتجاجات عنيفة من زملائه الرُّهبان مفادها: كيف يمكن لمسلمٍ أن ينجو من الهلاك والعذاب السَّرمدي؟؟؟ فاضطر الرَّاهب **أوثرد** إلى سحب اقتراحه»[٢١٥].

لم يحتجُّوا علىٰ أيِّ دين من الأديان، يمكن لكلِّ الوثنيين أن ينعموا برؤية الرَّبِّ وأبناء كلِّ الأديان يمكن أن ينعموا بذٰلكَ... ولا اعتراض... الاعتراض فقط علىٰ أن يمكن ذٰلكَ للمسلم!!!

---

[٢١٣] . لهٰذا العنوان هو الذي اتخذه سلمان رشدي لكتابه المخصص للإساءة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكاتب البحث يقول إنَّهُ الكتاب كله مأخوذ من باسكوال وفنديزو وريكولدو وغيرهم من كتّاب العصور الوسطى.

[٢١٤] . الدكتور علي بن محمد عودة: **العدوان الفكري الغربي على الإسلام** . مصدر سابق . ذاته.

[٢١٥] . المصدر السابق . ذاته.

هٰذه هي الصُّورة التي نعيشها اليوم؛ كلُّ الأديان الوثنيَّة جيِّدةٌ، عبادة الشَّيطان جيِّدةٌ، الإلحاد جيِّدٌ... كلُّ شيءٍ جيِّدٌ إلا الإسلام!!!

نقفز إلىٰ الجانب الآخر من الأرض، وإلىٰ القرن مطالع التَّاسع عشر. لن نبدأ من نشأة القارة الأمريكيَّة الحديثة وما فيها من معطيات تشيب لهولها الولدان، وهي متصلة بالإسلاموفوبيا وفق أكثر الدِّراسات والأبحاث وثوقيَّةً. سنقف عند بداية الدَّولة الأمريكيَّة.

مع استقلال الدَّولة الأمريكية إداريًّا وسياسيًّا عن الأصل الأوروبي وليس الاحتلال الأوروبي بدأ يظهر الفكر المؤسِّس والعقائد الأساسيَّة للدَّولة علىٰ يد الأمريكيين الجدد الأوروبيين أصلاً، ومنهم القس **جورج بوش**[٢١٦] الذي وضع كتاباً بعنوان: «حياة محمد مؤسِّس الدِّيانة الإسلاميَّة» الذي كان إعادة استنساخٍ وتكراراً لما بات يصعب الإضافة عليه من إساءاتٍ وتشويهٍ وتحريفٍ وتضليلٍ وتحريضٍ واستعداءٍ، فصدر الكتاب في طبعته الأولى بنيويورك عام ١٨٣٧م وقيل خطأً ١٨٣٠م، وأعيدت طباعته في ٢٠٠٢م مع ولاية **جورج بوش الابن**، وترجم علىٰ الفور في مصر إلىٰ العربيَّة ترجمة تقديرٍ لا للنقد ولا للتَّعريف، الأمر الذي حدا بالأزهر إلىٰ المطالبة بسحب الكتاب من الأسواق ومنع تداوله.

---

[٢١٦] . وفق التعريفات التي انتشرت في مرحلة نشر الكتاب الذي كان عليه إقبال هائل قالت المقالات إنَّهُ تربطة علاقة قربى بجورج بوش الأب والابن، وهٰذا القس الجد درس اللاهوت في جامعة برنستون، وشغل منصب أستاذ في جامعة نيويورك، فيما بعد، لمادتي الأدب الشرقي واللغة العبرية هناك وأضحى مرجعاً مهمًّا في المجالين. كان حادًّا في معتقداته ومثيراً للجدل الأمر الذي تسبب في انشقاقه الاختياري عن كنيسته الأصلية وانضمامه لمذهب «كنيسة القدس الجديدة»، التي احتضنت إنتاجاته إلىٰ أن توفي في ١٩ أيلول/ سبتمبر ١٨٥٩م.

سنكتفي بهٰذا القدر من تاريخ طويل لم ينقطع العمل فيه عاماً في الغرب علىٰ الإساءة للإسلام كلاً وأبعاضاً وتفاصيلاً: القرآن، الرسول صلى الله عليه وسلم، الحديث الشريف، السيرة النَّبويَّة، تاريخ الإسلام وحَتَّىٰ لله وجلَّ وتعالى عما يسيئون. لنصل إلىٰ القرن العشرين وفيه ما فاق القرون الماضية كلَّها تقريباً ليس بجديد المعلومات ولا بطريقة الإساءة وإنَّمَا بالعمل المبرمج المخطَّط المنظَّم الذي بدأ مطلع القرن العشرين بدهاءٍ شديدٍ وأخذ يزداد دهاءً وإحكاماً، وإن كان كل الدَّهاء والإحكام قد ظلَّ تحت مطرقة التناقضات الصارخة. وصارت مؤسَّسات الدَّولة الغربيَّة ذاتها تقف شريكاً وفاعلاً في حملة الإسلاموفوبيا.

مأسسة فوبيا الإسلام

بعد كلِّ ما سبق لم يعد ثَمَّةَ أدنى شكٍّ في أنَّ فوبيا الإسلام حملةٌ مصطنعةٌ مبرمجةٌ ممنهجةٌ وليست مخاوف حقيقيَّةً من الإسلام لأيِّ سبب من الأسباب المزعومة. كلُّ الأسباب والمظاهر التي يخوِّفون بها النَّاس من الإسلام كاذبةٌ افترائيَّةٌ ولا تقوم أبداً علىٰ أيِّ أساسٍ من الصِّحَّةِ. حَتَّىٰ الخوف العقيدي أو الدِّيني من دخول النَّصارى الغربيين في الإسلام ذاته ليس إلا دليلاً أو شاهداً علىٰ قوَّة الإسلام وسلامته وتماسكه وعدم ضحالته أو سوئه كما يزعمون.

علىٰ أنَّ الحقيقة الأوسع والأشمل من ذٰلكَ هي ما تقدِّمه لنا تاريخيَّة فوبيا الإسلام من معطيات وحقائق عن تجذر هٰذه الظَّاهرة بمضمونها وأهدافها وغاياتها وإن كان الاسم ذاته جديداً نسبيًّا... بما يعزِّز حقيقة أنَّ الإسلاموفوبيا عملٌ مؤسَّساتي مبرمجٌ ممنهجٌ مدروسٌ وليست محض ظاهرةٍ اجتماعيَّةٍ مقترنةٍ بأحداث ظرفيَّةٍ، ولا هي مرتهنةٌ بنتائج أحداثٍ حاليَّةٍ ولا ما يشبه ذٰلكَ.

وعلىٰ الرَّغْمِ من ذَلكَ كلِّهِ، وعلىٰ افتراض تجاوزه، والقبول بتجاهله، فإنَّ المعطيات الواقعيَّة الرَّاهنة اليوم تقدِّم عشرات الأدلَّة القاطعة علىٰ أنَّ الإسلاموفوبيا عملٌ مؤسَّساتي تقوده الدُّول ذاتها بمختلف مؤسَّساتها، بما يعكس حقيقة المؤامرة علىٰ الإسلام ويؤكِّد حقيقة أنَّ الإسلاموفوبيا خوف مصطنعٌ وافتراءٌ مقصودٌ وكذبٌ صريحٌ... فلم يعد خافياً مدى القبول والرِّضى الذي «لقيه انتشار الإسلاموفوبيا في دوائر أوروبيَّةٍ نافذةٍ ومؤثِّرةٍ»[٢١٧].

مع بروز اصطلاح الإسلاموفوبيا والتَّرويج له، حسب السِّياسي والباحث الأمريكي **تيموثي سافيج** وبالتَّناغم مع مؤسَّسات الدَّولة، فقد شهدت السَّنوات الأخيرة من القرن العشرين «تنامي التَّيَّارات اليمينيَّة في أوروبا وموجة الخوف من الإسلام، أو ما يعرف بالإسلاموفوبيا؛ بسبب تزايد الحضور الإسلاميِّ في الغرب، وسجَّلت التَّيَّارات اليمينيَّة حضورًا يبعث علىٰ القلق، فظهر- علىٰ سبيل المثال- **فلاميش بلوك** في بلجيكا، والحزب القومي البريطاني، وحزب الشَّعب الدنماركي، والجبهة الوطنيَّة الفرنسيَّة بزعامة **جان ماري لوبان**، ورابطة الشَّمال الإيطاليَّة، وحزب الشَّعب السويسري، ولعَلَّ عدداً من الحكومات الأوروبيَّة اليوم تضمُّ تيَّارات يمينيَّة ضمانًا للأغلبيَّة البرلمانيَّة، علىٰ الرَّغْمِ من العداء العلني الذي تبديه هٰذه التَّيَّارات للإسلام والمسلمين، وقد ارتفعت الكثير من الأصوات في أوروبا تطالب بحماية المصالح الأوروبيَّة لتمرير خطابها المناوئ للوجود الإسلامي، فبدأت الحملة للحدِّ من الهجرة، والمطالبة بسنِّ قوانين تحظر الحجاب في المدارس والمؤسَّسات العامة، وتشديد قوانين اللجوء»[٢١٨].

---

[٢١٧] . محمد فال ولد المجتبى: **الإسلاموفوبيا القاتلة.. على نفسها جنت أوروبا** . مصدر سابق . ذاته.

[٢١٨] . تيموثي سافيج: **أوروبا والإسلام؛ الهلال المتنامي وصدام الثقافات** . مصدر سابق . ذاته.

والحقيقة التي باتت بحكم البداهة في الأوساط الفكريَّة والإعلاميَّة المتابعة لهذه الظاهرة سواء الإسلاميَّة أو الغربيَّة ذاتها هي أنَّ «ظاهرة الإسلاموفوبيا أصبحت تتَّخذُ طابعاً مؤسَّساتيًّا ودستوريًّا في ظلِّ التَّطورات في الشَّرق الأوسط، وباتت الجاليات العربيَّة والمسلمة تواجه إجراءاتٍ قانونيَّةً تستهدف مؤسَّساتها وتنظيماتها»[٢١٩].

في ظلِّ التَّطوُّرات الأخيرة حسب ضيف برنامج الواقع العربي، ولٰكنَّهَا في الحقيقة، أي المأسسة، أقدم من ذٰلكَ بكثيرٍ، وأسبق علىٰ ظهور الاصطلاح بكثيرٍ جدًّا. ولأنَّ التَّركيز هنا علىٰ وقتنا فلا بأس من السَّير في هٰذا الطَّريق مستقلاً عن الماضي. وفي هٰذا الإطار فإنَّ المسألة الأكثر أهميَّةً التي يجب أن نقف عندها بدايةً هي الإحصائيَّة التي قدَّمتها مؤسَّساتٌ أوروبيَّةٌ خالصةٌ عن المساهمين في جملة الإسلاموفوبيا، إذ بيَّنت هٰذه الدِّراسات «أنَّ ٦٤% ممن يقومون بهٰذه الحملة مؤسَّسات رسميَّة، و ٣٤% كيانات قانونيَّة، و ٢% أفراد»[٢٢٠].

وفي عام ٢٠٠٥م «كشفت دراسةٌ حديثةٌ، حينها، بجامعة الأزهر عن أنَّ عدد المواقع الإلكترونيَّة، التي تهاجم الإسلام، سواءً بطريقٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ، تتعدَّى عشرة آلاف موقع علىٰ شبكة الإنترنت. وأنَّ الميزانيَّة المرصودة لمهاجمة

---

[٢١٩] . برنامج الواقع العربي: **الجاليات العربية والمسلمة بأوروبا وظاهرة إسلاموفوبيا؛ المسلمون محاصرون بالإسلاموفوبيا من الغرب وبأنظمة لا تقل إسلاموفوبيا عن الغرب . الجزيرة نت .** الثلاثاء ١٤٣٦/٢/٩ هـ – الموافق ٢٠١٤/١٢/٢م.

[٢٢٠] . من استقصاء منظمة مناهضة الخوف من الإسلام في أوائل عام ٢٠١٦م. نقلاً عن: برنامج بلا حدود . لقاء مع مايكل بريڤو مدير الشبكة الأوروبية لمكافحة العنصرية . قناة الجزيرة . الأربعاء ٧ أيلول/سبتمبر ٢٠١٦م.

الإسلام في جميع وسائل الإعلام، ومنها الإنترنت تتعدى المليار دولار سنويًّا»[٢٢١].

في السِّياق ذاته المفكر المسيحي العربي الأمريكي **جيمس زغبي** رئيس المركز العربي الأمريكي يفتتح مقالاً له قبل أكثر من عشرة أعوام بقوله: «إنَّ الحملة المعادية للعرب (والإسلام) المنتشرة في الولايات المتَّحدة اليوم هي حملةٌ منظَّمة متعدِّدة الاغراض تستهدف العديد من القادة العرب، والمؤسَّسات والإسلام»[٢٢٢].

أمام هٰذه المأسسة وما تقدِّمه من إغراءاتٍ وغضِّ نظرٍ عن المتمادين في تصعيد الخوف من الإسلام ومحاربة الإسلام وتشويه الإسلام «أصبح الخوف من الإسلام أو الإسلاموفوبيا موضوعاً مطلوباً، وله نجومُهُ ومشاهيره في مختلف وسائل الإعلام، خاصَّةً الأمريكيَّة... وتتصاعد حملة الإعلام الغربي ضدَّ الإسلام وماكينته التي تحشد وتضخِّم، وسط غياب أيِّ قوانين تجرِّم مثل هٰذا النَّوع من التَّمييز»[٢٢٣]. وكذلكَ الأمر في أوروبا ومنها فرنسا إذ «تشكل ظاهرة الإسلاموفوبيا مادَّةً دسمةً في وسائل الإعلام الفرنسيَّة، ونجومها مفكرون وسياسيون يمينيون[٢٢٤]

---

[٢٢١] . قدس برس: **آلاف المواقع لمهاجمة الإسلام** . موقع دنيا الوطن . غزة . ٤/ ١٠/ ٢٠٠٥م.

[٢٢٢] . جيمس زغبي: **حملة منسقة ومتعصبة** . مصدر سابق . ذاته.

[٢٢٣] . برنامج المرصد: **عودة الإسلاموفوبيا.. وأطلس مستعد للقتال** . الجزيرة نت . برنامج المرصد . الاثنين ١٤٣٦/٣/١٤ هـ – الموافق ٢٠١٥/١/٥م.

[٢٢٤] . الطريف الملفت أن اليسار هو الذي يحمل لواء العلمانية ويدافع عنها، ولٰكن في محاربة الإسلام تنطع اليمين لمخالفة قناعاته والدفاع قيم العلمانية.

فرنسيون يعتبرون الإسلام والمسلمين خطراً على ثوابت وقيم الدولة العلمانيَّة، منتقدين سياسيَّة التَّسامح مع المظاهر الإسلاميَّة»[٢٢٥].

نجوم الإسلاموفوبيا هؤلاء نجومٌ مستجلبون، ممثلون، لأنَّ نجوم الإسلاموفوبيا الحقيقيون هم القادة والسِّياسيون، ممثلو الدَّولة الغربيَّة ورموزها وهم من أعلى المستويات في الدولة، ولا أدلَّ على ذلكَ من تصريحات **دونالد ترامب** مرشَّح سباق الرِّئاسة الأمريكيَّة منذ سنة إلى الآن، هٰذه التَّصريحات التي يتعذَّر إحصاؤها من كثرتها، وتحتاج وقفةً خاصَّةً مطوَّلةً لكثرتها وشدَّة عدوانيتها.

ليس **ترامب** مرشح الرِّئاسة الأمريكي منفرداً بتصعيد فوبيا لإسلام فقبل أكثر من عشر سنوات كان مرشَّح الرِّئاسة الأمريكيَّة الواعظ التِّلفزيوني **بات روبرتسون** قد قال: «إنَّ المسلمين أسوأ من النَّازيين»[٢٢٦]. وهٰذه لم تكن المرة الأولى له وإنما هي جزءٌ ما تاريخه الطويل.

وليس مرشَّحو الرِّئاسة الأمريكيَّة منفردون بذلكَ بل الرُّؤساء الأوروبيون أنفسهم منخرطون في حملة الإسلاموفوبيا وهٰذه المستشارة الألمانيَّة **أنجيلا ميركل** الشِّيوعيَّة النَّشأة والتَّاريخ، اللوثريَّة الأسرة قالت عشيَّة الانتخابات الألمانيَّة في تموز/ يوليو من عام ٢٠٠٧م في مؤتمر حزبها الديمقراطي المسيحي: «يتعيَّن أن

---

[٢٢٥] . فائزة مصطفى: **الإسلاموفوبيا في فرنسا؛ حروب افتراضية** . الجزيرة نت . الثلاثاء ١٤٣٤/٩/٢٢ هـ – الموافق ٢٠١٣/٧/٣٠م.

[٢٢٦] . وكان ذلك عبر محطة تلفزيون كريستشان برودكاستينغ نيتوورك التي يملكها وتناقلتها وكالات أنباء مختلفة وكثيرة: **واعظ مسيحي أمريكي يشبه المسلمين بالنازيين** . الجزيرة نت . الأربعاء ١٤٢٣/٩/٨هـ الموافق ٢٠٠٢/١١/١٣م.

ننتبه إلىٰ عدم بناء قباب للمساجد أعلىٰ بشكلٍ واضحٍ من أبراج الكنائس»[٢٢٧]. ولا ننسى تصريحات الرَّئيس الفرنسي السَّابق **نيقولاي ساركوزي** في هٰذه الفترة التي يحاول فيها العودة إلىٰ قصر الأليزيه.

الأمر لا يتوقف عند الرؤساء والمرشحين للرئاسة في أمريكا وأوروبا بل يصل الأمر إلىٰ كبير المسيحيين في العالم بابا الفاتيكان ذاته. عندما تصدرُ الإساءة إلىٰ الإسلام وتشويهه وشيطنته من أعلىٰ وأكبر شخصيَّةٍ دينيَّةٍ مسيحيَّةٍ في العالم فلا يكن عدُّ ذٰلكَ مسألة عابرة، ولا زلة لسان، ولا سوء فهم، لا يمكن إلا أن تفهم في سياق مأسسة الحرب علىٰ الإسلام، مأسسة فوبيا الإسلام، ففي محاضرةٍ عن الإيمان والعقل بألمانيا في منتصف أيلول ٢٠٠٦م اقتبس (علىٰ أساس ناقل لا مصدر) «**بنديكت** السَّادس عشر مقتطفاً من كتاب إمبراطور بيزنطي يقول فيه إنَّ **محمد (عليه الصلاة والسلام)** لم يأت إلا بما هو سيئ وغير إنساني كأمره[٢٢٨] بنشر الإسلام بحدِّ السيف»[٢٢٩]. وعلىٰ الرَّغْمِ من المطالبات العالميَّة الواسعة ومن مختلف المستويات بأن يعتذر عن هٰذه الإساءة فإنَّهُ لم يعتذر والتَّوضيح الذي صدر عن مدير مكتبه الإعلامي الأب **فيديريكو لومباردي** كان أسوأ من الإساءة بمليون مرة وأكثر إذ قال: «إنَّ البابا لم (يشأ) إعطاء تفسير للإسلام يذهب في اتجاه العنف»[٢٣٠]. ولذٰلك لم يصف الإسلام بالعنف واكتفىٰ بأنَّ كل ما في الإسلام سيء.

---

[٢٢٧] ـ محمود سلطان: **الخوف من أسلمة أوروبا.. مجدداً!** ـ نصدر سابق ـ ذاته.

[٢٢٨] ـ علىٰ أساس أن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام هو من ألف القرآن بالاعتقاد المسيحي.

[٢٢٩] ـ وكالات: **البابا ينتقد الإسلام ويقتبس إساءة لنبيه** ـ الجزيرة نت ـ الخميس ٢٠٠٦/٩/١٤م.

[٢٣٠] ـ المصدر السابق ـ ذاته.

وما دون هٰذه السُّقوف العليا فمن الطَّبيعي أن يكون مختلف المسؤولين في الدَّولة، كما أبَّنا في فقرات وفصول سابقة، سائرن علىٰ هٰذا الغرار والمنهج، فعندما تصرِّحُ وزيرة العدل البريطانيَّة أنَّ: «التَّطرُّف الإسلاميَّ يشكِّل خطراً علىٰ المجتمع وتهديداً للأمن العام»[٢٣١]. وتقوم وزارة الخارجيَّة البريطانيَّة بتبني الخطاب ونشره وتعميمه فنحن أمام عملٍ مؤسَّساتيٍّ بما يقطع دابر أيِّ شكٍّ أو تشكيكٍ...

المفكر المسيحيُّ العربي الأمريكي **جيمس زغبي** يحدِّثنا عن آليَّة الهجمة أو الحملة المنظَّمة ضدَّ الإسلام، وعن بعض شخصيَّاتها في أمريكا.... «إنَّ الهجمات ضدَّ العرب (الإسلام) الدَّائرة الآن تعيد إلىٰ الأذهان بعضاً من الشَّخصيَّات نفسها التي تشارك مرَّةً أُخْرَىٰ في حملةٍ كراهيَةٍ، وإن كانت موجهة هٰذه المرَّة ضدَّ أمَّةٍ ودينٍ بأكمله. والمشاركون في هٰذه الحملة هم مجموعة من ممثلي عدَّة منظَّماتٍ يمينيَّةٍ متطرِّفةٍ: قادة الجماعات الدِّينيَّة الأصوليَّة، ومجموعة مما يطلق عليها خبراء الإرهاب والإسلام {الذين هم في معظم الحالات مجموعة من المعادين للعرب (والإسلام) يرتدون أزياء مختلفة} ومجموعة مشتركة من الحزبين من أنصار حزب ليكود الإسرائيلي والمجموعة نفسها من قنوات التِّلفزيون ومحطات الإذاعة والصُّحف والمجلات... ومن خلال جهودهم المشتركة، يمكن تضخيم قصة تفتقر إلىٰ الدَّليل أو الجوهر وتحويلها إلىٰ حدثٍ إعلاميٍّ رئيسيٍّ»[٢٣٢].

---

[٢٣١] . نقلاً عن موقع الخارجية البريطانية على موقع تويتر . تغريدة في يوم السبت ٢٧/ ٨/ ٢٠١٦م.

[٢٣٢] . جيمس زغبي: **حملة منسقة ومتعصبة** . مصدر سابق . ذاته.

والطَّريف الغريب العجيب في الأمر هنا، منطقيًّا، وهو المقصود عمليًّا، هو أنَّ الدُّول الغربيَّة لا تجد من تلجأ إليهم لتفهم الإسلام والمسلمين إلا أعداء الإسلام أو ما يمكن تسميته اليمين المسيحي المتطرف أو من المنسوبين إلىٰ الإسلام وهم علمانيون لا يقلِّون عداء للإسلام عن اليمين الغربي المسيحي المتطرِّف، لا يمكن القول بأنَّ هٰذا مصادفةٌ، ولا أنَّهُ جهلٌ من الدَّولة ومؤسَّساتها، إنَّهُ أمرٌ مقصودٌ مختارٌ بعنايةٍ، والأمثلة علىٰ ذٰلكَ كثيرةٌ جدًّا أكثر من أن تحصى، منها علىٰ سبيل المثال أنَّ مستشار الإدارات الأمريكيَّة للشُّؤون الإسلاميَّة وللمعلومات عن الإسلام والمسلمين هو **دوري چولد** السَّفير الإسرائيلي في أمريكا والمتحدث باسم **نتن ياهو** في ٢٠٠٣م بوصفه خبيراً في الشُّؤون الإسلاميَّة وهو من هو في العداء للإسلام والمسلمين، وبعده حَتَّىٰ الآن **توماس فريدمان وبرنار ليڤي وبرنار لويس**... إنَّهُ قائم علىٰ فلسفة الاستشراق التي صوَّرها بدقة **إدوارد سعيد** في كتابه «الاستشراق»[٢٣٣]، ففي رأسهم صورةٌ لا يريدون تغييرها وإنَّمَا يريدون تغيير العقل الشَّرقي ليكون مثل الصُّورة التي رسموها هم عن الشَّرق.

ما قدمنه من هنا ليس إلا استعراضاً موجزاً عابراً غير مطول لحقيقة أنَّ الحملة علىٰ الإسلامة تحت وفوق سقف الإسلاموفوبيا إنما هي حملة الأنظمة الغربية بالمطلق أو علىٰ نحوٍ عامٍّ. لم نلجأ إلىٰ التَّوسُّع، في حقيقة

[٢٣٣] ـ الدكتور إدوارد سعيد: **الاستشراق** . صدر في طبعته الأولى بالإنجليزية عام ١٩٧٧م، والعربية الأولى عام ١٩٨١م، وفي أقل من ثلاث سنوات ترجم إلى تسع لغات: الفرنسية، الألمانية الإسبانية، الإيطالية، التركية، الفارسية، الماليزية، اليابانية، العربية. وأثار ضجة عالمية واسعة وحرك السواكن والثوابت الثقافية.

الأمر، لأسباب ثلاثة على الأقل أولها أنَّ شواهد المأسسة والأدلة عليها موجودة بكثرة في فصول البحث الأُخْرَىٰ كلها تقريباً، والثاني أنَّهُ ميدان واسع يستحقُّ وقفةً خاصَّةً مطولةً مستقلةً، والثالث أنَّ في ما قدمنا صورة عامَّة شبه كافية لتصور حقيقة الموضوع.

الفصل الرابع

نتائج حملة الإسلاموفوبيا

عندما تكون أمام عمل مجنون فمن الصُّعوبة بمكانٍ أن تتوقَّع أيَّ نتائج. ملامح العمل المجنون توحي بنتائج مؤكَّدةٍ، وأهداف العمل المجنون توحي بنتائج متوقَّعةٍ بل مرتقبةٍ أكثر مما هي متوقَّعة، والمساحة الأوسع من الاحتمالات ستكون نتائج غير متوقَّعةٍ أو غير مرتقبةٍ أو خارج السَّيطرة أو رُبَّما كلها معاً.

حملة فوبيا الإسلام وتسييسها حملةٌ مجنونةٌ في حقيقة الأمر لأنَّهَا حملةٌ ظالمةٌ من ناحيةٍ أولى، قائمةٌ علىٰ افتراءاتٍ سريعة التَّهاوي أمام المنطق والواقع من ناحيةٍ ثانيةٍ، وقائمة علىٰ تناقضاتٍ لا تستقيم أمام أيِّ محاكمةٍ عقليَّة منطقيَّة. فلاسفة الحملة يدركون هٰذه الحقائق ولٰكنَّهُم فيما يبدو أمام الخيار المر بَيْنَ أمرين مرَّين، وكان خيار ركوب هٰذا الجنون هو الأفضل لهم[٢٣٤].

ولذٰلك بقدر ما يمكن أن تتحقَّق النَّتائج المتوخَّاة والمرجوَّة فإنَّ احتمال حصول نتائج عكسيَّة أو غير مرغوبةٍ أمرٌ قائمٌ ورُبَّما بالدَّرجة ذاتها من القوَّة. ولذٰلك فإنَّ أهداف الحملة وعلىٰ رأسها التَّصدي لأسلمة أوروبا وترهيب الغربيين من الإسلام ومحاصرة المسلمين بعقدة الشُّعور بالذَّنب وفرض الاندماج وأوروبة الإسلام أو عصرنته... كلُّها محتملة التَّحقُّق بدرجاتٍ مختلفةٍ منها ما يصل إلىٰ

[٢٣٤] . المقصود هو الإسلامية بالتأكيد من سياق الكلام الذي يبدأه بأن الغرب ينظر... وليس من المعقول أنَّهُ يقصد المسيحية أو اليهودية.

حدِّ المبالغة ومنها ما يصل إلىٰ الحالة المرضيَّة أو العصابيَّة ومنا ما يحدث بطريقة مختلفة ومنها ما يكون بطريقة مخالفة أو عكسيَّة...

لن نعود إلىٰ أهداف حملة فوبيا الإسلام التي سبق الكلام فيها[٢٣٥] فكونها أهداف يعني أنَّها نتائج مرجوة أو متوخَّاة، ولٰكنَّ تحقيق الأهداف علىٰ احتماليَّة تحقُّقه الكبرى لا ينفي احتمال وقوع نتائج خارج الحسبان، كما أنَّ بعض الأهداف ستتحقَّق بطريقةٍ غير محسوبةٍ من ناحية المبالغة في التَّحقق أو العكس، كما سيكون في بعض النَّتائج التي سنتحدث عنها، إلىٰ جانب نتائج أُخْرَىٰ لم تكن في الحسبان ولا مرجوة أصلاً.

أولاً: شحن الغربيين بالهلع من الإسلام

نتائج الإسلاموفوبيا، كما أشرنا قبل قليل، هي عينها الأهداف المنوطة بها ما عدا ما ينتج مما غير المتوقَّع أو المراد، وعلىٰ هٰذا الأساس يمكن أن نفهم النَّتائج ومنها هٰذه النَّتيجة الأولى وهي شحن الإنسان الغربيِّ، غير المسلم، بالخوف والقلق والهلع والرُّعب من المسلم.

شحن الغربيين بالخوف والهلع من الإسلام والمسلمين هو صورة من صور تنفير الغربيين من الإسلام والمسلمين، هو نتيجةٌ للإسلاموفوبيا، نتيجة لها يعني صورة للنَّتائج الأُخْرَىٰ أغلبها.

العقل الجمعي الغربي مسكونٌ أساساً بهٰذا الخوف بصيغ مختلفةٍ ورُبَّما مصغَّرةٍ، ولٰكنَّ حملة الإسلاموفوبيا تريد وتسعى إلىٰ جعل العقليَّة الجمعيَّة الغربيَّة مشحونةً بهٰذه الهواجس، أي جعل الخوف من الإسلام والمسلمين هاجساً يظل

[٢٣٥] .كانت أهداف فوبيا الإسلام موضوع بحث مستقل مطول.

يرقص في مخيلاتهم، ويصبح الخوف من المسلمين حالةً عصابيَّةً أو فوبيا حقيقيَّة وليست فقط لعبةً سياسيَّةً أو إعلاميَّةً.

هٰذه المسألة أخطر مما يمكن أن توحي به هٰذه السُّطور بكثيرٍ. لأنَّهَا تحوِّل الخوف من حالةٍ مصطنعةٍ أو نائمةٍ أو بسيطةٍ إلىٰ حالة حقيقيَّةٍ، وهٰذا ما صار يسيطير بالفعل علىٰ العقليَّة الغربيَّة وخاصَّةً الأوربيَّة علىٰ نحوٍ عامٍّ في فرنسا وبلجيكا وهولندا والدنمارك والنرويج وغيرها. وحَتَّىٰ نفهم معنى سيطرة الخوف أو هاجس الخوف من شيءٍ ما علىٰ العقل الجمعي لننظر في المثال التَّالي:

في منتصف تموز ٢٠١٦م حدث مشاداة بَيْنَ بائعٍ ومشترٍ في أحد أسواق العراق. انفعل المشتري فصاح بصوتٍ عال: «الله أكبر»... وخلال أقلِّ من ثلاثين ثانية صار أكثر من ثلاثة أرباع السُّوق؛ بشراً وبضاعة، تحت الأرجل والكلُّ يهرب إلىٰ أقرب مَخْرَجٍ للسُّوق. هٰذه صورة لحالة الرهاب أو الفوبيا الجمعيَّة في مثل هٰذا الشَّحن.

هل يدرك ساسة الغرب وأرباب حملة الإسلاموفوبيا هٰذه الحقيقة؟

هل يريدون إيصال الغربيين إلىٰ هٰذه الدرجة من الهلع الهستيري؟

أن لا يدركوا هٰذه الحقيقة فتلك مشكلة بل مصيبة.أما أن يريدوا أو لا يريدون فتلك مسألة يتعذر البتُّ فيها، وإن كنا نعتقد يقيناً أن السياسة لا دين لها، ولا تكترث بما يحل بالمواطن مهما كان مأساويًّا. وعلىٰ أيِّ حالٍ يبدو واضحاً أن الأوروبيين يكادون يعيشون هٰذه الحالة الهستيريَّة التي شاهدنا في أحد أسواق بغداد. ففي الفترة السَّابقة ذاتها قام أوروبيون بتجاربَ مماثلةٍ في إطار ما يمكن تسميته الكاميرا الخفيَّة، خلاصتها بالجملة أنَّ شخصاً أو أكثر يلبس ثياباً تدل علىٰ أنَّهُ مسلمٌ يقوم بعمل مفاجئٍ في مكانٍ عامٍّ أو مع شخصٍ أو

مجموعةٍ... والنَّتيجة تقريباً هي ذاتها التي كانت في أحد أسواق العراق لدى سماعهم كلمة الله أكبر.

هٰذا الخوف يتمُّ التَّعبير عنه بمختلف الأشكال والألوان، ويظهر بمختلف الصُّور في أرجاء القارَّة الأوروبيَّة تقريباً، ففي استطلاع رأي علىٰ مستوى القارَّة الأوروبيَّة في عام ٢٠١٢م كانت «الشَّريحة الأكبر من مواطني فرنسا وهولندا وألمانيا والمملكة المتحدة، يرون أنَّ الوجود الإسلامي يشكِّل خطراً علىٰ الهويَّة القوميَّة للبلاد ومتخوِّفون من أسلمة أوروبا خلال العشرين عاماً القادمة»[٢٣٦].

شحن المواطن الغربي غير المسلم بالخوف والهلع من المسلمين لا يحتاج إلىٰ سلوكٍ معيَّنٍ مباشرٍ أو برتامج هاصٍّ إنَّهُ نتيجة تلقائيَّة لحملة الإسلاموفبيا بأهدافها السَّابقة كلها والسياسة المتبعة في الحملة. يعني ذٰلكَ أنَّهُ حَتَّىٰ ولو لم يريد ساسة الغرب وأرباب الإسلاموفوبيا إيصال المواطن الغربي إلىٰ هٰذه النَّتيجة فإنَّهَا ستكون علىٰ الرَّغْمِ منهم.

علىٰ هامش مؤتمر: (مدنٌ ضدَّ أسلمة أوروبا) قال زعيم الحزب اليميني البلجيكي فيليب ديونتر: «لدينا أكثر من (٦٠٠٠) مسجد في أوروبا، وهي ليست دوراً للعبادة بل رمزاً للتطرف»[٢٣٧].

ما المتوقَّع من المواطن الأوروبي عندما يسمع مثل هٰذا الكلام؟ ما المتوقع عندما يتكرَّر هٰذا الكلام ومثله علىٰ مسامعه كل يوم وعلىٰ منابر مختلفة؟

---

[٢٣٦] . استفتاء مؤسسة "IFOP" الفرنسية التابعة للحكومة الفرنسية في معظم دول الاتحاد بعنوان «كيف يرى الأوروبيون الإسلام؟». في مطالع عام ٢٠١٢م.

[٢٣٧] . محمود سلطان: **الخوف من أسلمة أوروبا.. مجدداً!** . مصدر سابق . ذاته.

من لا يتوقَّع أنَّهُم سيصلون إلىٰ حالة الخوف والهلع من المسلمين فهو الذي يعيش حالةً فصاميَّة. فكيف إذا أضفنا إلىٰ ذَلكَ أضعاف أضعافه؟ ومن ذَلكَ مثلاً أنَّهُ حَتَّىٰ في السويد الأكثر رقيًّا وتحضُّراً ووعياً وانفتاحاً كما يصوِّرون لنا «أصبحت الإسلاموفوبيا حديث القاصي والداني، وتصدرت الأجندة الإعلاميَّة للعديد من محطَّات التلفزيون السُّويديَّة... وهناك من يعتقد أنَّ رقعة المشاعر المعادية للمسلمين تتسع تدريجيًّا»[٢٣٨].

أكرِّر ثانيةً: هٰذه المسألة أخطر مما يمكن أن توحي به هٰذه السُّطور بكثيرٍ، وما قدمناه ليس إلا صورة واقعيَّة لتقريب معنى هٰذا الهاجس مع أقرب وأبسط ردِّ فعل علىٰ سلوك مفاجئ عاديٍّ أو استطلاع رأي عاديٍّ.

ثانياً: شحن الغربيين بكراهية الإسلام

كما لا تنفصل الأهداف عن النَّتائج عامَّة، لا تنفصل النَّتائج عن بعضها بعضاً. فشحن الإنسان بالخوف والهلع من شيءٍ يعني من زاويةٍ أُخْرَىٰ شحنهُ بالحقد والكراهية ضدَّ هٰذا الشَّيء، ويكون الانشحان بالحقد والكراهية تجاه الإنسان الشَّخص أو الطَّبقة أو الفئة أو الملة أكثر بكثيرٍ من الأشياء أو الموضوعات: حيوان، ظاهرة، شيء... لأنَّ الإنسان يمثِّل هدفاً أو موضوعاً للانتقام وتفريغ شحنات الحقد والكراهية، خلاف موضوعات أو مظاهر الطبيعة: المرتفعات، الظلام، الحيوانات...

من السَّذاجة بمكان محض التَّفكير في تخيُّل أن الغربيين كانوا يهيمون عشقاً بالإسلام أو المسلمين قبل حملة الإسلاموفوبيا، أو قبل القرن الأخير، أو حَتَّىٰ

[٢٣٨] . جورج حوراني: **الإسلاموفوبيا تهدد مسلمي السويد** . الجزيرة نت . الأحد ١٤٣٦/٣/١٣ هـ – الموافق ٢٠١٥/١/٤م.

أنهم كانوا يكنُّون لهم مشاعر إيجابيَّة. لن نبتَّ في أنَّهُم كانون يكنون لهم مشاعر الحقد والكراهية ولكننا علىٰ يقين من أنهم كانوا علىٰ مدار القرن العشرين علىٰ الأقل يحملون تصورات سلبيَّة وسيئة عن العرب تحديداً ليس لكونهم عرباً بل لأنهم واجهة الإسلام والمسلمين، وثَمَّة في ذَلكَ عشرات بل مئات الأبحاث والدراسات والأخبار والحوادث... ولٰكن مع انهيار الاتحاد السوفيتي اتسعت الدائرة لتشمل المسلمين عامَّةً.

إذا كانت هواجس الخوف والهلع من المسلمين نتيجةً غير مقصودة أو غير مرجوَّةٍ فإنَّ كراهية الإسلام والمسلمين نتيجةٌ مقصودةٌ وممنهجةٌ وهدفٌ من أهداف الإسلاموفوبيا، فقد «تحول أشهر مفكِّري فرنسا وأكثرهم تأثيراً إلىٰ داعيَةٍ في مجال الأيديولوجيا العنصريَّة الحاقدة»[٢٣٩]. وفي هٰذا السِّياق ثَمَّة حملات داعمة لتحقيق هٰذه النتيجة من قبيل محاربة وتخوين من يفضح أو يحارب فوبيا الإسلام، وفي المقابل بات «ينظر إلىٰ الأصوات المتحاملة علىٰ المسلمين ودينهم علىٰ أنَّهَا أصواتٌ شجاعةٌ مهنيًّا، وجريئةٌ في قول الحق»[٢٤٠].

اللافت في الأمر أنَّ مشاعر الكراهية للمسلمين في الإحصاءات والاستقصاءات الغربيَّة موجودة عند أكثر من خمسين بالمئة، وهي نتيجةٌ مرعبةٌ في حقيقة الأمر، ففي أكثر الحروب ضراوة بَيْنَ دولتين بالكاد تصل نسبة الحقد والكراهية إلىٰ خمسين بالمئة إلىٰ العدو، هٰذه نتائج استطلاعات غربيَّة وليست

---

[٢٣٩] . بوعلام رمضاني: **إيدوي بلينال في كتابه من أجل المسلمين** . مصدر سابق . ذاته.

[٢٤٠] . برنامج المرصد: **عودة الإسلاموفوبيا.. وأطلس مستعد للقتال** . الجزيرة نت . برنامج المرصد . الاثنين ١٤٣٦/٣/١٤ هـ – الموافق ٢٠١٥/١/٥م.

عربيَّة أو إسلاميَّة، بما يعني أنَّها ليست صادقة وأقل من الحقيقة. يؤكِّد الباحث الأمريكي **وليام أندرهل** أنَّ «استطلاعات الرَّأي تفيد بأنَّ أكثر من ٥٠% من سكان إسبانيا وألمانيا يحتفظون بمشاعر سلبيَّة ضدَّ المسلمين»[٢٤١]. هٰذه النَّتيجة في حقيقة الأمر إن كانت صادقة وليست أقلَّ من الحقيقة فإنَّهَا مرعبةٌ كما أشرنا، ذٰلكَ أنَّ كلَّ المؤسَّسات أوروبيَّة تزعم أنَّ النِّسبة نحو ٢٥% إلىٰ ٣٠% في الحدِّ الأقصى، لأنها تريد تلميع الصورة.

مِمَّا يؤكِّد هٰذا الذي ذهبنا إليه، حسب المركز الفدرالي البلجيكي، أنَّ «نحو ٥٠٪ علىٰ الأقل من الملفات التي تستقبلها منظَّمات مكافحة العنصريَّة تحت اسم وسائل الإعلام والكراهية علىٰ الإنترنت لها علاقة مباشرة بمسألة التركيز علىٰ المسلمين ومعتقداتهم... بل حَتَّىٰ علىٰ من يُعتقد أنَّهُم مسلمون»[٢٤٢]. والنِّسبة أيضاً أكبر من ذٰلكَ بكثيرٍ بكلِّ تأكيد. بل حَتَّىٰ ولو كانت صحيحةً فإنَّهَا مثيرةٌ للهلع لأنَّ المسلمين وحدهم أكثر من النصف وكل موضوعات الكراهية أقل من النصف!!

وفي السِّياق ذاته تقريباً «وفقاً للأرقام السَّنويَّة للمركز الفدرالي البلجيكي لتكافؤ الفرص، ارتفعت الهجمات المعادية للمسلمين بنسبة ٢٠٪ في غضون عامين. فمنذ عام ٢٠١٢م، تشهد بلجيكا كلَّ أسبوعين علىٰ الأقل أفعالا يمكن وصفها برهاب وكراهية الإسلام»[٢٤٣].

---

[٢٤١] . عاطف محمد: **أوربة الإسلام أم أسلمة أوروبا؟** . مصدر سابق . ذاته.

[٢٤٢] . لبيب فهمي: **المنتدى الأول لانتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا في بروكسل** . الجزيرة نت . الاثنين ١٤٣٦/٢/٢٢ هـ – الموافق ٢٠١٤/١٢/١٥م.

[٢٤٣] . المصدر السابق . ذاته.

المسألة بطبيعة الحال، وبكلِّ تأكيدٍ، ليست مسألة مشاعرٍ واستطلاعات رأي، وإنَّمَا تتعدَّاها إلىٰ سلوكاتٍ واقعيَّةٍ تتجلَّىٰ في هٰذا المستوىٰ بالتَّعبير عن الحقد والكراهية بطريقةٍ بسيطةٍ، وفي المستويات الأكبر بالعدوان المباشر كما سنبين، وفي غير ذٰلكَ كثير.

من مظاهر تجلي هٰذه الكراهية والحقد الفصل من العمل ورفض التعامل ورفض تقديم الخدمات... كل ذٰلكَ بطريقةٍ استفزازيَّةٍ ومهينةٍ، منها مثلاً أنَّهُ في الثاني عشر من أيلول/ سبتمبر ٢٠١٦م تداولت وسائل الإعلام خبر صدور قرار بتغريم مصفِّفة شعر في النرويج لرفضها استقبال مسلمةٍ[٢٤٤]. سمعنا بهٰذا القرار ولم نسمع بالقصة، مثلها مثل مئات القصص المماثلة التي لا يدري أحدٌ عنها شيئاً، وفي ثنايا هٰذا البحث بعض منها. وفي فترة إعداد هٰذا البحث حدثت الكثير من هٰذه الحالات العدوانيَّة والكراهية الظاهرة، في ٢٠١٦/٨/٣٠م مثلاً دخلت مسلمتان إلىٰ مطعم في باريس فرفض صاحب المطعم تقديم الخدمات لهما وقال بوضوح: «نحن لا نقدِّم الخدمات للمسلمين اخرجوا من هنا»[٢٤٥].

هٰذه نتيجةٌ طبيعيَّةٌ، ذٰلكَ أنَّ حملة الإسلاموفوبيا، كما يؤكِّد الباحث الأمريكي **وليام أندرهل** «نجحت في تغذية الحركات والأحزاب اليمينيَّة المتطرِّفة التي تستهدف المسلمين»[٢٤٦]، هٰذا من جهةٍ ومن جهة استطاعت أن تفرض إيقاعها علىٰ الشَّارع والرَّأي العام من جهةٍ ثانيةٍ.

---

[٢٤٤] . تداولت بعض وسائل الإعلام هٰذا الخبر تداولاً عابراً.

[٢٤٥] . الخبر عرضته قناة الجزيرة مع لقاء مع الفتاتين يوم الثلاثاء ٢٠١٦/٨/٣٠م.

[٢٤٦] . عاطف محمد: **أوربة الإسلام أم أسلمة أوروبا؟** . مصدر سابق . ذاته.

أكرِّر من جديد: من العبث التَّعامل مع الظَّاهرة على أنَّها وليدة الأعوام الأخيرة وحسب. في التَّاسع من نيسان/ أبريد ٢٠٠٤م تظاهر بريطانيون من أنصار مجموعة (الجبهة الوطنيَّة اليمينيَّة المتطرِّفة البريطانيَّة) «أمام مسجد في منطقة فنسبري بارك بشمال لندن داعين إلىٰ إغلاق المساجد في بريطانيا، مردِّدين هتافاتٍ معاديةً للاسلام»[٢٤٧].

ليست هٰذه الحادثة وحيدة ولا فريدة، بل علىٰ مدار القرن الماضي لم تنقطع مثل هٰذه الأحداث وأكبر منها وأخطر في أرجاء العالم الغربي. وفي هٰذا البحث نماذج لا أكثر.

المفكر المسيحي العربي الأمريكي **جيمس زغبي** رئيس المركز العربي الأمريكي يحذِّر من النَّتائج قائلاً: «في غياب ردٍّ فعلٍ عربيٍّ (وإسلاميٍّ) فعَّالٍ، فإنَّ هٰذه الحملة المعادية تحقِّق مكاسب، واذا لم يتم وقفها يمكن أن تكون ذات عواقب وخيمةٍ في السَّنوات القادمة، وتؤدِّي إلىٰ مزيدٍ من جرائم الكراهية أكثر مما حدث في أعقاب الحادي عشر من أيلول»[٢٤٨].

ثالثاً: شحن الغربيين بالعدوانية ضد الإسلام

أن تؤدِّي حملة الإسلاموفوبيا إلىٰ شحن الإنسان الغربي بالعدوانيَّة ضدَّ المسلمين هو أمرٌ منطقيٌّ ومن السُّخرية بالعقل القول إنَّهَا نتيجةٌ غير متوقَّعةٍ. وهي من أخطر النَّتائج علىٰ الإطلاق. إنَّهَا تتعدَّى النَّتائج كلها بكونها تتجسد بسلوكات عدوانيَّةٍ ماديَّةٍ لا يمكن توقُّع مداها ولا نوعها.

---

[٢٤٧] . محمد الشافعي: **عنصريون في بريطانيا يطالبون بإغلاق المساجد** . جريدة الشرق الأوسط . لندن . عدد ١٠/ ٤/ ٢٠٠٤م.

[٢٤٨] . جيمس زغبي: **حملة منسقة ومتعصبة** . مصدر سابق . ذاته.

شحن الإنسانِ الغربي، غير المسلم، بالكراهية والعدوانيَّة ضدَّ الإسلام والمسلمين، وهٰذا أمرٌ واقعٌ بقوَّةٍ حالياً في العالم الغربي، بل منذ سنواتٍ كثيرةٍ، لأنَّ حملة فوبيا الإسلام ليست جديدةً أساساً وإنَّما هي جِدُّ قديمةٍ. ولٰكنَّهَا في الآونة الأخيرة تزداد تزايداً ملحوظاً وكبيراً. وهٰذا ما يجعل الإنسان الغربيَّ علىٰ استعدادٍ كبيرٍ للعدوان علىٰ المسلم أو الإسلام أو التَّجمع الإسلاميِّ من دون مناقشةٍ أو تفكيرٍ. ويجعل العدوان علىٰ الإسلام والمسلمين أمراً سهلاً ومحبَّباً وموضع افتخار، لأنَّهُ قائمٌ علىٰ ضخٍّ إعلاميٍّ وشرعنةٍ رسميَّةٍ من المؤسَّسات الرَّسميَّة والإعلاميَّة والخطاب السِّياسي وممارسات السُّلطة ذاتها.

لا نريد أن نعود إلىٰ محاكم التَّفتيش الإسبانيَّة وقصتها الطَّويلة، ولا إلىٰ غيرها من نظائرها القديمة، لنعد بضع سنوات إلىٰ الوراء، إلىٰ أحداث الحادي عشر من أيلول ففي الأسبوع الأول من الحدث تلقى مجلس العلاقات الإسلاميَّة الأمريكيَّة (كير) «٤١٨ حادث اعتداءٍ علىٰ حقوق مسلمي أمريكا وحرياتهم وقعت في أثناء الأسبوع التَّالي لوقوع الهجمات، وهو ما يفوق عدد حوادث العام الماضي التي بلغت ٣٦٦»[٢٤٩]. أي إنَّ الأيام السَّابقة علىٰ الحدث لم تكن حميمةً تجاه المسلمين فقد كانت هناك اعتداءات عليهم.

وبعد مرور أسبوعين علىٰ الهجمات أعلن المجلس «أنَّهُ حصل علىٰ أكثر من ٦٢٥ تقريراً عن حوادث اعتداءات علىٰ مسلمي وعرب أميركا»[٢٥٠]. وهنا

---

[٢٤٩] . الجزيرة نت: **٩٦٠ حادث اعتداء على المسلمين الأمريكيين في ٦ أسابيع** . الجزيرة نت.الخميس ١٤٢٢/٨/١٤هـ الموافق ٢٠٠١/١١/١م..

[٢٥٠] . المصدر السابق . ذاته.

إضافةٌ مهمَّةٌ في التَّقرير وهي أنَّ الاعتداء علىٰ المسلم والعربي بسبب الشَّكل أو الاسم او الانطباع بأنَّ العربيَّ مسلمٌ.

وبعد مرور ستة أسابيع أعلن المجلس «أنَّهُ تلقى أكثر من ٩٦٠ تقريراً عن حوادث اعتداء علىٰ حقوق وحريَّات المسلمين في الولايات المتحدة»[٢٥١]. وأشار المجلس أنَّهُ لا يتحدَّث **إلا** عن الحوادث الموثَّقة والمبلَّغ عنها. ومن التَّتبُّع المنطقيِّ والواقعيِّ يمكن تصوُّر أنَّ الواقع يحمل أضعاف هٰذا العدد سواء أكان في هٰذه الأحداث أم في الأعوام السابقة.

وعلىٰ أيِّ حالٍ هٰذه عيِّنةٌ وأنموذجٌ عمره خمسة عشر عاماً. لم يختلف الأمر في السَّنوات الأخيرة. وما نشهدة حاليًّا من حوادث عنفٍ واعتداءاتٍ علىٰ المسلمين في أوروبا وأمريكا خاصَّةً بمناسبة أو من دون مناسبة يؤكِّد حقيقة تصاعد مشاعر الكراهية والعدوانيَّة تجاه المسلمين، فمنذ سنتين فقط شهدنا الكثير من حملات الاعتداء علىٰ المسلمين في كثيرٍ من الدُّول الأوروبيَّة، حملات وليس الحالات الفرديَّة التي لم تنقطع أبداً؛ في ألمانيا وفرنسا والنمسا وبلجيكا... ناهيكم عن الممارسات الرَّسميَّة في المؤسَّسات والمطارات والحدود وغيرها مما عرضنا لبعضه في فقرة أُخْرَىٰ.

في عام ٢٠٠٤م قال السِّياسي والباحث الأمريكي **تيموثي سافيج** في دراسته أوروبا والإسلام: «إنَّ المعطى الإسلامي سيكون أكثر من مجرَّد تأثيرٍ ديموجرافيٍّ وجغرافيٍّ، وإنَّ العلاقة بَيْنَ أوروبا والتَّصاعد الإسلامي تولِّد العديد من

[٢٥١] . المصدر السابق . ذاته.

الظواهر الجديدة، من ناحية بروز موجة جديدة من العداء للسَّاميَّة، وتحوُّل العديد من الأحزاب الأوروبيَّة إلى اليمين...»[٢٥٢]، ولنتخيَّل أنَّ هٰذه النَّتيجة متوقَّعةٌ فقط من محض تزايد الحضور الإسلامي فكيف مع تصاعد فوبيا الإسلام؟

شحن الغربيين بالعدوانيَّة ضدَّ المسلمين لم يقتصر إذن علىٰ المواطنين بل تعداها إلىٰ السُّلطة الرسميَّة ممثلة بأعلىٰ مستوياتها وأدنىٰ مستوياتها. بل إنَّ الكاتب الفرنسي **إيدوي بلينال** يؤكِّد أنَّ هناك مساعٍ رسميَّةً ومؤسساتيَّةً تساهم في « تبرير العنف ضدَّ عموم المسلمين»[٢٥٣].

لا عجب إذ ذاك أن تتصاعد حملات العنف ضدِّ المسلمين في مختلف البلدان الغربيَّة، كما أشرنا في فقرات سابقة علىٰ مستوى أمريكا والقارة الأوروبيَّة، وعلىٰ مستوى كل دولةٍ علىٰ حدةٍ، مثلاً: «وفقاً للأرقام السَّنويَّة للمركز الفدرالي البلجيكي لتكافؤ الفرص، ارتفعت الهجمات المعادية للمسلمين بنسبة ٢٠٪ في غضون عامين. فمنذ عام ٢٠١٢م، تشهد بلجيكا كلَّ أسبوعين علىٰ الأقلِّ أفعالاً يمكن وصفها برهاب وكراهية الإسلام»[٢٥٤].

وفي فرنسا علىٰ سبيل المثال أيضاً سجَّلت منظمة مناهضة الخوف من الإسلام تزايد الاعتداءات علىٰ المسلمين ما بَيْنَ ٢٠١٣م وعام ٢٠١٥م علىٰ النَّحو التالي: «٦٩١ اعتداء في عام ٢٠١٣م، ٧٦٤ في عام ٢٠١٤م، ٩٠٥

[٢٥٢] . تيموثي سافيج: **أوروبا والإسلام؛ الهلال المتنامي وصدام الثقافات** . مصدر سابق ذاته.

[٢٥٣] . بوعلام رمضاني: **إيدوي بلينال في كتابه من أجل المسلمين** . مصدر سابق ذاته.

[٢٥٤] . لبيب فهمي: **المنتدى الأول لانتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا في بروكسل** . مصدر سابق . ذاته.

في عام ٢٠١٥م»[٢٥٥]. وعندما نتحدث عن مثل هٰذه الإحصاءات فيجب أن نعلم أنَّها تقف عند الاعتداءات المسجَّلة فقط.

وفي فرنسا أيضاً، في الثالث عشر من أيلول/ سبتمبر ٢٠١٦م اعتدت الشَّرطة الفرنسيَّة علىٰ ثلاث نساءٍ مسلماتٍ اعتداءً مذلاً لمحض ارتدائهن الحجاب بزعم أنَّهُن يردن تفجير سيارات مفخَّخةً[٢٥٦]، ولم يكن من الممكن عرض السَّيارات المفخَّخة لأنَّهَا أصلاً غير موجودةٍ.

وفي السويد أيضاً حسبما ذكر رئيس المجلس السويدي للأئمة «أنَّ العام الماضي (٢٠١٤م) شهد أحداثاً عنصريَّةً عديدةً واعتداءاتٍ خطيرةً علىٰ المسلمين وفق الإحصاءات التي أجراها المجلس الإسلامي، أفظعها الاعتداء علىٰ امرأةٍ حامل في موقف للسَّيَّارات»[٢٥٧].

وأيضاً في السُّويد المسالمة المتَّسامحة الوديعة الرَّحيمة «شهدت فقط أواخر عام ٢٠١٤م، ١٢ اعتداء علىٰ مساجد ما بَيْنَ حرق ومحاولة حرق»[٢٥٨]. الشَّرطة لم تلق القبض علىٰ منفِّذي الاعتداءات حَتَّىٰ خشي بعضٌ من توجيه التُّهمة إلىٰ إسلاميين لأنَّ الفاعل غير المسلم لمثل هٰذا الأحداث فوق الشَّبهات دائماً.

---

[٢٥٥] . من استقصاء منظمة مناهضة الخوف من الإسلام في أوائل عام ٢٠١٦م. نقلاً عن: برنامج بلا حدود . لقاء مع مايكل بريڤو مدير الشبكة الأوروبية لمكافحة العنصرية . قناة الجزيرة . الأربعاء ٧ أيلول/سبتمبر ٢٠١٦م.

[٢٥٦] . خبر عرضته قناة الجزيرة مساء يوم الثلاثاء ٢٠١٦/٩/١٣م مع مشاهد الاعتداء في الشارع.

[٢٥٧] . جورج حوراني: **الإسلاموفوبيا تهدد مسلمي السويد** . مصدر سابق . ذاته.

[٢٥٨] . برنامج الواقع العربي: **عرب أوروبا وجديد الإسلاموفوبيا** . الجزيرة نت . برنامج الواقع العربي . السبت ١٤٣٦/٣/١٢ هـ – الموافق ٢٠١٥/١/٣م.

في السُّويد المتسامحة الوديعة، كما يقول **جورج حوراني**، «وجدت الأصوات اليمينيَّة المتطرِّفة المعادية لهجرة الأجانب بصفةٍ عامَّةٍ والمسلمين بصفةٍ خاصَّةٍ، مكاناً لها في السُّويد. وتجسد ذلكَ في صورة النازيَّة الجديدة هناك، والاعتداءات المتكررة علىٰ مساجد المسلمين الذين يعيشون حالة من القلق مع تكرار تلك الاعتداءات»[٢٥٩].

أوجه التَّحريض لا نهاية لها أبرزها وأوضحها وقد لا يكون أخطرها هو الشَّحن أو التَّحريض اللفظي المباشر، وهٰذا ما فعله **جورج بوش الابن** في أوَّل خطاب له بعد أحداث الحادي عشر من أيلول عندما أعلنها حرباً صليبيَّةً جديدةً، وما زالت البشريَّة حَتَّىٰ الآن تحاول إيجاد التَّخريجات التَّبريريَّة له لزعم أنَّهُ لا يقصد الحرب الصَّليبيَّة. وهٰذا التَّصريح لم يكن الأول ولن يكون الأخير علىٰ أيِّ حال، ففي غمرة الحرب لتثبيت النُّفوذ الأمريكي في العراق قال اللفتنانت جنرال **وليم بويكن** نائب وكيل وزارة الدِّفاع لشؤون المخابرات «إنَّ المسلمين يكرهوننا لأنَّنا أمَّةٌ مسيحيَّةٌ... لن يتم القضاء علىٰ عدونا الروحي إلا إذا وحدنا صفوفنا ضدَّه باسم يسوع المسيح»[٢٦٠].

أمرُ التَّحريض والعدوان يبلغ مداه عند بعض الأشخاص مثل **توم تنكريدو**، ففي مطالع الأسبوع الأول من آب/ أوغسطت ٢٠٠٧م نشرت مئات بل آلاف المواقع والصُّحف ووسائل الإعلام مقالاً بعنوان: «مرشح الرِّئاسة الأمريكيَّة يهدِّد بقصف مكة والمدينة إن هوجمت بلاده نووياً»، وهٰذا العنوان

---

[٢٥٩] . جورج حوراني: **الإسلاموفوبيا تهدد مسلمي السويد** . مصدر سابق . ذاته.

[٢٦٠] . وكالة الأنباء الفرنسية: **مسؤول أميركي؛ المسلمون يعبدون صنما وسنهزمهم** . الجزيرة نت . السبت ١٤٢٤/٨/٢٢هـ الموافق ٢٠٠٣/١٠/١٨م.

مضلِّلٌ بذاته، فمن الذي سياهجم أمريكا نوويًّا حَتَّىٰ يهدِّد بنسف أو قصف الكعبة؟ لا يمكن أن يقصد إلا المسلمين. ومن أين للمسلمين السِّلاح النَّووي وكيف يمكن أصلاً أن يصلوا إلىٰ قصف الولايات المتحدة نوويًّا؟ هو قال «إذا فكروا في الحصول علىٰ سلاح نووي لتهديد أمريكا». محض التَّفكير في الحصول علىٰ سلاح نووي من قبل المسلمين يستدعي قصف مكة والمدينة، ويحشر في عقليَّة الأمريكيين أنَّ المسلمين لا يفكرون في السِّلاح إلا من أجل العدوان علىٰ أمريكا والغرب، يعني لا يحقُّ للمسلمين حمل سلاح. وتابع قائلاً: «إنَّ التَّهديد بسحق المقدَّسات الإسلاميَّة في مكة والمدينة سيجعل الإرهابيين يفكِّرون ألف مرَّةٍ قبل الإقدام علىٰ الهجوم علىٰ أمريكا»[٢٦١].

ويصل التَّحريض إلىٰ أقصى مداه عند الكاتب الكندي **مارك ستين**، وقرَّظه علىٰ ذَلكَ الروائي **مارتن إيمس**، إذ يحرِّض علىٰ قتل المسلمين بطريقةٍ وحشيَّةٍ وبشعةٍ يقشعرُّ البدن لها مستعيناً «بتجربة الصرب الذين كان الحل الوحيد أمامهم بعد تأكُّدهم من عدم القدرة علىٰ ملاحقة نسبة الاخصاب لدى المسلمين هي قتلهم أو رميهم علىٰ المزابل»[٢٦٢]. بل إنَّ بعضاً غير قليلٍ «من كبار المثقفين الغربيين، توقَّع السِّيناريو الأسوأ، لمجابهة المدِّ الإسلامي في الدُّول الأوروبيَّة، من بينها اضطرار الغرب إلىٰ ترجيح خيار التَّطهير العرقي والإبادة الجماعيَّة للمسلمين»[٢٦٣].

---

[٢٦١] . وكالات: **مرشح الرئاسة الأمريكية يهدد بقصف مكة والمدينة إن هوجمت بلاده نووياً** . العربية نت . الاثنين ٢٣ رجب ١٤٢٨هـ النوافق لـ ٥ آغسطس ٢٠٠٧م.

[٢٦٢] . إبراهيم درويش : **كتابات أمريكية تروج لفكرة أسلمة أوروبا** . موقع مصرس . ١٧ / ٠٨ / ٢٠٠٩م. منشور أيضاً بصحيفة **القدس العربي** ١٧ آب/ أغسطس ٢٠٠٩م.

[٢٦٣] . محمود سلطان: **الخوف من أسلمة أوروبا.. مجدداً!** . مصدر سابق . ذاته.

أمَّا **بوس باوير** صاحب كتاب (عندما نامت أوروبا) الذي نال عليه الجوائز والإطراءات رأى في هٰذا الكتاب «أنَّ خيار ترحيل المسلمين مهمٌّ لإنقاذ أوروبا»[٢٦٤]. ومثلمه تماماً خيار **خيرت ويلدرز** زعيم حزب الحريَّة الهولندي الذي يرى أنَّ «الحلَّ الوحيد هو ترحيل ملايين المسلمين»[٢٦٥]. أمر هٰذا الخيار لا يتوقف عندهما بالتأكيد هو الخيار المطروح علىٰ الأقل الأقل عندما فكروا في ترحيل وإبادة مسلمي البلقان.

المسألة لا تقف عند هٰذه الشَّواهد فما هي هي إلا غيضٌ من فيضٍ، ما هي إلا صورة أصغر من صغيرة عن حقيقة الواقع، يكفينا أن نفكر في أنَّهُ عندما هناك أكثر من برنامج تلفزيوني من أكثر من نوع أسبوعيًّا لتناول ظاهرة تزايد العنف ضدَّ المسلمين في الغرب وتزايد الاعتداء علىٰ الإسلام والمظاهر الإسلاميَّة فهٰذا يعني أنَّ كل الإحصاءات المقدَّمة كاذبة لأنَّهَا كلَّها أقل بمئات من المرَّات من الحقيقة.

وحَتَّىٰ لا يجادل أحدٌ في حقيقة تاريخيَّة الإسلاموفوبيا وهٰذه الروح العدوانيَّة فقبل الحادي عشر من أيلول وقبل القاعدة وقبل داعش فإنَّ الصرب «برَّروا مجازرهم في أوائل تسعينات القرن الماضي ضدَّ مسلمي البوسنة بأنَّهُم يحاولون تحطيم الهلال الإسلامي الأخضر الزاحف نحو أوروبا»[٢٦٦]، ووقفت أوروبا كلَّها وراءهم ودعمتهم تحت هٰذا الشِّعار، بل وقفت معهم مؤسَّسات المجتمع الدولي

---

[٢٦٤] . إبراهيم درويش : **كتابات أمريكية تروج لفكرة أسلمة أوروبا** . موقع مصرس . ١٧ / ٠٨ / ٢٠٠٩م. منشور أيضاً بصحيفة **القدس العربي** ١٧ آب/ أغسطس ٢٠٠٩م.

[٢٦٥] . المصدر السابق . ذاته.

[٢٦٦] . المصدر السابق . ذاته.

ذاتها[٢٦٧]. والملفت الذي لا يمكن تجاوزه هنا في هٰذا السِّياق أنَّ كل الدُّول غير المسلمة نالت استقلالها أو انقسمت من دون إراقة نقطة دم، وفقط الدول والشعوب المسلمة التي كانت بالوضعيَّة ذاتها لم تنل استقلالها حَتَّىٰ الآن باستثناء البوسنة بعد المجازر المعروفة. وكذٰلكَ أيضاً كلُّ الدُّول الشِّيوعيَّة غير المسلمة تم تطهيرها تماماً من الشِّيوعيَّة، وفقط الدُّول المسلمة بقيت الشِّيوعيَّة مفروضةً عليها برعاية أمريكيَّةٍ روسيَّةٍ. هٰذه ليست مصادفة!!!

المشكلة أنَّ الموضوعيون أنفسهم، أكثرهم ن لم يكونوا كلهم، لا يمكن أن يخرجوا من جلدهم، فهم أنفسهم يقدمون التبريرات لأخطائهم بل لجرائمهم، ويبحثون عن ذرائع تدين المسلمين من حيق لا يعلمون، فهٰذا مثلاً الموضوعي **جان هيجاربي** أستاذ الدِّراسات الإسلاميَّة البارز بجامعة لاند السويديَّة يرى في الإرهاب الغربي ضدَّ المسلمين حالاتٍ فرديَّةً محدودةً فقد «أكَّد أنَّ الهجمات التي استهدفت المساجد وغرف الصَّلاة في السُّويد في الآونة الأخيرة **لا تتعدَّى كونها محاولات فرديَّة خاصة** يشترك فيها أفرادٌ ومجموعاتٌ صغيرةٌ ويقومون بها ليلاً بحيث لا يراهم أحد، فضلا عن أنَّ الأضرار التى أسفرت عنها كانت محدودة»[٢٦٨].

هٰذا الهروب من الضَّمير والاختباء وراء ذرائع واهيةٍ، غير حقيقيَّةٍ، لتسويغ العنف ضدَّ المسلمين، ولتسويغ عنف الغربيين ضدَّ المسلمين، مسألة نفسيَّة يمكن

---

[٢٦٧] . هٰذه حقائق باتت عصية علىٰ الطعن أو حَتَّىٰ الشك. يمكن مراجعة حارس سيلازيتش نائب الرئيس البوسني في تلك الفترة في شهادته على العصر على قناة الجزيرة التي عرضت بين عامي ٢٠١٥ و٢٠١٦م.

[٢٦٨] . رباب فتحى: **أستاذ بجامعة لاند السويدية ينتقد الحركة ضد أسلمة أوروبا ويؤكد: الإسلاموفوبيا خوف جماعى غير مبرر يجب أن يتصدى له الساسة** . موقع جريدة اليوم السابع . الثلاثاء، ٢٤ شباط/ فبراير ٢٠١٥م.

أن نتفهمها، ويبدو أنَّهُ لا منجى منها ولا مهرب، ولَكنَّهَا غير مقبولة علىٰ أيِّ حال.

رابعاً: التضييق على المسلمين

التَّضييق علىٰ المسلمين، يبدو أنَّهُ أيسر الاحتمالات أو النَّتائج، وهذا ما قد توحي به الشَّواهد. بعض الشَّواهد هي التي سنقف عندها من محطات مختلفة ومتباعدة، هي شواهد لا إحصاءات، الإحصاءات متعذرة بكل تأكيد، والحصر شبه محال، ولا يمكن أن نذكر إلا القليل لأنَّ أكثرها متشابهة.

من النَّاحية المنطقيَّة يصعب البتُّ بأسبقيَّة التَّضييق علىٰ العدوان أو أسبقيَّة العدوان علىٰ التَّضييق. كلاهما نتيجةٌ لحملة الإسلاموفوبيا، وكلاهما هدفٌ من أهدافها بمعنى أو بآخر، ولٰكن هل يأتي التَّضييق أولاً ثمَّ يتبعه العدوان، أم يأتي العدوان أولا ثمَّ يتبعه التَّضييق؟

التَّضييق في حقيقة الأمر صورةٌ من صورة العدوان وليس حالةً أقلَّ من العدوان. بل إنَّ التَّضييق عدوانٌ أكبر من العدوان الماديِّ أو الجسديِّ لأنَّهُ عدوانٌ نفسيٌّ وماديٌّ معاً، وينطوي علىٰ حقد أكبر لأنَّهُ يقوم علىٰ أساس التَّشفِّي والتَّعبير عن الحقد بصورةٍ تبدو سلميَّةً ولَكنَّهَا مؤذيةٌ وجارحةٌ كثيراً رُبَّما أكثر من العدوان الجسديِّ. ولذلك من الصُّعوبة بمكانٍ الفصل بَيْنَ العدوان والتَّضييق، ومن الصُّعوبة بمكانٍ التَّقديم والتَّأخير بَيْنَهما زمنيًّا أو منطقيًّا، ولا يختلف الأمر كثيراً عن الشَّحن بالحقد والكراهية فالتعبير عن الكراهية والحقد يكون إما بالعدوان أو بالتَّضييق أو رُبَّما غير ذٰلكَ.

التَّضييق علىٰ المسلمين بطبيعة الحال هو نتيجةٌ طبيعيَّةٌ لكلِّ ما سبق، بل هو في الوقت ذاته نتيجةٌ للأهداف والنَّتائج ومقدِّمةٌ لها، فالتَّضييق عليهم يفترض فيه منطقيًّا ونفسيًّا أن يخضعهم للأهدف ويفرض عليهم تقبُّل النَّتائج.

كما أنَّ العدوان صدر ويصدر عن مختلف المستويات من المواطن العادي إلىٰ المواطن المؤدلج وصولاً إلىٰ مؤسَّسات الدَّولة الرَّسميَّة من أصغر ممثليها إلىٰ أعلاهم.

رُبَّما تكون المرأة هي الأكثر عرضة لهٰذا التضييق بسبب وضوح كونها مسلمة، وبالفعل فقد صارت المسلمة توقف وتفتش لمحض ارتدائها غطاء الرأس كما يحدث في بقاع الغرب قاطبة مراراً، منها حادثة باريس التي أثارت «أحداثا عنيفة في ١٨ يوليو/تموز ٢٠١٣م عقب تفتيش امرأة منقبة»[٢٦٩]، والأدهى من ذٰلكَ أنَّ محامي الشُّرطي الذي ارتكب هٰذا الاعتداء «رفع دعوة بوصفه طرفاً مدنيًّا ضدَّ زوج الضَّحيَّة بتهمة الضَّرب، مستنكرا الحملة الإعلاميَّة التي شُنَّت ضدَّ موكله»[٢٧٠]. ليتحول الجاني إلىٰ ضحيَّة والضَّحيَّة إلىٰ جاني. لقد استغل الشُّرطي صفته الرَّسميَّة ليمارس عدوانيته ضدَّ المسلمين باسم القانون، وقد وقف القانون معه، أي وقفت مؤسَّسات الدَّولة معه، فقد أصرت «لجنة مناهضة كراهية الإسلام في فرنسا علىٰ تكذيب الرِّواية الرَّسميَّة إذ كشفت علىٰ موقعها الإلكتروني تعليقات الشُّرطي العنصريَّة وصوره السَّاخرة من النِّقاب المنشورة علىٰ صفحته بفيسبوك»[٢٧١].

---

[٢٦٩] . فائزة مصطفى: **الإسلاموفوبيا في فرنسا؛ حروب افتراضية** . الجزيرة نت . الثلاثاء ١٤٣٤/٩/٢٢ هـ – الموافق ٢٠١٣/٧/٣٠م.

[٢٧٠] . المصدر السابق . ذاته.

[٢٧١] . المصدر السابق . ذاته.

مؤسَّسات الدَّولة في أوروبا وأمريكا هي التي تمارس التَّضييق وهي التي تشرعنه، وأكثر الشَّواهد انتشاراً واشتهاراً هي ما تمارسه المؤسَّسات الحكوميَّة والرَّسميَّة من تضييقٍ، لأنَّ التَّضييق الذي يمارسه المجتمع والأفراد غير مسجَّلٍ غالباً وغير موثَّقٍ، ناهيكم عن تمثله أيضاً بشكلٍ خطيرٍ آخر هو العزل والتهميش الذي سنعود إليه في البند التالي.

في الأسبوع الأوَّل من عام ٢٠٠٢م ذكر مجلس العلاقات الإسلاميَّة الأمريكيَّة كير[٢٧٢] في تقريرٍ له أنَّهُ تلقَّى ١٧٠ تقريراً عن حوادث تعرض فيها مسافرون مسلمون وعرب للتَّمييز في أثناء سفرهم بالخطوط الجويَّة والمطارات الأمريكيَّة[٢٧٣]. وبعد هٰذا التَّاريخ تقريباً لم يعد ثَمَّة داع للإحصاء لأنَّ أيَّ عربيٍّ أو مسلمٍ صار مشتبهاً ويعامل معاملةً خاصَّةً، بل إن للمسلمين والعرب بوابات خاصَّةً ومعاملات خاصَّةً في المطارات الغربيَّة والأمريكيَّة خاصَّة[٢٧٤].

من أنواع أو صور هٰذا التَّضييق ما حدث في أواخر الأسبوع الأوَّل من الشَّهر الأول عام ٢٠٠٢م عندما «قامت الشَّرطة الأمريكيَّة في مطار بالتيمور بإجبار فتاةٍ مسلمةٍ علىٰ خلع حجابها وتفتيشها عنوةً وعلناً في أثناء سفرها مؤخَّراً علىٰ إحدى رحلات شركة نورث وست

[٢٧٢] .كير CAIR: مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية أكبر جماعات الحقوق المدنية المسلمة الأميركية.

[٢٧٣] . الجزيرة نت: **إجبار مسلمة على خلع حجابها بمطار أميركي** . الجزيرة نت . الأربعاء ١٤٢٢/١٠/٢٥هـ الموافق ٢٠٠٢/١/٩م.

[٢٧٤] . هذه حقيقة عامة لا تكذبها الاستثناءات، وقد عبر عنها أمريكي من أصول أوروبية دخل الإسلام مؤخراً بطريقة رائعة بقدر ما هي مؤلمة.

إيرلاينز الأمريكيَّة... ليس لأي سبب واضح كما وصفت الفتاة ذَلكَ[٢٧٥].

وفي الفترة ذاتها نقريباً في عام ٢٠٠٢م شركة إس.آر تيلي بيرفورمانس للهواتف بفصل المسلمة الفرنسيَّة **دليلة طاهري** من العمل لأنَّهَا ترتدي الحجاب. حَتَّىٰ قرار المحكمة بإعادتها إلىٰ العمل فَسَّرَهُ فرنسيون بأنَّهُ في إطار «تحسين العلاقات مع خمسة ملايين مسلمٍ من سكانها»[٢٧٦].

الصورة الأكثر كاريكاتيريَّة هي ما حدث في أواخر عام ٢٠٠١م عندما «تعرَّض ضابط مسلم بالحرس الرئاسي الأمريكي للطرد من علىٰ متن رحلةٍ لشركة أميركان إيرلاينز والمتوجهة من مدينة بالتيمور بولاية ميرلاند الأمريكيَّة إلىٰ مدينة دالاس بولاية تكساس حيث يقضي الرئيس الأميركي بعض الأوقات بمزرعته الخاصَّة هناك»[٢٧٧]. حَتَّىٰ ولو كان في كتيبة مرافقة الرئيس الأمريكي مان يكفي أن يكون مسلماً ليتعرض للمضايقة.

الشَّواهد السَّابقة كانت قبل خمسة عشر عاماً، وقبلها كثيرٌ وبعدها كثيرٌ كما مر معنا وسيمرُّ أيضاً. ففي عام ٢٠٠٨م مما أوردته أمنستي من أمثلة على

---

[٢٧٥] . الجزيرة نت: **إجبار مسلمة على خلع حجابها بمطار أميركي** . الجزيرة نت . الأربعاء ١٤٢٢/١٠/٢٥هـ الموافق ٢٠٠٢/١/٩م. ذكرت الفتاة أنَّهُ بعد مرورها من نقطة التفتيش الأمني بالمطار طلب منها أحد الحراس بلغة فظة خلع حجابها، وبعد ذَلكَ فوجئت بقيام بعض رجال أمن المطار المسلحين بإحاطتها، مما أصابها بخوف شديد واضطرها لنزع حجابها بسرعة.

[٢٧٦] . رويترز: **محكمة فرنسية تجبر شركة على إعادة موظفة محجبة** . الجزيرة نت . الأربعاء ١٤٢٣/١٠/١٤هـ الموافق ٢٠٠٢/١٢/١٨م.

[٢٧٧] . الجزيرة نت: **إجبار مسلمة على خلع حجابها بمطار أميركي** . الجزيرة نت . الأربعاء ١٤٢٢/١٠/٢٥هـ الموافق ٢٠٠٢/١/٩م.

التَّمييز الدِّيني ضدَّ المسلمين النَّاجم عن هٰذا التَّحريض «موظفٌ مسلمٌ هولنديٌّ من أصلٍ باكستانيٍّ رفضت إدارة الهجرة في وزارة الدَّاخليَّة الهولنديَّة عام ٢٠٠٨م ترقيته بسبب انتمائه الديني . وأشارت إلىٰ أنَّ . الأوروبيات يتمتعن بمعدلات توظيف تبلغ أحياناً خمسة أضعاف مقارنة بمعدلات توظيف المسلمات مع أن جلَّ الدول الأوروبيَّة لديها تشريعاتٌ تحظر التَّمييز»[٢٧٨].

ويصل الأمر في الأعوام الأخيرة إلىٰ حدِّ حرمان المسلمين من أبسط الحقوق السِّياسيَّة وهي التَّظاهر لشرح حقيقتهم، «فقد وجه ناشطون السبت ١٩ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٣م عبر فيسبوك الدَّعوة للتَّجمُّع والاحتفال بشهر رمضان، في حفل (إفطار ضدَّ الفاشيَّة)، لٰكنَّ دائرة شرطة باريس منعت التَّجمع قبل ذٰلكَ بساعاتٍ، إذ طوَّقت عناصر الأمن ساحة برج موبرناس في قلب العاصمة الفرنسيَّة»[٢٧٩].

بل وصل الأمر إلى حد الحد من التَّعبير عن الشُّعور، عن الفرح، عن الانفعال، عن الألم... وفي ذلك حكايات وقصص منها قصة اللاعب البوسني المسلم **علي حاجيتش** (١٨ عاماً) التي تدل على مدى الحقد على الإسلام وكل ما يمت إليه بصلة حتى كلمة الحمد لله مثلاً، أو أستغفر الله، والكثيرون يتذكرون كيف أن الغي سبوك بيوم واحد ألغى حساب كل من كتب أستغفر الله العظيم وقد بلغت نحو خمسين ألف حساب في يوم واحد. المهم أنَّ هذا اللاعب البوسني **حاجيتش** «في

---

[٢٧٨] . الجزيرة نت: **التمييز ضد مسلمي أوروبا بتقرير آمنستي** . الجزيرة نت . السبت ١٤٣٣/٦/٦ هـ - الموافق ٢٠١٢/٤/٢٨م.

[٢٧٩] . فائزة مصطفى: **الإسلاموفوبيا في فرنسا؛ حروب افتراضية** . مصدر سابق . ذاته.

أثناء مباراةٍ محليَّةٍ نجح في تسجيل هدفٍ لفريقه بمرمى الخصم، فلم يتمالك نفسه حين سجل الهدف وأحس بحسب قوله أَنَّهُ يكاد يطير من الفرح، فركع على الأرض ساجداً ورفع يداه عاليا وشكر الله على ذلك مستعملا عبارة الله أكبر»[٢٨٠]. تخيلوا أنَّ حكم المباراة الصربي (مندوب اتحاد كرة القدم الصربي) قد رفع بوجهه بطاقة حمراء معلناً طرده من الملعب. «بعد ذلك ساد هرج ومرج في الملعب، ثم توقفت المباراة، مما اضطر رفاق اللاعب علي حاجيتش من البوسنيين المسلمين إلى مواكبته وحمايته أثناء خروجه من الملعب، كما تم إلغاء نتيجة المباراة». ولم يتوقف الأمر بل كما ذكرت مجلة (داني) الأسبوعية البوسنية أن الاتحاد الصربي لكرة القدم أصدر بيانا أعلن فيه معاقبة **حاجيتش** ومنعه من اللعب لمدة سنتين قابلة للتمديد». بل الأكثر من ذلك أنَّ البيان ذهب أبعد من ذلك إذ اتهم اللاعب بالانتماء لتنظيم القاعدة»[٢٨١].. شيء لا يشيه الخيال لأنَّ الخيال يحاول أن يتشبَّه به فيعجز عن الإغراب في الخيال إلى هذا الحد والمستوى.

قصص وحوادث التَّضييق علىٰ المسلمين لا تقف عند هٰذه الشَّواهد ولا عند هٰذا الحدِّ، فما ذكرنا ليس إلا محطاتٍ عابرةً وقليلةً، ذكرنا أمثالها في مواقع أُخْرَىٰ من هٰذا البحث ولا نكررها هنا، وأكثر من ذٰلكَ كلِّه كثير مما لم نذكره وما لم يتم تسجيله ولا توثيق.

---

[٢٨٠] . نضال حمد: **لاعب بوسني يطرد من الملعب في صربيا لأنه قال الله أكبر** . موقع الصفصاف الإلكتروني.

[٢٨١] . المصدر السابق . ذاته.

خامساً: عزل المسلمين وتهميشهم

عزل المسلمين وتهميشهم هدفٌ لحملة الإسلاموفوبيا ونتيجةٌ لها في الوقت ذاته. ولهذا الهدف والنَّتيجة صورةٌ من صور أَوْرَبَةِ الإسلام والمسلمين، كما أنَّهُ صورةٌ من صور الخوف من أسلمة أوروبا والكراهية والعدوان والتضييق...

ومثلما كل الأهداف ومظاهر حملة الإسلاموفوبيا مفضوحةٌ ومتناقضة كذلكَ الأمر هنا في العزل والتَّهميش. ولهذا ما أشار إليه الكاتب الفرنسي **إيدوي بلينال** فاضحاً «التَّهميش العام الذي تتعرَّض له الجالية المسلمة المهاجرة والفرنسيون المسلمون في الضَّواحي»[٢٨٢].

مما يفضح السِّياسات الغربيَّة الرسميَّة والشَّعبيَّة ضدَّ المسلمين ويدحض مزاعمهم أنَّ «الكثير من الدِّراسات التي أجريت بشأن الوجود الإسلامي في الغرب أشارت إلىٰ أنَّ الكثير من المسلمين هناك اندمجوا جيِّداً في المجتمعات التي انتقلوا إليها»[٢٨٣]. ولٰكنَّ السِّياسيات الغربيَّة هي التي تفرض عليهم العزلة والتَّهميش علىٰ نحو مباشرٍ حيناً ومقصودٍ غير مباشرٍ أحياناً.

وعلىٰ افتراض رغبة المسلمين العزلة وعدم والاندماج، أو عدم اندمابجهم فإنَّ الحقيقة الأكيدة هي أنَّ السِّياسات الأوروبيَّة بسبب سلوكاتها الخاطئ «أخفقت كلُّ مساعيها الرَّامية إلىٰ استيعاب المسلمين ضمن النَّموذج الغربيِّ المعولم أو استلاب هويتهم وقبولهم باختزال قيمهم الثَّقافيَّة في مظاهر فولكلوريَّة

---

[٢٨٢] . بوعلام رمضاني: **إيدوي بلينال في كتابه من أجل المسلمين** . مصدر سابق . ذاته.

[٢٨٣] . محرر ديانات: **أسلمة أوروبا؛ حدود الوهم ومؤشرات الواقع** . مصدر سابق . ذاته.

هامشيَّة علىٰ نحو ما فُعِلَ بشعوب أُخْرَىٰ»[٢٨٤]. فهي لا تريد إدماجهم وإنما تريد سحقهم ومحو هويتهم وثقافتهم وقيمهم...

سلوك العزل والتهميش لهٰذا لا يتوقف علىٰ المستوى الرسمي فقط بل يتعداه إلىٰ المستوى الشعبي الذي هو بطبيعة الحال صدى لخطاب الرسمي، وعلىٰ سبيل المثال نجد «نيوكولن وهي المنطقة الثَّانية في ألمانيا التي دوماً ما يحذِّر الألمان بعضهم من التَّوجه إليها إلىٰ جانب برلين الشَّرقيَّة التي تحولت (علىٰ رغم توحيد المدينة) إلىٰ منطقة متأخِّرة تسكنها فئة من أصحاب الدُّخول المنخفضة ويعيشون حياةً متدنيةً مقارنةً ببرلين الجنوبيَّة والغربيَّة»[٢٨٥].

لهٰذه السِّياسات الغربيَّة القاصدة إلىٰ التَّهميش والعزل والتَّضييق مروراً بالكراهية والعدوان وتشويه الإسلام ومحاربته تفرض علىٰ المسلمين إيقاعاتٍ من العزلة الإراديَّة أيضاً، ولذٰلك، كما قال **مصطفى الشعيري** من حركة مناهضة العنصريَّة ومعاداة السَّامية «فإنَّ شعور الضَّحايا بالإحباط بسبب عدم دفاع القوى اليساريَّة عنهم، وصعود اليمين المتطرِّف علىٰ المستوى القاريِّ في السَّنوات الأخيرة، شاهدٌ علىٰ الوضع الصَّعب الذي تمرُّ به الجالية المسلمة في القارَّة العجوز»[٢٨٦].

ولذٰلك، كما يقول **سيد أحمد زروق** «لا تكاد تقابل مسلماً من الدُّول الأوروبيَّة إلَّا وتجد لديه قصَّة مركزٍ أو مسجدٍ أو مدرسةٍ دينيَّةٍ أو حَتَّىٰ مصلَّى

---

[٢٨٤] . محمد فال ولد المجتبى: **الإسلاموفوبيا القاتلة.. على نفسها جنت أوروبا** . مصدر سابق . ذاته.

[٢٨٥] . عاطف محمد: **أوربة الإسلام أم أسلمة أوروبا؟** . مصدر سابق . ذاته.

[٢٨٦] . لبيب فهمي: **المنتدى الأول لانتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا في بروكسل** . مصدر سابق . ذاته.

صغيرٍ لم يتمكَّن المطالبون بالتَّرخيص له من تحقيق هدفهم، بسبب معارضة السُّلطات أحياناً والسُّكَّان المحليين أحياناً وهما معاً في أحايين أُخْرَىٰ»[٢٨٧].

في هٰذا السياق وبأسلوب لا يخلو من التَّحريض الصَّريح قال زعيم الحزب اليميني البلجيكي **فيليب ديونتر**: «هناك مسجدٌ ضخمٌ يجري تشييده في ميناء (روتردام) الهولندي يبلغ ارتفاع منارته ستة طوابق وأعلى من أبراج إضاءة ملعب فينورد لكرة القدم... مثل هٰذه الرُّموز يجب إيقافها»[٢٨٨].

بل لقد وصل الأمر بالعزل والتَّهميش إلىٰ حدِّ التَّدخُّل في أخصِّ الخصوصيات والزواج فراحت ترتفع أصواتٌ تسمَّى يمينيَّة «تهدِّد من زواج المسلمين من بنات أوروبا»[٢٨٩].

أكرِّر هنا أيضاً: ما هٰذه الشَّواهد إلا محطَّات من هنا وهناك عبر أوقات وأمكنة مختلفة، والواقع متخم بمثل هٰذه الشَّواهد. ولٰكن بالتَّأكيد ومن أجل الأمانة لا يجوز أن نفهم أنَّ الواقع كلَّه كذٰلكَ، وأنَّنا أينما سرنا أو توجهنا سنجد هٰذه الشَّواهد. ولٰكن من جهة أُخْرَىٰ لا يمكن إنكار أنَّ هٰذه الصُّورة هي صورة العقليَّة الجمعيَّة حَتَّىٰ حيث يصعب أن نجد مثل هٰذه الشَّواهد. والغربيون أنفسهم يعترفون بهذه السياسة الإقصائيَّة والتهمشيَّة العنصرية القائمة علىٰ الافتراء ولذٰلك علىٰ سبيل المثال وقف **ميكائيل بريفو** رئيس المنتدى الأول لانتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا في بروكسل و«دعا إلىٰ تغيير القوانين في الدُّول الأوروبيَّة لتتماشى

---

[٢٨٧] . سيد أحمد زروق: **المراكز الإسلامية بالبلقان تواجه الإسلاموفوبيا** . الجزيرة نت . الأحد ١٤٣٥/٣/٤ هـ – الموافق ٢٠١٤/١/٥م..

[٢٨٨] . محمود سلطان: **الخوف من أسلمة أوروبا.. مجدداً!** . مصدر سابق . ذاته.

[٢٨٩] . إبراهيم درويش : **كتابات أمريكية تروج لفكرة أسلمة أوروبا** . مصدر سابق . ذاته.

مع اعتبار أيِّ تمييزٍ ضدَّ المسلمين شكلاً من أشكال العنصريَّة، وبالتَّالي يعاقب عليه القانون» وأضاف: «وهٰذه هي الطَّريقة الوحيدة لاعتبار المسلمين جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الأوروبي الذي يعيشون فيه»[٢٩٠].

سادساً: رد فعل المسلمين

رد فعل المسلمين علىٰ كل ما سبق من سلوكات وأهداف ونتائج هو الأمر الذي لا يريد الغرب أن يعترف به ولا أن يقبله لأنه لا يتعامل مع المسلمين علىٰ أنَّهُم بشر، يتعامل معهم علىٰ أنَّهُم كومة أحجار لا رد فعل عندها... والمصيبة أنَّ الأحجار ذاتها لديها ردُّ فعلٍ علىٰ أيِّ فعلٍ تجاهها كما تقول قوانين الفيزياء.

حسب قوانين الفيزاء لا المشاعر ولا الميول ولا الأهواء فإنَّ هٰذه المشاعر والسُّلوكات العدوانيَّة الفاقعة ضدَّ المسلمين تساهم إلىٰ حدٍّ كبير في تنامي مشاعر كراهيةٍ وعدوانيَّةٍ مقابلةٍ من قبل المسلمين، هٰذا ردُّ فعلٍ طبيعيٍّ بل منطقيٍّ وضروريٍّ علىٰ السُّلوكات العدوانيَّة الغربيَّة تجاههم؛ المسلمون بشرٌ من لحمٍ ودمٍ في المقدِّمة والنَّتيجة ولا يمكن إلا أن يكون لديهم ردُّ فعل. أبسطها علىٰ الإطلاق تكريس العزله والتَّهميش المفروضين علىٰ المسلمين الأوربيين التي يعيشونها أصلاً ومنذ سنين كثيرة، وفي هٰذا يقول الباحث الأمريكي **تيموثي سافيج** إنَّ «التَّهميش الاقتصادي والاجتماعي للمسلمين قد يتحوَّل إلىٰ لغم يمكن أن ينفجر في أيِّ وقتٍ مع التَّزايد الملحوظ في أعدادهم...»[٢٩١].

---

[٢٩٠] . لبيب فهمي: **المنتدى الأول لانتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا في بروكسل** . مصدر سابق . ذاته.

[٢٩١] . تيموثي سافيج: **أوروبا والإسلام؛ الهلال المتنامي وصدام الثقافات** . مصدر سابق . ذاته.

وعلىٰ نحو مشابهٍ تقريبا كان موقف **يورچن نيلسن** رئيس قسم الاستشراق بجامعة كوبنهاچن الدانماركية الذي قال في محاضرته في مؤتمر نحو إسلام أوروبي: «إنَّ ما عايشه مسلمو أوروبا خلال الـ٢٥ عاماً الماضية من أجواء برزت فيها التَّصورات النَّمطيَّة السَّلبية ضدَّهم والتَّوجُّهات المعادية للحجاب وبناء المساجد، ولَّدَ لديهم خوف فقدان هويتهم»[٢٩٢]. اكتفى بأنَّه ولَّدَ الخوف لديهم ولم يستطل في الشَّرح لأنَّهُ من المفترض منطقيًّا أن يصل إلىٰ أنَّهُ سيولِّدُ لديهم ردود أفعال غير قابلة للضَّبط.

ولذَلكَ إذا جاز الحديث عن تطرُّف إسلاميٍّ فما هو إلا ردُّ فعل علىٰ هٰذا التَّطرف الغربيِّ في العداء للإسلام والمسلمين. «وعدم الوعي بذَلكَ أو سوء التَّفاعل معه، كما يقول **تيموثي سافيج**، من شأنه أن يفجِّر العديد من المشكلات قد يصل مداها إلىٰ ما وصلت إليه بعض الأحداث العنصريَّة في الولايات المتحدة في العقود الأخيرة من القرن الماضي»[٢٩٣].

لنعد إلىٰ عام ٢٠٠٤م مثلاً عندما قام المخرج السينمائي الهولندي **ثيو ڤان خوخ** بالإساءة وتكرار الإساءة للإسلام والرسول الكريم. الذي اغتاله حينها شابٌّ مغربيٌّ لم يتجاوز السَّادسة والعشرين من عمره. وهو، كما أكَّد كلُّ من عرفه، أنَّهُ قليل العلم الشَّرعيِّ، متواضعُ المعرفة بفقه الدين وأصوله وأركانه ومقاصده ولٰكنَّهُ لم يستطع الصَّبر علىٰ استفزاز الإساءة إلىٰ الإسلام والرسول.

هٰذا الشَّاب عينة من أكثر من تسعين بالمئة من الشَّباب الذين قاموا بأعمال عنفٍ في أوروبا في السَّنوات الثَّلاث الأخيرة في مختلف الدُّول الأوروبيَّة

---

[٢٩٢] . خالد شمت: **قضايا مسلمي أوروبا بمؤتمر في ألمانيا** . مصدر سابق . ذاته.

[٢٩٣] . تيموثي سافيج: **أوروبا والإسلام؛ الهلال المتنامي وصدام الثقافات** . مصدر سابق . ذاته.

حسبما أكَّدت مختلف التَّقارير والأخبار... لهٰذه النِّسبة العالية كلُّها من شبابٍ قليلي الالتزام الدِّيني الذين ضاق بهم الصَّبر عن احتمال الإساءة للإسلام ومحاربة الإسلام والمسلمين. وفي هٰذا السِّياق «أكدَّت أوروبيَّة دراسة نشرت مؤخَّراً أوضحت أنَّ الكثير من الشباب الذين يذهبون إلىٰ القتال لم يكونوا يرتادون المساجد»[٢٩٤]، عللوا ذٰلكَ بأنَّهُم «ذهبوا بحثاً عن هويَّتهم وفق معتقدهم»[٢٩٥]، ولم يقتربوا من أنَّ ذٰلكَ ردَّ فعل علىٰ سياساتهم العدوانيَّة ومظاهر فوبيا الإسلام.

وكيف يريدون أن يكون شعور المسلمين إيجابيًّا وهم يرون في ألمانيا الأكثر انفتاحاً والأكثر اعترافاً بالمسلمين «تضع شروطاً مرتفعةً لمنح المنظَّمات الإسلاميَّة وضعاً مساوياً للكنائس المسيحيَّة والمؤسَّسات اليهوديَّة»[٢٩٦] علىٰ الرَّغْمِ من أنَّ المسلمين أضعاف أضعاف اليهود في ألمانيا؟

وكيف لا يندفعون إلىٰ التطرف وهم يرون ويسمعون إساءة البابا ذاته للإسلام وللرسول الكريم، وفي إطار البحث عن تبريرٍ لإساءة البابا **بنديكت الـ١٦** قال **جيل كيبيل**، الخبير الفرنسي الشَّهير في الإسلام، «إنَّ **البابا** حاول الدُّخول في منطق النَّصِّ القرآني، لٰكنَّهُ رأى أن النَّتائج تنطوي علىٰ مجازفة لأنَّ الخطاب قد يحمل قِسْماً من المسلمين علىٰ التَّطرف»[٢٩٧]. وهٰذا يقودنا إلىٰ

---

[٢٩٤] . برنامج الواقع العربي: **الجاليات العربية والمسلمة بأوروبا وظاهرة إسلاموفوبيا؛ المسلمون محاصرون بالإسلاموفوبيا من الغرب وبأنظمة لا تقل إسلاموفوبيا عن الغرب . الجزيرة نت .** الثلاثاء ١٤٣٦/٢/٩ هـ – الموافق ٢٠١٤/١٢/٢م.

[٢٩٥] . المصدر السابق . ذاته.

[٢٩٦] . خالد شمت: **قضايا مسلمي أوروبا بمؤتمر في ألمانيا** . مصدر سابق . ذاته.

[٢٩٧] . وكالات: **البابا ينتقد الإسلام ويقتبس إساءة لنبيه** . الجزيرة نت . الخميس ٢٠٠٦/٩/١٤م..

نتيجةٍ محتملةٍ جدًّا وهي أنَّ الغرب يدرك أنَّهُ بحملته هٰذه وإساءاته هٰذه يدفع بالمسلمين أو بعضهم إلىٰ التَّطرف، بما يعني أنَّهُم يفرضون علىٰ المسلمين القيام بسلوكات يستغلونها في شيطنه الإسلام ونعته بالإرهاب.

حَتَّىٰ الموضوعي **جان هيچاربي** أستاذ الدِّراسات الإسلاميَّة البارز بجامعة لاند السُّويديَّة عندما سُئل «عمَّا إذا كانت الدُّول الغربيَّة مثل فرنسا تدفع ثمن السِّياسات التي تبنَّتها في دولٍ مثل مالي وليبيا وسوريا، قال الخبير السُّويدى إنَّ هناك علاقة بَيْنَ التَّدخل العسكري فى الشَّرق الأوسط ومنطقة السَّاحل وبَيْنَ اختيار الإرهابيين لأهدافهم»[٢٩٨]، وَصَفَ ردَّة الفعل والدِّفاع عن النَّفس بالإرهاب، فالتَّدخل الإرهابي الغربي مشروعٌ أمَّا الدِّفاع عن النَّفس فإرهابٌ.

إنَّ ما يسمَّى بالجماعات الإسلاميَّة المتطرِّفة أو الإرهابيَّة ما كان يمكن أن تظهر لولا السُّلوكات الغربيَّة الازدواجيَّة والعدوانيَّة علىٰ مستوى الدُّول علىٰ نحوٍ خاصٍّ، وحملة فوبيا الإسلام علىٰ نحوٍ عام. وفي هٰذا حديث يطول. ولٰكنَّ الجدير بالذِّكر هنا أنَّ هٰذا الرَّأي الأخير ناهيكم عن أنَّهُ نتيجةٌ منطقيَّةٌ لا يمكن إلا توقعها فهو ليس رأينا وحسب بل هو رأي عدد من المفكرين الموضوعيين أو العادلين أو رُبَّما الحياديين إن جاز الوصف... وهٰذا ما سنعرض له في فصل آخر. ولٰكن ثَمَّة صرخة في هٰذا المجال لا يمكن تجاهلها هي صرخة الإعلامي والمفكر الفرنسي **ميشيل أونفري** علىٰ التِّلفزيون الفرنسي عقب عمليَّة **شارلي أيبدو** إذا قال صارخاً في وجه ساسة الغرب والغرب عامَّةً: «تقصفون بلادهم

---

[٢٩٨] . رباب فتحى: **أستاذ بجامعة لاند السويدية ينتقد الحركة ضد أسلمة أوروبا ويؤكد: الإسلاموفوبيا خوف جماعى غير مبرر يجب أن يتصدى له الساسة** . موقع جريدة اليوم السابع . الثلاثاء، ٢٤ شباط/ فبراير ٢٠١٥م.

وتشرِّدون أبناءهم وترسمون نبيهم في أبشع الرسومات، وتساندون المسيحيين الأفارقة وتسلحونهم ليقتلوا المسلمين في مالي وإفريقيا الوسطى... ثمَّ تظهرون بمظهر الضَّحيَّة... لا تضحكوا علىٰ أنفسكم فلن يصدقكم إلا الأغبياء والمنافقين فقط»[٢٩٩]. والمشكلة أنَّ العقل الغربيَّ بمجمله يصدقهم. فهم منافقون إذن أو أغبياء وفق **ميشيل أونفري**.

بمثل هٰذه اللهجة والطَّريقة كان كلام الفرنسي **إيدوي بلينال** الذي أثار هٰذه المشكلة من زاويةٍ مشابهةٍ إذ قال: «إنَّ الإسلاموفوبيا بلغت حدًّا لم يعد من الممكن السُّكوت عليه أخلاقيًّا، لأنَّ الأمر أصبح خطيراً ويهدِّد بانهيار النَّسيج الاجتماعي الفرنسي نتيجة تبرير العنف ضدَّ عموم المسلمين»[٣٠٠].

لا يحتاج الأمر معجزة لاكتشاف هٰذه الحقيقة، أعني حقيقة ما الخطر الذي سينجم عن حملة الإسلاموفوبيا متمثلاً في ردود أفعال المسلمين، ففي أواسط عام ٢٠١١م، وليس للمرة الأولى، كما يقول **محمد فال** الباحث في الشُّؤون السِّياسيَّة والاستراتيجيَّة، أدركت المؤسَّسات الأوروبيَّة «ما لم يكن في الحسبان ـ ربَّمَا ـ وهو الخطر الذي باتت ظاهرة الإسلاموفوبيا تمثِّله علىٰ الاستقرار والسِّلم داخل المجتمعات الأوروبيَّة»[٣٠١]. وإذا كانوا فعلاً اكتشفوا ذٰلكَ في عام ٢٠١١م فهٰذا دليلٌ ساطعٌ علىٰ بلاهتهم، وهم ليسوا كذٰلكَ، ولٰكنَّهُم وجدوا أنفسهم وجهاً لوجه أمام ضرورة الاعتراف بهٰذه الحقيقة علىٰ أنَّها اكتشاف لم يكن في الحسبان.

---

[٢٩٩] ـ عادل عبد الله القناعي: **صنع في فرنسا** ـ موقع يمن ٢٤ ـ ٢١/ ١١/ ٢٠١٥م، وقد نشر في مواقع كثيرة تحت عنوان الفيلسوف الفرنسي ميشال أونفري يعترض، ينتقد، يوضح.

[٣٠٠] ـ بوعلام رمضاني: **إيدوي بلينال في كتابه من أجل المسلمين** ـ مصدر سابق ـ ذاته.

[٣٠١] ـ محمد فال ولد المجتبى: **الإسلاموفوبيا القاتلة.. على نفسها جنت أوروبا** ـ مصدر سابق ـ ذاته.

الغرب يدرك مدى ما تولِّده حملاته من تحريضٍ للمسلمين ودفعهم لكراهية الغرب، وهم في الحقيقة بقدر ما يخيفهم ذَلكَ فإنَّهُم يريدون مثل هٰذه الحقيقة لإثبات دعواهم في حقد المسلمين عدوانيتهم التي يصوِّرنها علىٰ أنَّها من دون سببٍ، لتكون وقوداً مقنعاً لحملة الإسلاموفوبيا. في تقرير السَّفير الأمريكي **إدوارد جرجيان** «أوصى بإعادة النَّظر علىٰ نحوٍ جذريٍّ في سياسة التَّعامل الأمريكيَّة مع المسلمين. ورأى التَّقرير المستقلُّ الذي طلبه الكونجرس أنَّ العداء إزاء أمريكا وصل إلىٰ مستوياتٍ مخيفةٍ لدى الرَّأي العام في الدُّول الإسلاميَّة... إنَّ صورة الولايات المتحدة انهارت في هٰذا الجزء من العالم»[٣٠٢]. كان هٰذا منذ نحو خمسة عشر عاماً، ومع ذَلكَ لم تغيِّر الولايات المتحدة سياستها تجاه المسلمين بل كلَّ يومٍ تزداد فَجَاجَةً ووقاحة في استعداء المسلمين والعدوان عليهم وعلىٰ قيمهم ومعتقداتهم... وفي استغبائهم استغباءً فجًّا مضحكاً يوحي بسخف غير مسبوقٍ ولا مقبولٍ.

سابعاً: إقبال الغربيين على الإسلام

النَّتيجة التي رُبَّما لم يتوقَّعوها ولا يريدونها بحالٍ من الأحوال هي الفعل العكسيُّ لفوبيا الإسلام. فبدل أن تحرِّض الغربيين ضدَّ الإسلام والمسلمين تدفعهم للبحث في الإسلام وطبيعته... هٰذا ما حَدَثَ عقب هجمات الحادي عشر من أيلول في أمريكا، فبالتوازي مع الحملة علىٰ الإسلام تصاعد الطَّلب علىٰ الكتب الإسلاميَّة والتَّعريف بالإسلام أضعافاً مضاعفةً، وتضاعفت معها أعداد الدَّاخلين في الإسلام من الأمريكيين. وقد أشار مسؤولون في المجلس إلىٰ مقالة نشرتها

[٣٠٢] . وكالة الأنباء الفرنسية: **تقرير أميركي يوصي بتغيير إستراتيجي نحو المسلمين** . الجزيرة نت ـ الأربعاء ١٤٢٤/٨/٥هـ الموافق ٢٠٠٣/١٠/١م.

صحيفة نيويورك تايمز ٢٠٠١/١/٢٦م «تتحدَّث فيه مؤلِّفة المقالة عن إقبال الأمريكيين علىٰ اعتناق الإسلام بعد الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول، وأنَّ عدد معتنقي الإسلام في بعض المساجد تزايد أربعة مرات منذ ذَلكَ التَّاريخ»[٣٠٣].

الحملة الأمريكيَّة المسعورة علىٰ الإسلام عقب أحداث الحادي عشر من أيلول «فتحت شهيَّة الأمريكيين للقراءة عن الإسلام والتَّعرف عليه والإقبال عليه بأعداد غير مسبوقةٍ ووضع ترجمة معاني القرآن إلىٰ اللغة الإنجليزيَّة علىٰ رأس قوائم الكتب الأكثر مبيعاً في المكتبات الأمريكيَّة... مما دفع مئات المساجد لفتح أبوابها أمام عشرات الآلاف من الأمريكيين»[٣٠٤].

عقب الحملة الكبيرة ضدَّ الإسلام والمسلمين في أمريكا لم يكن يتوقَّع أحدٌ أبداً أن يكون مردود هٰذا التَّشويه والطَّعن مردوداً سلبيًّا أو عكسيًّا، فقد تزايدت أعداد الدَّاخلين إلىٰ الإسلام من الأمريكيين بعد اطلاعهم علىٰ الإسلام البدافع الفضول الذي فرضته حملة فوبيا الإسلام حَتَّىٰ حذر بوضوح مدير اللجنة اليهوديَّة الأمريكيَّة **ديفيد هاريس** «من التَّحدي الذي يمثله اللوبي الإسلامي الأميركي الصاعد للعلاقات الإسرائيليَّة الأمريكيَّة بسبب تزايد عدد المسلمين الأميركيين»[٣٠٥].

هٰذه النَّتيجة ذاتها دفعت بالأوروبيين في أزمة السَّنوات الحاليَّة إلىٰ اتخاذ إجراءات احترازيَّة من أجل عدم تصاعد أعداد الداخلين في الإسلام بالطَّريقة

---

[٣٠٣] . قدس برس: **منظمة إسلامية تنتقد التشكيك اليهودي في تعداد مسلمي أميركا** . الجزيرة نت . السبت ١٤٢٢/٨/٩هـ الموافق ٢٠٠١/١٠/٢٧م.

[٣٠٤] . المصدر السابق . ذاته.

[٣٠٥] . الجزيرة نت: **رداً على حملة التشويه التي تقودها منظمات يهودية أميركية** . الجزيرة نت . الأربعاء ١٤٢٢/٨/٢٠هـ الموافق ٢٠٠١/١١/٧م.

ذاتها فصعَّدت حملة فوبيا الإسلام وفسحت في المجال لليمن المتطرف بالصُّعود وزادت الضُّغوط علىٰ المسلمين. فلقد كشف تقرير المؤتمر العالمي للهيئة البلجيكيَّة عن «ارتفاع الأسلمة في أوروبا خلال العام الماضي ٢٠١١ وعام ٢٠١٠ بنسبة ١٧% لتعد أكبر زيادة يسجِّلها الدِّين الإسلامي في أوروبا»[٣٠٦]. وفي استفتاء علىٰ مستوى القارَّة الأوروبيَّة في عام ٢٠١٢م كانت أشارت النَّتائج إلىٰ أنَّ «قطاعاً كبيراً من الشَّباب أقل من ٣٥ سنة في فرنسا وبريطانيا يرون أنَّ الوجود الإسلامي إثراءً للمناخ الثَّقافي ونقل أوروبا إلىٰ حياة جديدة»[٣٠٧].

وفي مطاع عام ٢٠١٢م كشف تقرير لمؤسَّسة "IFOP" الفرنسيَّة عن تصاعد انتشار الإسلام في أوروبا «بتزايد أعداد الأوروبيين الذين يدخلون الإسلام في السَّنوات العشر الأخيرة»[٣٠٨]. ولهٰذه الأعوام الأخيرة أعوام فورة الإسلاموفيا، أي بدل أن تزيد في إحجام الأوروبيين عن دخول الإسلام فقد زادت من اقترابهم منهم ودخولهم فيه...

وأمام هٰذه الحقيقة قامت بعض الأطراف بحملةٍ إعلاميَّةٍ معاكسةٍ بهدف إلىٰ تكذيب دخول الغربيين في الإسلام علىٰ نحو غير مباشر، منها مثلاً «محاولة واحدة من أكبر منظمات اللوبي الموالي لإسرائيل في

---

[٣٠٦] ـ سي إنترناشيونال: **حول ارتفاع الأسلمة في أوروبا** . تقرير المؤتمر العالمي للهيئة البلجيكية (سي إنترناشيونال) وهي كبرى الهيئات المتخصصة في عمل إحصائيات دولية وخاصة في أوروبا . ٢٠١٢م.

[٣٠٧] . استفتاء مؤسسة "IFOP" الفرنسية التابعة للحكومة الفرنسية في معظم دول الاتحاد بعنوان «كيف يرى الأوروبيون الإسلام؟». في مطالع عام ٢٠١٢م، وفي المقابل في المقابل شنَّ العديد من شباب هولندا وألمانيا حملة التخوف من توسع الإسلام.

[٣٠٨] . استفتاء مؤسسة "IFOP" الفرنسية التابعة للحكومة الفرنسية في معظم دول الاتحاد بعنوان «كيف يرى الأوروبيون الإسلام؟». في مطالع عام ٢٠١٢م.

أمريكا، وهي اللجنة اليهوديَّة الأمريكيَّة، للتَّقليل من أعداد المسلمين الأمريكيين... زاعمةً أنَّ أعداد المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكيَّة مضخَّمة بعدَّة ملايين»[٣٠٩]. هٰذه المحاولة تتجاوز إنكار تزايد عدد الدَّاخلين في الإسلام إلىٰ قراءة ذكيَّة للواقع أوضحها **ديفيد هاريس** في مقالة له في صحيفة جيروزاليم ريبورت الإسرائيليَّة يقول فيها «رقم الستة ملايين له صدىً خاصٌّ... فهٰذا يعني أنَّ المسلمين يفوقون في عددهم اليهود في الولايات المتحدة، وأنَّ هٰذه ركيزة لدعوات إعادة تعريف التراث الأميركي كتراث يهودي- مسيحي- إسلامي»[٣١٠].

السُّؤال الذي أثرناه غير مرَّة يعود ليبرز هنا:

لماذا يخافون من أسلمة أوروبا؟

لماذا يخافون من دخول الأوروبين في الإسلام؟

هل لأنَّ الإسلام سيء كما يزعمون؟

هل هو من باب الحرص عليهم والخوف عليهم كما يوحون؟

ولو كان الإسلام كما يزعمون ويروجون هل كان لغير المسلمين أن يقبلوا عليه هٰذا الإقبال الذي تقدمه دراساتهم هم أنفسهم لا غيرهم؟

الغرب نفسه يقدِّم تناقضاته علىٰ طبق من ذهب فتقرير المؤتمر العالمي للهيئة البلجيكيَّة ذاته يعترف أن تزايد دخول الأوروبيين في الإسلام ناجم عن

---

[٣٠٩] . قدس برس: **منظمة إسلامية تنتقد التشكيك اليهودي في تعداد مسلمي أميركا** . المصدر السابق . ذاته.

[٣١٠] . المصدر السابق . ذاته.

«الثَّقافة الإسلاميَّة التي تجتاح أوروبا»[٣١١]، علىٰ الرَّغْمِ من كلِّ حملات الكراهية والتَّنفير والتَّشويه والإساءة!

فكيف يتَّسق ذٰلكَ مع المنطق؟

يتابع التَّقرير ذاته مشيداً «بالأعمال الإيجابيَّة التي تقوم بها المساجد في أوروبا مثل فتح أبوابها من أجل استقبال المتشردين، وفتح مدارس، ونشر الثَّقافة الإسلاميَّة، وعمل صحف وقنوات بكلِّ اللغات لوصول الدِّين الإسلامي إلىٰ الجميع، ونشرها بصورةٍ يشيدُ بها الأوروبيون...»[٣١٢].

بعد هٰذه الإجابة المقتضبة هل نحتاج إلىٰ توضيح؟

أليس مثل ذٰلكَ ما تفعله الكنائس النَّصرانيَّة في أوروبا وأمريكا وبلاد المسلمين؟

فلماذا يقبلون علىٰ الإسلام ولا يقبلون علىٰ غيره أو يتركون غيره؟

موضوعيون يلقون ضوءاً

ألمحنا غير مرَّة إلىٰ ضرورة التَّمييز بَيْنَ القاعدة والاستثناء، بَيْنَ العام والخاص، بَيْنَ أن يوجد في الغرب من يعترض علىٰ هٰذه السِّياسة المعادية للإسلام من دون سبب مقنع وبَيْنَ أنَّ العقليَّة الغربيَّة بالمجمل والتَّفصيل هي عقليَّة معادية للإسلام من دون سببٍ مقنعٍ أو سببٍ موجبٍ.

يوجد كثيرٌ من الغربيين عدداً لا نسبة متذمِّرون من هٰذه العقليَّة الغربيَّة بل من السِّياسة الغربيَّة تجاه الإسلام، ويدحضون ويفنِّدون مزاعم ساسة الغرب في هٰذه السِّياسة، ولٰكنَّهُم مهما بلغ عددهم فهم قلَّةٌ قليلةٌ نادرةٌ لا تشكل أبداً نسبة يوقف عندها إحصائيًّا.

---

[٣١١] . سي إنترناشيونال: **حول ارتفاع الأسلمة في أوروبا** . المصدر السابق . ذاته.

[٣١٢] . المصدر السابق . ذاته.

رداً علىٰ حملات الافتراء والتَّشويه ضدَّ الإسلام والمسلمين في عام ٢٠٠٢م، وعلىٰ الفيلسوف الفرنسي **أندريه لكوكسمان** الذي أعلن تضامنه الكامل مع الإجراءات الأمريكيَّة ضدَّ **ابن لادن** وتنظيم القاعدة، وذهب إلىٰ حدِّ القول: نحن جميعاً أمريكيون، كتب المفكر الإسباني **ميشيل ديل كاستيلو**[٣١٣] في لوموند الفرنسيَّة مقالاً بعنوان: أنا مسلمٌ؛ أعتزُّ بالتُّراث الإسلامي، والمسلمون مدرسة في التَّسامح والتَّعايش.

مما قاله **كاستيلو**: «حزني واشمئزازي لا يجعلانني مع ذَلكَ متضامناً مع أمريكا وسياستها. هل نحن جميعاً أمريكيون؟ لا.. ليس أنا.. لست أمريكيًّا ولم أكن ذات يوم أمريكيًّا ولن أصبح ذات يوم أمريكيًّا. أنا أوروبي من الجنوب، نصفي أندلسيٌّ أي نصفي مسلمٌ، وأعرف جيِّدا ما تدين به قارتنا العجوز للإسلام الإسباني ولاسيِّما العودة إلىٰ العقل اليوناني»[٣١٤].

وتابع في فكرةٍ مهمَّةٍ وخطيرةٍ جدًّا قال فيها: «ولم يكتف المسلمون في إسبانيا بفتح فضاءٍ للعقل... بل وعلىٰ مدىٰ خمسة قرون كان الخلفاء والأمراء مدرسةً للتَّسامح **وتولُّوا حماية اليهود واحتضنوا المسيحيين وأنشأوا نظاماً للتَّعايش بعيداً عن كلِّ تعصب**. ولهٰذا التُّراث، لا أقبله فحسب بل أعلن اعتزازي الكبير به»[٣١٥].

[**٣١٣**] . ولد الكاتب سنة ١٩٣٣ في مدريد من أب فرنسي وأم اسبانية وحاز سنة ١٩٨١ على جائزة »رينودو» الأدبية.

[٣١٤] . ميشيل ديل كاستيلو: **أنا مسلم، أعتز بالتراث الإسلامي والمسلمون مدرسة في التسامح والتعايش** . ترجمة صحيفة تشرين . صحيفة تشرين . دمشق . الثلاثاء ٢٢ كانون الثاني ٢٠٠٢م.

[٣١٥] . المصدر السابق . ذاته.

هنا يضعنا **كاستيلو** وجهاً لوجه أمام الحقيقة المرَّة القاسية جدًّا وهي أنَّ الإسلام والمسلمون كانوا في غاية الرُّقيِّ والحضارة والتَّسامح مع اليهود والمسيحيين عبر التَّاريخ... فلماذا هٰذا الحقد عليهم وعكس الحقيقة وقلبها؟ ونتذكر قول چوستاف لوبون الشهير جدًّا: «ما عرف التاريخ فاتحاً/ غازياً أرحم من المسلمين». ومع وضوح ذٰلكَ وضوحاً غير قابل للدَّحض أو الشَّك فإنَّ الغرب يقلب الحقيقة ويصوِّر المسلمين بعكس ما هم لتسويغ حربهم عليهم. محاربة الإسلام والمسلمين باتهامهم اتهاماتٍ باطلةٍ وتشويه حقيقتهم بهٰذا الضَّخ الشَّديد. ولذٰلك يجد **كاستيلو** مناصاً من إعلان الحداد والحزن بقوله: «وإنَّني اليوم يداهمني الحزن. فالأسوأ يبدو فجأة مسموحاً به والشَّتائم الكريهة... والجنون العنصري **لسيلڤيو بيرلسكوني** حين أكَّدَ تفوُّق الحضارة الغربية علىٰ الحضارة الإسلامية، وتعليقات الرَّئيس **بوش** حول حملة صليبية لقوى الخير ضد قوى الشر، والصَّلافة الصَّارمة الشَّرسة **لآرييل شارون** الذي يبدو سعيداً بإذلال وتحقير الآخرين»[٣١٦].

أنموذجٌ آخر نقف عنده وقفةً سريعةً هو عضو الكونچرس الأمريكي **مارك سيلجاندر** الذي نشر عام ٢٠٠٩م كتاباً بعنوان: سوء فهم قاتل. تحدث فيه علىٰ أكثر من فكرة، منها ما أتينا علىٰ شبهه في غير هٰذا الموضع، فقد «جمع ٢٠٠ من كبار المبشرين المسيحيين في إحدى الكنائس بولاية فيرجينيا، وقال لهم إنَّهُ سيتلو علىٰ مسامعهم ما جاء في الكتاب المقدس بشأن المسيح، من دون أن يبلغهم من أي كتاب مقدس سيتلو، فاعتقدوا أنَّهُ سيتلو عليهم من العهد الجديد

[٣١٦] . المصدر السابق . ذاته.

(الإنجيل)، لَكنَّهُ تلا عليهم ترجمة الآيات (٤٥-٥٠) من سورة آل عمران، التي جاء فيها (إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيْحُ عِيْسَىٰ بنُ مَرْيَمَ وَجِيْهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِيْنَ. وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِيْ الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِيْن. قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُوْنُ لِيْ وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِيْ بَشَرٌ قَالَ كَذٰلِكِ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْن)... إلىٰ آخر الآيات. ويشير **سيلجاندر** إلىٰ أنَّهُ عندما كان يتلو عليهم ترجمة هٰذه الآيات كانت مظاهر الارتياح والسَّعادة باديةٌ علىٰ وجوه المبشرين الذين كانوا يسبحون الرَّب، لَكنَّهُ سرعان ما صعقهم، عندما قال لهم: (هل تدرون أنَّ الآيات التي تلوتها كانت من القرآن وليست من الإنجيل)، مشيراً إلىٰ أنَّ صمتاً أطبق علىٰ المكان وشعر المبشرون بالحرج الشَّديد ولم يستطيعوا الرَّدَّ ولو بكلمة واحدة»[٣١٧].

الطَّريف في **سيلجاندر** أنهَّ كما قال هو ذاته «كان يشعر بعداءٍ شديدٍ للإسلام والقرآن لدرجة أنَّهُ أرسل في العام ١٩٩٨م رسالة احتجاجٍ شديدة اللهجة للبيت الأبيض لأنَّهُ سُمِحَ بتلاوة آيات القران الكريم في احتفال إفطار نظمه الرَّئيس الأسبق **بيل كلنتون** لعددٍ من ممثلي الجالية المسلمة في واشنطن»[٣١٨]. وهو أصلاً من منظِّري اليمين الأمريكي المتطرف أو المحافظين الجدد، وكان منافساً **لنيوث جينجريتش** الذي كان زعيماً للحزب الجمهوري والذي من المتوقع أن ينافس علىٰ ترشيح الحزب للرِّئاسة في الانتخابات الرِّئاسيَّة القادمة.

---

[٣١٧] . صالح النعيمي: **سيلجاندر والقرآن؛ شهادة من العيار الثقيل** . موقع الكاتب صالح النيعمي؛ في السياسة والناس. ٢٦ /٩/ ٢٠٠٩م.

[٣١٨] . المصدر السابق. ذاته.

ومما قام به **سيلجاندر** في كتابه هو أنَّهُ «هاجَم بشدَّة ازدواجيَّة المعايير لدى الغرب ومنظِّريه وتحديداً مستشرقيه الذين يهاجمون الإسلام بسبب الآيات التي تتحدث عن الجهاد، مشيراً إلىٰ أنَّ كلمة (الجهاد) وردت في النُّسخة الأصليَّة للإنجيل باللغة الآراميَّة. وأشار إلىٰ أنَّ تركيز الغرب علىٰ ما يسميه بالآيات التي تحث علىٰ (العنف)، وتحديداً التي وردت في سورة التوبة تدلُّ علىٰ النِّفاق الغربي، مشيراً إلىٰ أنَّ منظِّري الغرب يتجاهلون ما جاء في الإنجيل إذ ورد علىٰ لسان المسيح: (اذهب إلىٰ قرية كنعان اقتل الرِّجال والنِّساء)، وما جاء في سفر صموئيل من العهد القديم (التوراة)، إذ جاء: (اقتل قوم علقيم، اقتل الرِّجال والنِّساء والأطفال، لاتترك بقراً أو حميراً)»[٣١٩].

علىٰ أيِّ حال، هٰذان أنموذجان من نماذج كثيرة عدداً استثنائيَّة النُّدرة بالنِّسبة. علىٰ قلتها وندرتها تكشف الحقيقة الفاضحة للإسلاموفوبيا وهي أنَّهَا افتراءٌ صريحٌ وتضليلٌ وكذبٌ لا لبس فيه؛ تشويه الإسلام والمسلمين واتهامهم زوراً وباطلاً بما ليس فيهم وليس منهم من مفاسد ومساوئ وأخطاء وجرائم...

[٣١٩] . المصدر السابق . ذاته.

الفصل الخامس

الإسلاموفوبيا واللاجئون المسلمون

عندما بدأت هٰذا البحث في مطالع عام ٢٠٠٠م طلبت من الأمين العام المساعد للحزب في سوريا بوصفة رئيس لجنة/ جمعيَّة المغتربين العرب بعض المساعدة في الحصول علىٰ ما توافر لديهم من إحصاءاتٍ ومعلوماتٍ لاستكمال بحثي وإتمامه فوافقني وأحالني إلىٰ الموظف المختص...

كثيرون في أرجاء العالم من مختلف الجنسيات والشُّعوب والملل والنِّحل يعتقدون اعتقاداً واهماً مفاده أنَّ الدُّول التي تستقبل اللاجئين أو تقبلهم إنَّما تفعل ذٰلكَ مِنَّةً وتفضُّلاً، ولذٰلك علىٰ اللاجئ أن لا يقصِّرَ في الشُّكر والعرفان والامتنان والطَّاعة ورُبَّما الخضوع والخنوع للدَّولة التي تتفضل عليه بمنحه حق اللجوء... ورُبَّما أن يصلِّي كلُّ يوم ركعتين للدَّولة التي تفضَّلت عليه.

رُبَّما من الطَّبيعيِّ أو المقبول من النَّاس عامَّةً اعتقاد هٰذا الاعتقاد والتَّصرف علىٰ أساسه استناداً إلىٰ جهلهم من جهةٍ ضعيفة الحضور، وإلىٰ ضعفهم ومسيس حاجتهم؛ الأمران اللذان يسلبان الناس القدرة علىٰ التَّفكير القويم من جهةٍ أولىٰ والقدرة علىٰ المواجهة من جهة ثانية.

المفارقة المضحكة في هٰذا الإطار هي أنَّ الدول ذاتها تعتقد هٰذه العقيدة. وعلىٰ هٰذا الأساس تمارس هٰذه الدُّول الاستفزاز والضَّغط علىٰ اللاجئين كي تفرض عليهم التبيوء والاندماج والتَّخلِّي عن قناعاتهم ورُبَّما عقائدهم من أجل استمرار البقاء في ظلِّ الحماية التي يفتقرون إليها ويبحثون عنها. بل إنَّ بعض

الدول تمارس مثل هٰذه الضغوط لأغراض خبيثة... وعلىٰ أيِّ حالٍ يظلُّ اللاجئون ضعفاء مسلوبي الإرادة أمام أبسط حقوقهم؛ حقوقهم لا فضائل تخلع عليهم ولا هبات.

اللجوء بَيْنَ الجد والتهريج

جنون وهستريا تجتاح أروقة السِّياسة الأوروبيَّة وكواليسها في الفترة الأخيرة[٣٢٠]. ما يحدث مريب مرعب يدعو إلىٰ الجنون والرعب والهلع والاستنفار بكل الطاقات والملكات والقوى المادية والمعنوية والبشرية... هناك أرقام خيالية مهولة من المهاجرين الأفارقة والأسيويين دخلت إلىٰ أوروبا في الفترة الأخيرة، فحسب إحصاءات مؤسسات الأمم المتحدة منذ بداية ٢٠١٥م إلىٰ اليوم دخل أكثر من مئة أربعين ألف مهاجر إلىٰ أوروبا.

الرقم هائل، مذهل، مدهش، مرعب... هل يمكن لأحد أن يصدق أن أوروبا الصغيرة الضيقة، الرقيقة أن تحتمل مئة وأربعين ألف مهاجر؟ نتحدث عن مئة وأربعين ألف بني آدم... يعني أنهم سيسببون مجاعة لأوروبا، وأزمة مواصلات، وأزمة كهرباء، وأزمة ماء، وأزمة سكن...

حقيقةً إنَّ الأمر يدعونا للإشفاق علىٰ الأوروبيين شعوباً وحكومات، ويفرض علينا التعاطف معهم، ودعوة الأمم المتحدة إلىٰ الإسراع في تشريع إجازة قصف قوارب المهاجرين وإغراقهم بلا رحمة... وقد فعلوا ذٰلكَ مراراً.

يجب أن نراعي وضع أوروبا المحرج، وفقرها، وصغرها أمام هٰذا العدد الهائل من المهاجرين الذي يربك الدول الكبرى والعظمى. وحَتَّىٰ لا نجور عليها وحَتَّىٰ لا

[٣٢٠] ـ هٰذه الفقرة مقتطفات من مقال لي كتب في ٢٠١٥/٧/٢٨م يوم إعلان القلق الأوروبي من تدفق اللاجئين، ونشر في ٣ / ٨ / ٢٠١٥م في الهيئة السورية للإعلام.

نظلمها فهي كلها دول صناعيَّة، الدَّخل القومي لأقلِّ دولة منها يعادل دخل الوطن العربي مجتمعاً فقط الذي يزيد عدد سكانه عن أربعمئة مليون!!! فكيف يمكن لهذه الخمس وعشرين دولة أن لا تتكركب وتتكهرب وتتنرفز وتتوتر من مئة وأربعين ألف مهاجر؟!!

ونجد العذر للدول الأوروبية الخمس وعشرين إذا ما قارناها بدولٍ عظمى وما تحتويه من لاجئين. يعني مثلاً الإمبراطورية الأردنية العظمى التي يبلغ عدد سكانها ستة ملايين بني آدم، لا تستضيف إلا فقط أقل من مليونين ونصف لاجئ. والإمبراطورية الأردنية مساحتها أصغر من أي مقاطعة في أيِّ دولةٍ أوروبية.

الإمبراطورية اللبنانية العظمى أيضاً على الرَّغْمِ من إمكاناتها الأسطورية فإنَّهَا لا تستضيف أكثر من ثلاثة ملايين لاجئ. علماً أنَّ عدد سكانها هائل لا يقل عن أربعة ملايين. ومساحتها بالكاد تكون حيًّا في ولايةٍ بأيِّ دولة أوروبية.

لم يكن هٰذا فيلماً فانتازيًّا كان واقعاً حقيقيًّا. هٰذا الواقع الفانتازي التَّهريجي هو نتيجة طبيعية للقناعات التي تقوم عليها اعتقادات هٰذه الدول والشُّعوب في التعامل مع اللاجئين، علماً أنَّ أصل حق اللجوء لا يسمح بذٰلكَ، وحَتَّىٰ التشريعات الدولية التي وقَّعت عليها هٰذه الدول لا تسمح بذٰلكَ. وهما أمران لا بُدَّ منهما لإمكان المقارنة بَيْنَ أزمتي اللجوء قبل الربيع العربي وبعده

أصول حق اللجوء

أصلُ أصول حقِّ اللجوء أنَّهُ أمر إلٰهي صريحٌ لا لبس فيه، جاء في القرآن الكريم بأمرٍ صريحٍ تمام الصَّراحة، حَتَّىٰ لغته في إقرار حقِّ اللجوء بل فرضه تكاد

تنطق بلسان حقوق الإنسان المعاصرة، فقد جاء في محكم التنزيل قوله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ}[٣٢١].

هٰذه الآية القرآنيَّة تتجاوز كلَّ التَّشريعات البشريَّة رأفةً ورحمةً ورفقاً باللاجئين، وتفرض للاجئ حقًّا إلهيًّا لا شكَّ فيه أبداً، بل إنَّ التجاوز في هٰذا الأمر الإلهي أنَّهُ يفرض علىٰ دولة الإسلام أن تجير الكافر أو المشرك إذا استجار بها، وهو عدوٌّ من عدوٍّ، وليس هٰذا فحسب بل إنَّ الله تعالى يمنع إعادته إلىٰ من يطلبه ويأمر بإيصاله إلىٰ مكان آمن له {ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ}.

لا يبدو في الآية الكريمة ما إذا كان اللاجئ لاجئاً لخوف أو جوع أو غيره، فالصريح أنَّهُ مستجير، أي لاجئ، وإبلاغه مأمنه لا يعني أنَّهُ لاجئ خوفاً من شيء ما، بدليل قوله تعالى: {الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ}[٣٢٢]، فالأمن مرتبط بالخوف، وفي هٰذا كلام يطول ليس هٰذا موضعه. فإذا افترضنا أنَّ المقصود هنا فقط هو اللاجئ خوفاً، أي ما يعادل اللجوء السِّياسي، فإنَّ اللجوء الإنسانيَّ؛ أي بسبب الفقر أو الجوع أو ما شابه ذٰلكَ، مكرَّرٌ في القرآن الكريم كثيراً تحت اصطلاحي (ابن السبيل، والسائل) منها علىٰ سبيل المثال قوله تعالى: {وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ}[٣٢٣]، وفي سورة الأنفال يأمل الله تعالى بتخصيص جزء

---

[٣٢١] ـ القرآن الكريم ـ سورة التوبة ـ الآية ٦.

[٣٢٢] ـ القرآن الكريم ـ سورة قريش ـ الآية ٤.

[٣٢٣] ـ القرآن الكريم ـ سورة البقرة ـ الآية ١٧٧، وفي الآية ٢١٥، وفي سورة النساء الآية ٣٦، وسورة الإسراء الآية ٢٦، وسورة الروم الآية ٣٨.

من (بيت المال) لأبناء السبيل، فقال تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ}[٣٢٤]، وفي سورة التوبة يجعل الله تعالى حقَّ ابن السبيل {فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ}[٣٢٥]. لتكون آخر آية في هٰذا الإطار هي قوله تعالى: {وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ}[٣٢٦].

هٰذا موضوع يطول الكلام فيه، حسبنا منه ما وقفنا عنده. علىٰ أنَّ ما تجب الإشارة إليه هنا هو أنَّهُ طالما أن الله تعالى قرر ذٰلكَ في القرآن الكريم فقد قرره في الشَّرائع السَّابقة بصيغة أو بأُخْرَىٰ، حَتَّىٰ منها الشرائع أو العقائد أو الأديان الأسطورية التي لم تكن إلا إعادة إنتاج تشريعات إلهية سابقة عليها.

فإذن انتقلنا إلىٰ شريعة حمورابي التي تسمى أقدم تشريع بشري، التي تعود إلىٰ نحو خمسة آلاف عام وجدنا أنَّ حمورابي قد ألمح إلىٰ حق اللجوء عَرَضاً فيما وصلنا من نصوصه[٣٢٧]. فقد كان سكان بابل من أعراق مختلفة منذ الأزمان المبكرة ولا يخلو أن يكون بعض منهم ممن تنطبق عليهم صفة اللجوء باصطلاحنا المعاصر؛ إنساني أو سياسي. وقد نصَّ القانون البابلي علىٰ السَّماح للأجانب بدخول المدينة بما لا يزيد عن العشرين فرداً معاً دفعةً واحدةً، تحسباً أمنيًّا فيما يبدو.

---

[٣٢٤] . القرآن الكريم . سورة الأنفال . الآية ٤١.

[٣٢٥] . القرآن الكريم . سورة التوبة . الآية ٦٠.

[٣٢٦] . القرآن الكريم . سورة الضحى . الآية ١٠.

[٣٢٧] . للتوسُّع في شريعة حمورابي فيما يخص هٰذا الموضوع وسواه يمكن الرجوع إلىٰ: الدكتور عزت السيد أحمد: **المذاهب الاقتصادية الكبرى** . جامعة تشرين/ اللاذقية . ٢٠٠٦م، والدكتور شفيق الجراح: **دراسات في تاريخ الحقوق؛ المؤسسات الحقوقية في بابل** . دمشق . ط٢.

إذا كان لا يبدو فيما سبق ما يجب من حقوق علىٰ الدولة تجاه الأجنبي اللاجئ فإنَّ الكلام علىٰ لجوئه عام غير محدَّد، أي كأيِّ أجنبي داخل إلىٰ الدولة يعامل معاملة المواطن، وتتضح الصورة أكثر في حديث تشريع حمورابي عن ثلاث طبقات الوسطى منها تسمى الأميلو التي لم تحدد تحديداً واضحاً مثل طبقتي الأثرياء والعبيد، ولٰكنَّهَا فيما يبدو تضمُّ فيمن تضم لاجئين أجانب أو من مناطق أُخْرَىٰ في الإمبراطورية، هٰؤلاء تضمحل حقوقهم السياسية ولٰكنَّ حقوقهم المدنية والاقتصادية قد تمتاز علىٰ غيرهم فمن حقِّهم الحصول علىٰ تعويض مالي عن الإصابات والأضرار التي تلحق بهم، ويدفعون غرامات أقل وضرائب أقل، والأضاحي التي يقدمونها تكون أقل...

علىٰ غرار هٰذه العيِّنة من التَّشريع الحمورابي، يمكن أن نستخرج حقوق اللجوء من مختلف الشَّرائع القديمة السَّابقة علىٰ الأديان السَّماوية الثلاثة، آخذين يعين الحسبان مشكلات الترجمة عن اللغات القديمة ومدى مصداقيتها ودقتها، وفقدان أجزاء كثيرة من النصوص... مثل العقدية الآشورية علىٰ سبيل المثال التي جاءتنا نتفاً متناثرة منها ما يوجبه الإله علىٰ الملك أو الأمير من «حفظ العدالة والتمسك بالحق ومنع ظلم القوي للضعيف...» [٣٢٨].

خلاصة القول هنا، والكلام فيه طويلٌ يستحقُّ وقفات موسَّعة منوَّعة، أنَّ حقَّ اللجوء وواجبات الدولة تجاه اللاجئ لأيِّ سبب، فريضة إلٰهيَّة وليست منَّةً ولا منحةً ولا هدية سواء أقرَّتها تشريعات البشر أم تقرها، وهي علىٰ أيِّ حالٍ

[٣٢٨] . ول. ديلاپورت: **بلاد ما بَيْنَ النهرين؛ الحضارتان البابلية والآشورية** ترجمة محرم كمال . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٧م . ص٣١٧.

موجودة بصيغة أو بأُخْرَىٰ في مختلف الشرائع السماوية والعقائد الأسطورية السَّابقة علىٰ الأديان السَّماوية الثلاثة. وموجودة في عادات الشعوب وأعرافها وتقاليدها. ومن ثمَّ فإنَّ اللجوء بسبب خوفٍ ما حقٌّ للإنسان، بل إنَّ الله تعالى كما أوجب الدولة تأمين الخائف وتبليغه مأمنه فقد أوجب علىٰ الخائف الهروب واللجوء إلىٰ غير من يخاف منهم بقوله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوَا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا}[٣٢٩].

أن تعمل الدول بذَلكَ أو لا تعمل هي مسألة مختلفة فيما يبدو. هناك تشريعات تسمَّى تشريعات دولية، وهناك تشريعات الدول، أي تشريعات كل دولة علىٰ حدة.

لن نطيل في هٰذه التَّشريعات الدولية العامة والخاصة فلها تفاصيلها التي يمكن الرجوع إليها للمستزيد. هٰذه التَّشريعات الدَّوليَّة في حقِّ اللجوء وواجبات الدُّول تجاه اللاجئين لم تأت من فراغ ولا من اجتهادات الفلاسفة ولا من مشاعرهم الإنسانية الفياضة كما يزعمون أو يوحون... وإنما هي من الإرث الإنساني المتوارث منذ آلاف السنين، العائد في أصله إلىٰ الأوامر الإلهية في الشرائع السابقة. وأضيفت إليها، في نظري، دوافع ونوازع سياسية، فشملت الاتفاقية الأولى[٣٣٠] ثمَّ الملحق[٣٣١] علىٰ هٰذا الأساس مختلف أنواع التهديد مثل

---

[٣٢٩] . القرآن الكريم . سورة النساء . الآية ٩٧.

[٣٣٠] . اتفاقية جنيف لحقوق اللاجئين التي اعتمدتها الأمم المتحدة عام ١٩٥١م ووقَّعت عليها كثير من الدول.

[٣٣١] . أضيف برتوكول ملحق إلىٰ هٰذه الاتفاقية عام ١٩٦٧م تضمن النزعات والحروب الداخلية والاحتلال وما شابه ذلك... لمزيد من التفاصيل في هٰذه الاتفاقية انظر علىٰ سبيل المثال: محمود السيد حسن حسن:

الخوف، الاضطهاد، التَّمييز، العرق، الدين، الانتماء، الرأي السياسي، النزاع المسلح مثل عدوان خارجي، احتلال أو سيطرة أجنبية، اضطرابات تضع البلد كله أو بعضه في خطر...

عوامل الجذب والطرد

ثَمَّة مسألة مهمَّةٌ وخطيرةٌ يجب تسليط الضَّوء عليها في إطار النَّظر في أزمة اللجوء قبل الرَّبيع العربي وبعده، وهي جزء أساسيٌّ من أزمة اللجوء في الطورين. إنها عوامل الجذب والطرد؛ عوال الجذب الأوروبيَّة أو دول الشَّمال، وعوامل الطرد في العالم الثالث أو دول الجنوب.

ما لا يمكن تجاهله هو أنَّ أزمة اللاجئين ليست أزمة لجوء سياسي أو إنسانيٍّ فقط وإنَّما هي أزمة مهاجرين عامَّة ناجمة عن الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتناقضة بَيْنَ دول الجنوب ودول الشَّمال. ففي حين أنَّ لهٰذه الظروف في دول الجنوب تنفِّر المواطنين وتدفعهم إلىٰ التفكير في الهجرة والاغتراب فإنَّ لهٰذه الظروف في دول الشَّمال تشكِّل عوامل جذب للشباب من دول الجنوب، ومن ثمَّ اللجوء لأنَّهُ لا يوجد إمكانية لقبولهم في دول الشَّمال إلا تحت شروط اللجوء ومعطياته. فعلىٰ «امتداد العقود التي أعقبت مباشرة تَعَافِيَ القارة العجوز من آثار الحربين، تحولت أوروبا . بفضل ازدهارها اقتصاديًّا واستقرار أوضاعها السياسية وانفتاح مجتمعاتها ظاهريًّا . إلىٰ مركز جذب استقطب أعدادا هائلة من المتعطشين لتحصيل معرفي متميز والطامحين إلىٰ وضع

حماية اللاجئين إبان النزاعات المسلحة . مجلة السياسة الدولية . العدد ١٦٢ . تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٥م.

اقتصادي أفضل، والفارين بكرامتهم . وبحياتهم أحيانا . من أنظمة الطغيان المستبدة بالأمور في كثير من بلدان العالم شرقاً وغرباً»[٣٣٢].

في ظلِّ هٰذه الظروف في دول الشمال ودول الجنوب لم يتجه إلىٰ اللجوء الذين فقط يحتاجون إلىٰ اللجوء وإنَّما جماهير غفيرة من الشَّباب والكفاءات العلميَّة والفنيَّة والعاطلين عن العمل وغيرهم من الباحثين عن فرص حياة أو عمل أفضل وممن يطمحون إلىٰ حياة أكثر جمالاً وحريَّة وراحة وأريحيَّة وحَتَّىٰ متعةً.

هٰذه الجماهير الرَّاغبة في الهجرة تحت مسمَّى اللجوء ممن لا يحققون شروط اللجوء ولا تهدد حياتهم الملاحقة السياسيَّة أو الأمنية أو الجوع... موجودون قبل الربيع العربي وبعده، وازداد عددهم طرداً مع ازدياد الضغوط علىٰ المحتاجين إلىٰ اللجوء. وهٰذا في حقيقة الأمر ما أدى إلىٰ مشكلاتٍ كثيرةٍ وكبيرةٍ ومتنوِّعةٍ. ولٰكنَّ «هٰذه الصورة المشرقة لأوروبا كأرض لجوء واستقبال، تعرضت لانتكاسةٍ واضحةٍ خلال العقود الأخيرة بفعل عوامل الطَّرد الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة التي تراكمت تباعاً وتفاقمت آثارها علىٰ نحوٍ متسارعٍ خلال العقدين الأخيرين، حين بدا جليًّا أنَّ المجتمعات الأوروبية التي تباهت دوماً بشعارات الديمقراطية والتسامح والانفتاح لم تكن في الواقع مهيأةً بما فيه الكفاية للتَّفاعل الإيجابي مع مقتضيات العولمة، وخصوصاً ما يتعلق بمستويات التنوع والاختلاف التي لا عهد لتلك المجتمعات بها»[٣٣٣].

---

[٣٣٢] . محمد فال ولد المجتبى: **الإسلاموفوبيا القاتلة.. على نفسها جنت أوروبا** . مصدر سابق . ذاته.

[٣٣٣] . محمد فال ولد المجتبى: **الإسلاموفوبيا القاتلة.. على نفسها جنت أوروبا** . مصدر سابق.

اللجوء والانتقائية

لم تكن دول الشَّمال تجهل حقيقة أنَّها دول جاذبة وأنَّ غالبية المهاجرين يهاجرون إليها رغبة فيها لا رهبة من واقعهم. وعلىٰ الرَّغْمِ من أنَّ قوانين هٰذه الدول تميز بَيْنَ المهاجرين واللاجئين، وعلىٰ الرَّغْمِ من أنَّها شرَّعت من الكثير القوانين لاستقدام أنماط محددة من المهاجرين تتمثل بمستوى معين من الكفاءات[٣٣٤] فإنَّ المهاجرين لم يجدوا غير سبيل طريقة اللجوء للإقامة في دول الشَّمال، الأمر الذي جعل الأوراق تظلُّ مخلوطةً بل تزداد خلطاً.

هٰذه المسألة في حقيقة الأمر هي نقطة انطلاق أزمة اللاجئين قبل الربيع العربي. وهي مسألة معقدة وطويلة نقف عند أبرز ملامحها وقفات سريعة:

أولاً: إنَّ ما يبدو من إحسان واستيعاب للاجئين والمهاجرين اللاجئين من قبل دول الشَّمال نابعٌ أساساً من الحاجة الغربية الماسة إلىٰ ترميم الهرم السكاني وتدعيمه وليس بناء علىٰ قوانين اللجوء ولا علىٰ أساس القيم الإنسانية والأعراف التاريخية في حماية اللاجئين. أنا أتحدث عن سياسة الدولة لا عن مشاعر المواطنين وعواطفهم وتعاطفهم. «وقد قدر مشروع أشرفت عليه الأمم المتحدة سنة ٢٠٠٠م أنَّ الدول الأوروبية تحتاج توازنًا ديموجرافيًّا نتيجة شيخوخة سكانها،

[٣٣٤] ـ الأمثلة علىٰ هٰذه التشريعات كثيرة بدأت بالتدفق في أرجاء دول الشمال في عام ٢٠٠٠م علىٰ مدار خمس سنوات تقريباً لتتوقف فجأة، منها علىٰ سبيل المثال **اليابان التي هي من هي في الانغلاق أعلنت في ٢٠٠١/١/١٠م أنها تتجه إلى تخفيف** قيود الهجرة المفروضة لتسمح بدخول خبراء تكنولوجيا المعلومات الأجانب إلى البلاد. وفي ٢٠٠١/١/٢٢م أعلن رئيس الوزراء الأسترالي جون هوارد أن حكومته القيود على هجرة خبراء الكمبيوتر إلىٰ استراليا.

وأنَّ ذَلكَ يمكن أن يتمَّ عبر استقدام ما يقدر بحوالي ٩٤٩ ألف مهاجر، وذَلكَ للحفاظ علىٰ عدد سكانها، أو إلىٰ المليون والنصف مليون للمحافظة على نسبة السكان الذين هم في سن العمل، وتصل حاجة أوروبا إلىٰ ١٣,٥ مليون مهاجر للحفاظ على مجتمع متوازن غير مختل التركيبة بَيْنَ الشيوخ والشباب».[٣٣٥] وهٰذا الأمر ذاته هو «مما يزيد من الهواجس الأوروبية تجاه المهاجرين علىٰ نحو عام والمسلمين علىٰ نحو خاص، الإحصاءات المستقبلية المتعلقة بالتركيبة السكانية لدول القارة خلال العقود المقبلة، وفي هٰذا الصدد أشارت إحدى الدراسات علىٰ سبيل المثال إلى أن حوالي ٤٥% من سكان أمستردام عام ١٩٩٩م كانوا من أصول أجنبية، وهى نسبة يتوقع ارتفاعها بحلول عام ٢٠١٥ إلى ٥٢% معظمهم من المسلمين، خاصة في ضوء أن المهاجرين المسلمين لديهم عامة معدلات مواليد أعلى من السكان الأوروبيين المحليين. كما أنَّهُ من المتوقع أن يرتفع عدد المسلمين لكي يمثلوا ما بَيْنَ ٢٠ إلى ٩٠% من تعداد السكان في بعض أحياء المدن في بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطالي وأسبانيا»[٣٣٦].

ثانياً: الدُّول الغربية التي تدرك مدى الحاجة إلىٰ ترميم هرمها السكاني، وتدرك مدى الاندفاع من الشَّباب في العالم الثالث للهجرة إلىٰ دول الشَّمال لم تفتح الباب للهجرة ولا للجوء، وإنما جعلته تحت الضَّبط والسَّيطرة، بل إنها عمدت إلىٰ الانتقائية في خصائص المهاجرين، وإذا تتبعنا القوانين الصادرة في دول الشَّمال منذ مطالع القرن الحادي والعشرين وجدنا مدى تركيز هٰذه القوانين علىٰ كفاءات محددة تبعاً لاحتياجات كل دولة. صحيح، كما يرى السياسي

[٣٣٥] . تيموثي سافيج: **أوروبا والإسلام؛ الهلال المتنامي وصدام الثقافات** . مصدر سابق . ذاته.

[٣٣٦] . محرر ديانات: **أسلمة أوروبا؛ حدود الوهم ومؤشرات الواقع** . مصدر سابق . ذاته.

والباحث الأمريكي تيموثي سافيج[٣٣٧] أنَّ موجات الهجرة إلىٰ أوروبا لا ترجع إلىٰ حاجة أوروبا إلىٰ الأيدي العاملة وإنما إلىٰ سوء الأوضاع في الشرق الأوسط فإنَّ أوروبا تحتل أدنى مرتبة في العالم من حيث الخصوبة، وتقدِّر الدراسة أن عدد سكان منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا سيتضاعف خلال العقود الثلاث القادمة، في حين يتراجع التزايد السكاني في منطقة أوروبا، وسيؤدِّي هٰذا الاختلال في النمو الديموجرافي بَيْنَ الشمال والجنوب إلىٰ تزايد عدد المهاجرين، وهو توجيه يكاد يصبح حتميًّا مع حاجة أوروبا إلىٰ يد عاملة شابة»[٣٣٨].

ثالثاً: عندما نتحدث عن سياسة دولة مؤسساتية فيجب أن نأخذ بعين الحسبان أنَّها ليست انفعالات ولا أهواء ولا رغبات، ولذٰلك فإنَّ دول الشمال علىٰ الرَّغْمِ من حاجتها الماسة إلىٰ عنصر الشباب وبأعداد كبيرة لترمم الهرم السكاني وتحول دون انهياره فإنها لم تعلن عن هٰذه الحاجة رسميًّا، ولٰكنَّهَا لم تتشدَّد في إغلاق أبواب الهجرة واللجوء لأنها تعلم أن قوافل المهاجرين لن تتوقف، ولذٰلك ليست مضطرة إلىٰ الظهور بمظهر المستجدي حَتَّىٰ تبقى في موقع القوة لا موقع الضعف وهي ليست مضطرة إلىٰ ذٰلكَ أبداً.

رابعاً: علىٰ الرَّغْمِ من أن الأمور تحت السيطرة فيما قبل الربيع العربي فإنَّ هٰذا لا يعني أن السياسة الغربية كانت نائمة عن الوجود الإسلامي خاصَّة في أوروبا. عاش، وما زال، المسلمون حريَّةً دينيَّةً إسلاميَّةً في بلاد الغرب لا يحلمون أن يحصلوا علىٰ واحد بالمئة منها في بلدانهم الإسلامية، ولٰكنَّ ذٰلكَ لا يعني أن

---

[٣٣٧] . تيموثي سافيج: يعمل في قسم الدراسات التحليلية المتعلقة بأوروبا، وكان قنصلاً عامًّا للولايات المتحدة الأمريكية في ألمانيا، متابع وعلىٰ اطلاع واسع عن قرب على أوروبا عمومًا والحضور الإسلامي فيها.

[٣٣٨] . تيموثي سافيج: **أوروبا والإسلام؛ الهلال المتنامي وصدام الثقافات** . مصدر سابق . ذاته.

الرقابة والسَّيطرة التي تمارسها الدولة ومؤسَّسات الضبط الاجتماعي غائبةً، وهٰذه الرقابة والسيطرة هي التي أنتجت فوبيا الإسلام وتساهم في تصعيد اليمين المتطرف.

خامساً: علىٰ الرَّغْمِ من الحضور السياسي والاقتصادي القوي لبعض الجاليات الآسيوية في الغرب ظل الحضور الإسلامي هو الهاجس الأكبر في السياسة الغربية، ولذٰلك ما إن بدأ ظهور الحضور الإسلامي في الغرب في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات حَتَّىٰ قابلها الغرب علىٰ الفور بظاهرة فوبيا الإسلام التي راحت تتصاعد مع تصاعد الحضور الإسلامي؛ كلما ازداد الحضور الإسلامي في دولة تصاعدت فوبيا الإسلام في هٰذه الدولة وانتقلت العدى إلىٰ الدول الأُخْرَىٰ.

سادساً: صحيح أن قوانين اللجوء الدولية تقوم أساساً الحروب والكوارث الكبرى إلا أنَّنا لا نعرف معايير السياسة الغربية المتبعة مع غير المسلمين في قبول اللاجئين لأنَّ كثيراً من اللاجئين من دول كثيرة يتوافدون علىٰ أوروبا ويتم قبولهم، رُبَّما الرغبة في التنوع العرقي بناء علىٰ الحاجة إلىٰ ترميم الهرم السكاني، ولٰكنَّ المسلمين لهم معيار شبه وحيد غالباً وهو ادعاء الهروب من الجماعات الظَّلاميَّة (الإسلاميَّة). لا يمكن تعميم ذٰلكَ بالمطلق، ولٰكن هٰذه قناعة باتت سائدةً لدى أيِّ مهاجر إلىٰ الغرب يتوارثها المهاجرون للإدلاء بها لدى مقابلتهم للحصول علىٰ اللجوء.

سابعاً: إذا عدنا أدراجنا إلىٰ فتح أبواب العالم أمام الفلسطينيين من أجل تفريغ فلسطين وإسكات الاحتجاجات علىٰ أزمة المشردين الفلسطينيين وجدنا الأمر ذاته ما زال قائماً في فتح الأبواب أمام لاجئي الدول التي يكون الغرب

سبباً في كوارثها كما حدث مع الأفغان والعراقيين إبان الاحتلال الأمريكي، وإغلاقه أمامهم اليوم لأنَّ الحرب داخلية، أهلية...

اللجوء بعد الربيع العربي

سبع حقائق يجب أن نضعهما نصب أعيننا لفهم التغيرات التي طرأت علىٰ ظاهرة اللجوء وأزمة اللاجئين عقب الربيع العربي وهي:

الأولى: أنَّ الحقائق سالفة الذِّكر ذاتها وكلها تقريباً تنسحب علىٰ ظاهرة اللجوء وعلىٰ أزمة اللاجئين بعد الربيع العربي، ويمكن تعميمها ذاتها من دون تغيير تقريباً. فإذا كنا نتحدث عن معاناة اللاجئين اليوم بعد الربيع العربي فإنَّ معاناة اللاجئين سابقة علىٰ الربيع العربي، وكل ما كان هو زيادة معاناة اللاجئين نوعاً وكمًّا كما سنوضح لاحقاً. فتقارير الأمم المتحدة لم تفتأ تتحدث منذ أكثر من عشرة سنوات عن ازدياد معاناة أعداد كبيرة من اللاجئين وزيادة الضغوط عليهم وحَتَّىٰ انتهاك حقوقهم وتهديديهم بالطرد[٣٣٩]. وعلىٰ سبيل المثال فإنَّ المطالبة بإغلاق الحدود أمام المهاجرين والتضييق عليهم قديمة وليست جديدة، فمنذ أكثر من عشر سنوات «بدأت الحملة ـ الرسمية ـ للحدِّ من الهجرة، والمطالبة بسن قوانين تحظر الحجاب في المدارس والمؤسسات العامة، وتشديد قوانين اللجوء»[٣٤٠]. ومع موجة هجرة الربيع العربي «أعلنت بعض الدول إغلاق حدودها في وجه اللاجئين كافة، ولو على سبيل العبور من بلادهم دون الإقامة بها. بينما أعلنت دول أُخْرَىٰ استقبالها للاجئين المسيحيين فحسب. تتصدر هذه

[٣٣٩] ـ انظر علىٰ سبيل المثال تقرير مفوضية شؤون اللاجئين عن تردي أوضاع اللاجئين في دول اللجوء الصادر في ٢٠نيسان/ أبريل ٢٠٠٦م.

[٣٤٠] ـ تيموثي سافيج: **أوروبا والإسلام؛ الهلال المتنامي وصدام الثقافات** ـ مصدر سابق ـ ذاته.

الدول المجر وسلوفاكيا والتشيك بموقفها المتشدد من اللاجئين بدعوى تسلل عناصر جهادية متطرفة بين اللاجئين المسلمين خاصة، وبدعوى أن الثقافة الغربية والقيم المسيحية في أوروبا باتت مهددة بسبب اللاجئين الذين ألزم الاتحاد الأوروبي دوله باستقبال عائلات مسلمة منهم بأكملها»[٣٤١].

الثانية: أنَّ الرَّبيع العربي لم يكن هو السَّبب في تصاعد ظاهرة الهجرة واللجوء إلىٰ أوروبا وإنَّما السِّياسات الغربيَّة تجاه الرَّبيع العربي والانقلاب عليه ودعم الثَّورات المضادة والانقلابية وتصعيد الحروب الدَّاخليَّة وتوسيع وتعميق الصراعات بَيْنَ الأنظمة والشعوب في بلدان الربيع العربي خاصة هي السبب في تزايد تدفق اللاجئين. وعلىٰ أي حال فإنَّ الهجرة الناجمة عن الربيع العربي، مع كل اللاجئين الذين استغلوا الربيع العربي، لم يقلبوا الموازين بهٰذه الطريقة التي يوحون بها، فقد ألمحنا في المقدمة إلىٰ نصيب دول الشمال هو الأقل من العدد الحقيقي للاجئين، فما نصيب دول الشمال من ١٧٥ مليون لاجئ في العالم عام ٢٠٠٠م[٣٤٢]، ونحو ثلاثين مليون زيادة علىٰ هٰذا العدد حَتَّىٰ اليوم؟

الثالثة: استغلال هواه المغامرة والهجرة إلىٰ دول الشَّمال من الشُّعوب الأُخْرَىٰ الأوضاعَ المأساوية لدول الربيع العربي وتدفقوا بأعداء هائلة إلىٰ أوروبا وكثير منهم علىٰ أنَّهُم سوريون أو عراقيون؛ أفارقة وآسيويون. وهٰذا ما فاقم مشكلة التعامل مع اللاجئين وحق اللجوء ففي أغلب الإحصاءات التي قدمتها مؤسسات بحثية أوروبية تبيَّن أن نسبة السورية والعراقيين من الأعداد (الهائلة)

---

[٣٤١] . متابعات الموقع: **فوبيا أسلمة أوروبا** . موقع بوابة الأزهر . الثلاثاء ٩ شباط/ فبراير ٢٠١٦م.

[٣٤٢] . في تقرير مفوضية شؤون اللاجئين الصادر في ٢٠نيسان/ أبريل ٢٠٠٦م إشارة إلىٰ زيادة عدد اللاجئين في العالم كله من ١٠٠ مليون عام ١٩٦٠م إلىٰ ١٧٥ مليون عام ٢٠٠٠م.

التي تدفقت على أوروبا في عام ٢٠١٥م لا يزيد في أكبر التقديرات عن ٢٥%. والحقيقة هنا أنَّ أوروبا غير معنيَّةٍ كثيراً بهٰذا التنوع إن لم تكن تحبذه أساساً للحدِّ من طغيان فئة معينة وتحولها إلىٰ أكثرية، وإنما المتأثر والمتضرر هم المتضررون أساساً والمحتاجون فعلاً إلىٰ اللجوء وهم ضحايا العدوان علىٰ الربيع العربي.

الرابعة: في هٰذه الأوضاع المأساوية لبعض الدُّول العربيَّة فقد ظهرت الانتقائيَّة الغربيَّة علىٰ نحو لافت جدًّا من دون أن تجد أيَّ حرج من هٰذه الانتقائية الفاقعة التي يصحُّ تسميتها بالعنصريَّة نوعاً ما. فبعيداً عن طفرة التَّدفق التي عالجها الأوروبيون بسرعة فقد لاحظنا تركيز الدُّول الأوروبيَّة في الاستقدام علىٰ الأسرة الكثيرة الأطفال، وعلىٰ الأطفال، من أجل تنشئة الأطفال علىٰ العادات والتقاليد والقناعات والعقائد التي تريدها هٰذه الدول.

الخامسة: لأوَّل مرَّةٍ منذ الحرب العالمية الثانية تعود مخيمات اللاجئين إلىٰ الظُّهور في أوروبا. لا نستطيع في حقيقة الأمر الحكم أو القطع في السبب هل يعود الأمر للعجز عن الاستيعاب أم لابتزاز اللاجئين والضَّغط عليهم؟ إذا نظرنا في أعداد اللاجئين في هٰذه الدول، باستثناء ألمانيا، فمن المتعذر القبول بذريعة العجز عن الاستيعاب. ويؤكِّد ذٰلكَ من عرفناه نصب الخيام وإقامة مخيمات اللاجئين من دون سببٍ صريحٍ إلا ما يمكن تفسيره بالرَّغبة في الضَّغط علىٰ اللاجئين لأهداف مستقبليَّة تتعلَّق بالاندماج خاصَّة. ولا تعدم دول الغرب من الأعذار والذرائع ما تسوِّغ به سلوكها هٰذا إن احتاجت إلىٰ التَّسويغ ولن تحتاج.

السادسة: الحقيقة المرة التي يجب أن نتخيلها في ظل هٰذه التَّناقضات أنَّ السُّوريين والعراقيين الذين هم أحق الجميع بالحصول علىٰ الحماية واللجوء هم الأكثر معاناة حالياً في الحصول علىٰ اللجوء والحماية...

السابعة: في تسريبات غير قليلة تبيَّن أن سفناً أوروبية تعمد إلىٰ إغراق المهاجرين... مثل هٰذه الجريمة الشَّنعاء يصعب تصديق أنَّها سلوك فردي أو أخطاء شخصية فالفيديوهات التي تم نشرها تصور بواخر عسكريَّة تقوم بذٰلكَ وليس قناصاً من وراء الشَّاطئ ولا غواصاً من تحت الماء[٣٤٣].

هٰذه الحقائق ليست هي التَّغيُّرات كلها التي طرأت علىٰ أزمة اللاجئين وخاصَّة المسلمين منهم لأنَّهُم الأكثر، ولٰكنَّهَا مفاتيح أساسية لفهم التَّغيُّرات عامَّةً، كما أنَّها في بعضها تسليط أضواء علىٰ بعض التَّغيُّرات التي طرأت. وإذا كان ما سبق مفاتيح فإنَّ الأسباب الحقيقيَّة للسِّياسة الغربيَّة تجاه اللاجئين تكمن في وقوعها بَيْنَ فكي كماشة الحاجة والمخاوف؛ الحاجة حقيقية والمخاوف أوهام لا بُدَّ منها لهم.

لا بُدَّ من التذكير هنا بما بدا واضحاً في سياق الكلام وهو أننا نتحدث عن اللاجئين في دول الشَّمال أي الدُّول الأكثر غنى في العالم ولا نتحدث عن اللاجئين إلىٰ دول العالم الثالث أو المجاورة بحكم الضَّرورة مثل الأردن أو لبنان للسوريين اليوم فلا يمكن الحديث عن أيِّ حقوقٍ أو حَتَّىٰ حقٍّ واحدٍ من حقوق اللجوء وتلك مصيبةٌ مستقلَّةٌ.

الغرب بَيْنَ الحاجة والمخاوف

أوروبا أو دول الشمال عامَّة ليست بحاجة فقط إلىٰ الكفاءات من مختلف الاختصاصات، هي ارتأت في فترةٍ من الفترات أنَّها من الأفضل لها أن

[٣٤٣] . يمكن العثور علىٰ هٰذه الفيديوهات في اليوتيوب ومواقع الإنترنت من خلال كلمات مفتاحية مثل (إغراق اللاجئين). قلة عدة عددها لا تعني قلة حدوثها فهٰذا ما تصادف ضبطه أو أمكن نشره.

تستجلب الكفاءات أو تركز عليها أكثر من غيرها ولكنَّهَا أيضاً بحاجة إلىٰ أيدي عاملة، قال رئيس المفوضية الأوروبية رومانو برودي في مؤتمر بسنغافورة: «لا غنى عن الهجرة القانونية لأوروبا، لأن المهاجرين يوافقون في الغالب علىٰ العمل بوظائف يعزف عنها الشباب الأوروبي»[٣٤٤]. في كواليس السياسة الأوروبية يدركون تماماً الحقيقة؛ حقيقة حاجة إلىٰ بشر لترميم الهرم السكاني، ولكنَّهُم يلبسون ذلكَ لبوس الحاجة إلىٰ العمالة والكفاءات العلمية، وبهٰذا السِّياق كان كلام برودي قبل خمس عشرة سنة، وتابع قائلاً حينها ردًّا علىٰ الدَّاعين إلىٰ وضع حد للهجرة: «إنَّ الشَّباب الأوروبيَّ لا يوافق علىٰ سبيل المثال علىٰ العمل في الزراعة لذلك فإنَّ أوروبا تحتاج إلىٰ الهجرة»[٣٤٥]. وأضاف: «إنَّ الهجرة أمرٌ ملح لسبب بسيط: لا يوجد ألماني أو إيطالي أو فرنسي بَيْنَ جيل الشَّباب يوافق على القيام بنوبات ليلية في المستشفيات».

كلام برودي السَّابق كان قبل خمسة عشر عاماً. لم تتغير المعطيات أبداً عَبْرَ العقد ونصفه المنصرمين. بل إنَّ الخلل في البناء السُّكَّاني الأوروبي ازداد تآكلاً لأنَّ الهجرة كانت محدودة، بسبب الأبواب المغلقة، وأقل بكثير من أن تسدَّ العجز الناجم عن الإحجام عن الإنجاب... دول الشَّمال إذن، في حقيقة الأمر، بحاجة إلىٰ أعدادٍ هائلةٍ من مختلف المستويات؛ هي بحاجةٍ إلىٰ ترميم وتدعيم الهرم السُّكَّاني المختلّ

---

[٣٤٤] ـ الجزيرة نت: **أوروبا تحتاج المهاجرين لشغل وظائف هامشية** . موقع الجزيرة نت . السبت ١٤٢٣/٤/٢٥هـ الموافق ٢٠٠٢/٧/٦م . نقلا عن أسوشيتد برس.

[٣٤٥] . م. س . ذاته.

الـذي يهـدِّد أوروبـا بالفنـاء بعـد أربعـين سـنة إذا مـا اسـتمر الأوروبيـون بسياسـتهم الإنجابية[٣٤٦].

مـع هٰـذه الحاجـة الماسَّـة والرَّغبـة الضِّـمنيَّة الشَّـديدة فـإنَّ مـا يسـمى اليمـين الأوروبي وحَـتَّىٰ الحيـاديون يتخوفـون مـن طغيـان الجاليـات علـىٰ الأصـليين في السـنوات القادمـة ولهٰـذا تجـدهم منـذ عشـرين سـنة في خطـوة إلىٰ الأمـام وخطـوتين إلىٰ الخلـف وهٰـذا مـا انعكـس علـىٰ اللاجئـين وخاصَّـة المسـلمين انعكاسـاً مباشـراً قبـل الربيـع العـربي وازداد كثـيراً بعـده؛ ففـي حـين الفرحـة الضِّـمنيَّة العارمـة بهٰـذا العـدد الهائـل (نسـبيًّا) مـن اللاجئـين مـن جهـةٍ أولى كانـت المخـاوف القديمـة تـنهض بقـوة مـن جهـةٍ ثانيـةٍ وتـنعكس بتصـاعد مـا يسـمَّى اليمـين واليمـين المتطـرِّف وتصـاعد أو تصـعيد فوبيـا الإسلام.

يعني ذٰلكَ علىٰ نحوٍ مباشرٍ أنَّ أوروبا تريد اللاجئين ولا تريدهم، ترحب بهم وتحاربهم، وهٰذا ما انعكس في سلوكٍ انتقائيٍّ بدا كما أوضحنا سابقاً في التركيز علىٰ الأطفال والأسر كثيرة الأطفال لسهولة تطويعهم، وبعضٌ منهم علىٰ المسحيين قصداً وتحديداً. وهٰذا في الحقيقة أمرٌ يتعذَّر ضبطه في الهجرة غير الشَّرعيَّة، ولذٰلك انفلتت ردود الأفعال في التَّعامل مع اللاجئين وظهر منها ما هو عنصريٌّ صارخٌ ومنها ما هو اجتماعيٌّ أو ماليٌّ أو أمنيٌّ أو غير ذٰلكَ مما يمكن إجماله في النِّقاط التَّالية:

---

[٣٤٦] ـ هٰذا ما تؤكده كثير من الدراسات الاستشرافية والاستراتيجية في عدد غير قليل من الدول الأوروبية خاصة دول الشمال ومعها ألمانيا، وقد بدأ الخبراء الاجتماعيون بالتحذير من هٰذا الخطر منذ أكثر من عشرين سنة.

أولاً: العنصرية الرسمية

لم تكن العنصريَّة غائبةً فيما قد سبق الرَّبيع العربي، ولا حَتَّىٰ علىٰ مستوى السِّياسة الرَّسميَّة، ولٰكنَّهَا في المستويين كانت علىٰ حرج وخجل إلىٰ حدٍّ كبير. مع تدفق موجة اللاجئين في أواسط عام ٢٠١٥م، ومع المخاوف المسبقة من المدِّ الإسلامي ظهرت العنصرية بأجلى ظهور علىٰ المستوى الرَّسمي بدايةً علىٰ ألسنة كثير من المسؤولين الأوربيين وإن بدا المسؤولون المجر والمقدونيون ناطقون باسم السِّياسة الأوروبية، ومن التَّصريحات العنصريَّة الخطيرة المعبرة عن العقل الباطن الغربي تصريح رئيس الوزراء المجري ڤيكتور أوربان بأنَّ «اللاجئين السُّوريين الواصلين إلىٰ أوروبا أغلبهم مسلمون، وهٰذا يهدِّد هوية أوروبا المسيحيَّة وهٰذه الأعداد من المسلمين قد تجعلنا غرباء في بلادنا»[٣٤٧].

ثانياً: التعذيب والتنكيل

في ظاهرةٍ غير مسبوقةٍ في التَّعامل مع اللاجئين طالعتنا الأخبار من وسط أوروبا قيام بعض الدول الأوروبيَّة وخاصَّة مداخل اللاجئين بممارسات شنيعة بحق اللاجئين من تعذيب وتنكيل واعتقل وحَتَّىٰ القتل في بعض الأحيان، وكان ذٰلكَ أكثر ما كان في المجر خاصَّةً التي أذاقت المهاجرين عامة والسوريين والعراقيين خاصَّةً الويلات وهم في طريقهم إلىٰ

[٣٤٧] ـ كان ذلك في ٢٨ /٢٠١٥/٧م. وقد تداولته مختلف وكالات الأنباء وسائل الإعلام العالمية، ولم يجد ذٰلكَ غضاضة ولا انتقاداً بمستوى التصريح الخطير، وإن كان الشارع الأوروبي في تلك الفترة يهيج تعاطفاً مع السوريين تحديداً واللاجئين عامَّة.

أوروبا من اعتقال وسجن وضرب وتنكيل[٣٤٨]. وعلىٰ نحو أقل حدَّة فعلت بعض الدول الأُخْرَىٰ ومنها كرواتيا وسلوڤينيا[٣٤٩].

ثالثاً: الخيام والمخيمات

المخيم مشتق من التخييم لا من الخيمة، ولا يعني المخيم أنَّهُ خيام. ومع ذَلكَ فإنَّ عودة الخيام بدل التَّجمُّعات السَّكنيَّة أمرٌ يمكن تفهمُّه في ظلِّ تدفُّق اللاجئين إبان الربيع العربي. في ٢٠١٥/٩/٩م قال بيتر بوكارت مدير الطوارئ في هيومن رايتس ووتش «إن حال مخيمات الإيواء في المجر مرعبة، وإنَّ السُّلطات تعامل اللاجئين كالحيوانات»[٣٥٠]. المشكلة ليست هنا تحديداً، المشكلة هي أن كثيراً من الدُّول الأوروبيَّة أعجبتها هٰذه الفكرة ولم تعد تضع اللاجئين في معسكراتها المعتادة وإنما صارت تضعهم في خيم في العراء ومنها فرنسا والدنمارك وألمانيا، حسب إفادات لاجئين هناك.

رابعاً: التضييق في الحريات والحقوق

بعد الانتهاء من فورة تدفُّق اللاجئين والاتفاق مع تركيا، بخداعها بوعودٍ لن تتحقق، والاطمئنان إلىٰ تسييج الحدود جيِّداً، بدأت الدول الأوروبية أكثرها بالتضييق علىٰ اللاجئين من جهة الحركة والتنقل والإقامة وحَتَّىٰ إخضاعهم للمراقبة. هٰذا السُّلوك ظاهر في بعض الدول ومقنع في دول أُخْرَىٰ... ومنها المماطلة في المقابلة ومنح حق اللجوء حَتَّىٰ إن كثيرين في أكثر من دولة أوروبية مضت عليهم أكثر من سنة تحت الانتظار. وهكذا كما يرى الكثيرون «تحولت

[٣٤٨] .كان ذلك في شهر آب/ أغسطس ٢٠١٥م. وقد تداولته مختلف وكالات الأنباء وسائل الإعلام العالمية.

[٣٤٩] . انظر تقرير وكالة الأنباء الفرنسية AFP عن تدفق آلاف اللاجئين إلىٰ النمسا في ٢٠١٥/٩/٢٠م.

[٣٥٠] . انظر: استنفار بالمجر ضد اللاجئين ونصف مليون منهم بألمانيا . الجزيرة نت . ٢٠١٥/٩/١٠م.

أوروبا القوية الواثقة من نفسها المتطلعة إلىٰ القيادة والمولعة بلعب دور الواعظ الأخلاقي والسياسي إزاء الأمم الأُخْرَىٰ، إلىٰ كيانات مرعوبة منطوية علىٰ نفسها قلقة علىٰ هويتها، تضيق ذرعا بكل تعبير عن الاختلاف، ولا تكاد تطيق تحمل أي مظهر من مظاهر التعددية والتنوع»[٣٥١].

خامساً: تخفيض المخصصات المالية

في حين أن تركيا وحدها تستضيف نحو أربعة ملايين لاجئ، وفي حين أنَّ الأردن وحدها تستضيف نحو مليون لاجئ، ولبنان وحدها تستضيف نحو مليوني لاجئ فإنَّ أوروبا كلها لم يدخلها أكثر من مليون لاجئ، ومع ذَلكَ تتذرع أوروبا بكثرة الأعداد لتخفيض المخصصات المالية لهم[٣٥٢]. بل إنَّ أكثر الدول الأوروبية عمدت إلىٰ طريقة خبيثة في تخفيض المخصصات المالية وهي المماطلة في إعطاء الإقامة أكثر من سنة وسنة ونصف ورُبَّما أكثر لأن منتظر الإقامة لا يأخذ إلا راتباً رمزيًّا ورمزيًّا جدًّا.

سادساً: تصعيد الفوبيا والعنصرية

ما إن انتهت أوروبا من كفايتها من اللاجئين بعد موجةٍ إعلاميَّةٍ موسيقيَّةٍ مناسبةٍ أخرجت الشُّعوب الأوروبيَّة في مظاهراتٍ وسلوكاتٍ تعاطفيَّة مدهشة حَتَّىٰ بدأ العزف علىٰ الموجة المضادة باستغلال أحداث جارية في المشرق خاصة وافتعال أحداث في أوروبا والاستفادة من أحدث أُخْرَىٰ من أجل تصعيد العنصريَّة وفوبيا الإسلام بَيْنَ الأوروبيين. هٰذا التصعيد مقصود مدروس وليس

---

[٣٥١] . محمد فال ولد المجتبى: **الإسلاموفوبيا القاتلة.. على نفسها جنت أوروبا** . مصدر سابق.

[٣٥٢] . ليس هٰذا بالسر فمختلف الدول الأوروبية وحَتَّىٰ مفوضية اللاجئين بدأت بهٰذا التخفيض منذ منذ أواخر عام ٢٠١٤م، وبدأت الحكومات الأوروبية بإعلان ذَلكَ مع مطالع ٢٠١٦م.

عرضيًّا ولا مصادفة، الغاية منه مزدوجة طرفها الأولى إيجاد الحواجز النَّفسية لدى الأوروبين تجاه الإسلام والمسلمين، وطرفها الثاني الضغط علىٰ اللاجئين المسلمين خاصَّة للتَّنصل من الإسلام والقبول بالضغوط المختلفة سابقة الذكر التي يمكن يتعرضوا لها. بل راحت بعض وسائل الإعلام والباحثين والمفكرين «يصفون ذهاب اللاجئين المسلمين إلىٰ أوروبا بكلمة غزو، وأنَّ استقبالهم سيكون بمنزلة حصان طروادة الجديد، بل ويعتبر البعض دخولهم سيفاً علىٰ رقاب أوروبا. وتنتشر الدعوات الذاتية أن يفيق الغرب من سباته ومن هٰذه اللامبالاة المسيطرة عليه ليدرك أنَّهُ في آخر المراحل الانتقالية نحو أسلمة أوروبا لأنَّ الإسلام من وجهة نظرهم هو التهديد الأكبر الذي يواجهونه»[٣٥٣].

سابعاً: المصادرة على حق العودة

وأخيراً فإنَّ السُّلوك النتيجة هو المصادرة علىٰ حق العودة إلىٰ الوطن. يبدو ذَلكَ غريباً، ولٰكنَّ هو الحقيقة فمختلف التَّضييقات السَّابقة مع الضغط علىٰ اللاجئين وإلزامهم بتعلم اللغات الوطنية والاندماج القسري تظهر الرَّغبة الغربيَّة في الاستفادة منهم في ترميم هرمها السُّكاني وجعلهم مواطنين لا يشكِّلون أيَّ خطرٍ أقلويٍّ أو دينيٍّ علىٰ النَّسيج الأوروبي. علماً أنَّ حقَّ العودة بندٌ أساس في الشِّرعة الدوليَّة وفي أصل حق اللجوء.

خاتمة

الموضوع طويل ويستحقُّ مناقشة أوسع، حسبنا أن نختم بأنَّ الشَّعب الأوروبيَّ مثل أيِّ شعبٍ آخر تتلاعب به وسائل الإعلام وتقوده حيث تشاء. لا

[٣٥٣] . متابعات الموقع: **فوبيا أسلمة أوروبا** . موقع بوابة الأزهر . الثلاثاء ٩ شباط/ فبراير ٢٠١٦م.

يمكننا أبداً أن ننكر حملة التَّعاطف المدهشة من قبل الشَّعب الأوروبي مع اللاجئين في مختلف أسقاع أوروبا. كان ذَلكَ عندما كانت السياسة تريد ذَلكَ. ولٰكن عندما اكتفى السَّاسة بما يحتاجون من اللاجئين بدأت الحملة المعاكسة وتصعيد اليمين المتطرِّف والنَّفخ في فوبيا الإسلام حَتَّىٰ هدأت حملة التَّعاطف وتلاشت، وعادت الأمور شعبيًّا إلىٰ نصابها المطلوب.

الخاتمة

كثير من القراء قبل زماننا هٰذا زمن السُّرعة والتَّسرع وانتظار الحلول السَّريعة والجاهزة والاختصارات والمختصرات... قبل انتشار هٰذه العقلية التَّسرعية فاقدة الصبر بسبب ثورة الإنترنت كان كثير من القراء يقتصر علىٰ الفهرس ليفهم الكتاب ورُبَّما يحدثك عنه مطولاً، وبعضهم الصبور كان يقرأ المقدمة والخاتمة أو شيئاً منهما ليكتفي بهما عن قراءة الكتاب وقليل هم القارؤون.

أزمة القراءة ليست جديدة ولا طارئة في حقيقة الأمر ولو كان الفلاسفة والكتاب والأدباء يفكرون في انحسار القراءة والقراء لتوقَّفوا عن الكتابة، ولٰكنَّهُم أكثر يكتبون ويبحثون بدافع المسؤولية والضمير والواجب حَتَّىٰ وإن خامرهم شبق الظهور والشهرة. ولا أتحدث عن المتطلفين والأدعياء بطبيعة الحال ولا بُدَّ من استثنائهم في كل نوع من هٰذا الحديث للتذكير علىٰ الأقل.

ولذٰلك كله كانت مقدمات كتبي وخواتيمها، منذ سحابة ثلث القرن وأكثر، غالباً مخالفة للمنطق المنهجي الذي يصرُّ عليها الباحثون الخطيون بل في بعض الأحيان أغفل أحدهما أو كليهما عمداً.

الخاتمة توضع لمن قرأ الكتاب أصلاً وليس للتنبل الكسول الذي لا يريد أن يكلف نفسه عناء القراءة وإلا لما أضاع الكاتب من وقته وعمره شهوراً في البحث في هٰذا الموضوع أو ذاك. ومن قرأ الكتاب هل يحتاج ترى إلىٰ خلاصةٍ خاتمةٍ؟

في بعض الأحيان يحتاج الأمر لغاية منهجية أو غير ذٰلكَ. ولٰكن في أكثر الأحيان يجب أن تكون الخاتمة إغماض العينين برهة من الوقت والتأمل فيما قرأه أو لم يقرأه أو ما يجب أن يتابع فيه أو ما يجب أن يقف عنه أو عنده أو ما يجب أن يفعله أو ما ينبغي ألا يفعله...

هٰذا الكتاب يحتاج أن يُقرأ سطراً سطراً وأن يقف القارئ مع نفسه عندما ينتهي من قراءة الكتاب ويلتقط نفساً عميقاً ويعيد تخيل المشهد العالمي والإنساني والديني ويحدد موقفه من جديد. ولذٰلك فإن خاتمة الكتاب هي أن تعيد قراءته وتحدد موقفك وخياراتك من جديد.

مراجع الكتاب

من المناسب غير اللازم أن نشير إلىٰ أننا لم نصنف المراجع، سردنا كلها بالتتالي حسب الترتيب الهجائي من دون توزيع علىٰ فئات كما يحلو لمن لا يفكرون إلا في الشكليات حَتَّىٰ وإن كانت فارغة لا قيمة لها. وإنما دعاني إلىٰ هٰذه الإشارة ما أجده غالباً من لهاث كثيرين وراء مثل هٰذه الشكليات... ولا أطيل في ذٰلكَ فالقول فيه طويل وكثير.

١. إبراهيم درويش : **كتابات أمريكية تروج لفكرة أسلمة أوروبا** . موقع مصرس . ١٧ / ٠٨ / ٢٠٠٩م. منشور أيضاً بصحيفة **القدس العربي** ١٧ آب/ أغسطس ٢٠٠٩م.

٢. اتفاقية جنيف لحقوق اللاجئين التي اعتمدتها الأمم المتحدة عام ١٩٥١م ووقَّعت عليها كثير من الدول، والبرتوكول الملحق إلىٰ هٰذه الاتفاقية عام ١٩٦٧م المتضمن النزعات والحروب الداخلية والاحتلال وما شابه ذلك...

٣. أحمد قطرية (الدكتور): **ندوة العرب والمسلمون في المخيّلة الغربية؛ بحث في الأصول التاريخية.. واستعراض لمسببات الظاهرة واقتراحات حول كيفية تقديم صورة إيجابية للعرب والمسلمين للآخر** . ندوة صحيفة الجزيرة الثقافية . الرياض . السعودية . شباط/ فبراير ٢٠٠٧م.

٤. أحمد منصور: **لقاء مع السيناتور بول فندلي في برنامج بلا حدود** . قناة الجزيرة . عام ١٩٩٨م.

٥. إدوارد سعيد (الدكتور): **الاستشراق** . صدر في طبعته الأولى بالإنجليزية عام ١٩٧٧م، والعربية الأولى عام ١٩٨١م.

٦. استفتاء مؤسسة "IFOP" الفرنسية التابعة للحكومة الفرنسية في معظم دول الاتحاد بعنوان «كيف يرى الأوروبيون الإسلام؟». في مطالع عام ٢٠١٢م.

٧. أوريانا فالاتشي في كتابها: قوة عقل . نقلا عن: وكالات: **قاض إيطالي يأمر بمحاكمة الكاتبة فالاتشي بتهمة إهانة الإسلام** . الجزيرة نت . الأربعاء ١٤٢٦/٤/١٦ هـ – الموافق٢٥/٥/٢٠٠٥م.

٨. برنامج المرصد: **عودة الإسلاموفوبيا.. وأطلس مستعد للقتال** . الجزيرة نت . برنامج المرصد . الاثنين ١٤٣٦/٣/١٤ هـ – الموافق ٥/١/٢٠١٥م.

٩. برنامج الواقع العربي: **الجاليات العربية والمسلمة بأوروبا وظاهرة إسلاموفوبيا؛ المسلمون محاصرون بالإسلاموفوبيا من الغرب وبأنظمة لا تقل إسلاموفوبيا عن الغرب . الجزيرة نت .** الثلاثاء ١٤٣٦/٢/٩ هـ – الموافق ٢/١٢/٢٠١٤م.

١٠. برنامج الواقع العربي: **الجاليات العربية والمسلمة بأوروبا وظاهرة إسلاموفوبيا؛ المسلمون محاصرون بالإسلاموفوبيا من الغرب وبأنظمة لا تقل إسلاموفوبيا عن الغرب . الجزيرة نت .** الثلاثاء ١٤٣٦/٢/٩ هـ – الموافق ٢/١٢/٢٠١٤م.

١١. برنامج الواقع العربي: **عرب أوروبا وجديد الإسلاموفوبيا** . الجزيرة نت . برنامج الواقع العربي . السبت ١٤٣٦/٣/١٢ هـ – الموافق ٣/١/٢٠١٥م.

١٢. بوابة الحركات الإسلامية: **مخاوف من أسلمة أوربا واستعدادات فرنسية وبريطانية للمواجهة** . موقع بوابة الحركات الإسلامية؛ نافذة لدراسة الإسلام السياسي والأقليات . الأربعاء ٢٣تموز/يوليو ٢٠١٤م.

١٣. بوعلام رمضاني: **إيدوي بلينال في كتابه من أجل المسلمين** . الجزيرة نت . السبت ١٤٣٥/١٢/٣ هـ – الموافق ٢٠١٤/٩/٢٧م.

١٤. بيتر فيليب وعبد الحي العلمي: **لماذا الخوف من الاسلام في أوروبا؟** . مراجعة سمير كرم . موقع DW الألماني . الأربعاء ٩ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٩م.

١٥. تقرير مفوضية شؤون اللاجئين الصادر في ٢٠نيسان/ أبريل ٢٠٠٦م إشارة إلى زيادة عدد اللاجئين في العالم كله من ١٠٠ مليون عام ١٩٦٠م إلى ١٧٥ مليون عام ٢٠٠٠م.

١٦. تقرير وكالة الأنباء الفرنسية AFP عن تدفق آلاف اللاجئين إلى النمسا في ٢٠١٥/٩/٢٠م.

١٧. تيموثي سافيج: **أوروبا والإسلام؛ الهلال المتنامي وصدام الثقافات** . ترجمة الموقع . موقع إخوان أون لاين . الاثنين ٢٠٠٤/٠٨/١٩م. البحث منشور في: (The Washington quarterly. No Summer 2004).

١٨. الجزيرة القناة ووكالات: **رمسفيلد يهدد صدام ورايس تسعى لتحرير العالم الإسلامي** . الجزيرة نت . الاثنين ١٤٢٣/٧/١٦هـ الموافق ٢٠٠٢/٩/٢٣م.

١٩. الجزيرة نت/ متابعات: **٣٧ مصاباً حصيلة انفجار في حي تشلسي في نيويورك وهجوم بالسكين في مينسوتا** . الجزيرة نت . الأحد ١٦ ذو الحجة ١٤٣٧هـ الموافق ل ١٨ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٦م.

٢٠. الجزيرة نت/ متابعات: **انتقاد للسلطات الأميركية لمرونتها مع مليشيا "أوريغون"**. الجزيرة نت . الأحد ١٠ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٦م.

٢١. الجزيرة نت: **٩٦٠ حادث اعتداء على المسلمين الأمريكيين في ٦ أسابيع** . الجزيرة نت.الخميس ١٤٢٢/٨/١٤هـ الموافق ٢٠٠١/١١/١م.

٢٢. الجزيرة نت: **اتهام اللجنة اليهودية الأميركية بترويج كتاب يشوه الإسلام باستخدام فتوى إسلامية وهمية** . الجزيرة نت . الخميس ١٤٢٢/٤/١٣هـ الموافق ٢٠٠١/٧/٥م.

٢٣. الجزيرة نت: **إجبار مسلمة على خلع حجابها بمطار أميركي** . الجزيرة نت . الأربعاء ١٤٢٢/١٠/٢٥هـ الموافق ٢٠٠٢/١/٩م.

٢٤. الجزيرة نت: **أردوغان يدعو أوروبا إلى مكافحة الإسلاموفوبيا** . الجزيرة نت . الأربعاء ١٤٣٦/٣/١٦ هـ – الموافق ٢٠١٥/١/٧م.

٢٥. الجزيرة نت: **استنفار بالمجر ضد اللاجئين ونصف مليون منهم بألمانيا** . الجزيرة نت . ٢٠١٥/٩/١٠م.

٢٦. الجزيرة نت: **التمييز ضد مسلمي أوروبا بتقرير آمنستي** . الجزيرة نت . السبت ١٤٣٣/٦/٦ هـ – الموافق ٢٠١٢/٤/٢٨م.

٢٧. الجزيرة نت: **أوروبا تحتاج المهاجرين لشغل وظائف هامشية** . موقع الجزيرة نت . السبت ١٤٢٣/٤/٢٥هـ الموافق ٢٠٠٢/٧/٦م . نقلا عن أسوشيتد برس.

٢٨. الجزيرة نت: **رداً على حملة التشويه التي تقودها منظمات يهودية أميركية** . الجزيرة نت . الأربعاء ١٤٢٢/٨/٢٠هـ الموافق ٢٠٠١/١١/٧م.

٢٩. الجزيرة نت: **على خلفية بث برامج مسيئة للإسلام والمسلمين كير يقبل اعتذار إذاعة أميركية وينتقد وكالة إعلام كندية** . الجزيرة نت . الخميس ١٤٢٢/٤/٢٧هـ الموافق ٢٠٠١/٧/١٩م.

٣٠. الجزيرة نت: **مسلمو أميركا يطالبون بوقف نشر كتاب يسيء للإسلام** . الجزيرة نت . الجمعة ١٤٢٢/٢/١٠هـ الموافق ٢٠٠١/٥/٤م.

٣١. الجزيرة نت: **واعظ مسيحي أمريكي يشبه المسلمين بالنازيين** . الجزيرة نت . الأربعاء ١٤٢٣/٩/٨هـ الموافق ٢٠٠٢/١١/١٣م.

٣٢. جورج حوراني: **الإسلاموفوبيا تهدد مسلمي السويد** . الجزيرة نت . الأحد ١٤٣٦/٣/١٣ هـ – الموافق ٢٠١٥/١/٤م.

٣٣. جيمس زغبي: **حملة منسقة ومتعصبة** . جريدة الشرق الأوسط . لندن . العدد ٩٠٢٩ . الاثنين ٢٠ جمادى الآخرة الموافق لـ ١٨ آب/ أغسطس ٢٠٠٣م.

٣٤. خالد شمت: **قضايا مسلمي أوروبا بمؤتمر في ألمانيا** . الجزيرة نت . الاثنين ١٤٣٥/١/١٥ هـ – الموافق ٢٠١٣/١١/١٨م.

٣٥. خالد وداعة: **من أدلة تحريف الإنجيل** . موقع شبكة الألوكة . الخميس ١٤٣٢/٦/٢٨ هـ – الموافق ٢٠١١/٦/١م.

٣٦. خالد يوسف: **جريمة الرسوم؛ عدسة البقع السوداء وعين المخابرات** . موقع المسلم نت . ٤آذار/ مارس ٢٠٠٦م.

٣٧. خدمة كامبردج بوك ريفيوز: **المسيحية والإسلام؛ تاريخ المواجهات الفاشلة** . الجزيرة نت . الاثنين ١٤٢٢/٨/٤هـ الموافق ٢٠٠١/١٠/٢٢م.

٣٨. رباب فتحي: **أستاذ بجامعة لاند السويدية ينتقد الحركة ضد أسلمة أوروبا ويؤكد: الإسلاموفوبيا خوف جماعي غير مبرر يجب أن يتصدى له الساسة** . موقع جريدة اليوم السابع . الثلاثاء، ٢٤ شباط/ فبراير ٢٠١٥م.

٣٩. رويتر: **فرنسا بصدد إصدار قانون لحظر الحجاب** . الجزيرة نت. الأربعاء ١٤٢٤/٤/٢٥هـ الموافق ٢٠٠٣/٦/٢٥م.

٤٠. رويتر: **مصر تنتقد تصريحات رايس بشأن العالم الإسلامي** . الجزيرة نت . الثلاثاء ١٤٢٣/٧/١٧هـ الموافق ٢٠٠٢/٩/٢٤م.

٤١. رويتر: **هيئة بريطانية تطلب حظر الذبح وفقا للشريعة الإسلامية** . الجزيرة نت . الثلاثاء ١٤٢٤/٤/١٠هـ الموافق ٢٠٠٣/٦/١٠م.

٤٢. رويتر: **واشنطن تندد ببث حلقة من مسلسل الشتات** . الجزيرة نت . الخميس ١٤٢٤/٩/٢٥هـ الموافق ٢٠٠٣/١١/٢٠م.

٤٣. رويتر: **وزيرة فرنسية تدعو لمنع الحجاب في المدارس** . الجزيرة نت. الأربعاء ١٤٢٤/٨/٥هـ الموافق ٢٠٠٣/١٠/١م.

٤٤. رويترز: **محكمة فرنسية تجبر شركة على إعادة موظفة محجبة** . الجزيرة نت . الأربعاء ١٤٢٣/١٠/١٤هـ الموافق ٢٠٠٢/١٢/١٨م.

٤٥. سعد جمعة: **المؤامرة ومعركة المصير**. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر . القاهرة . ١٩٦٩م.

٤٦. سي إنترناشيونال: **حول ارتفاع الأسلمة في أوروبا** . تقرير المؤتمر العالمي للهيئة البلجيكية (سي إنترناشيونال) وهي كبرى الهيئات المتخصصة في عمل إحصائيات دولية وخاصة في أوروبا . ٢٠١٢م.

٤٧. سيد أحمد زروق: **المراكز الإسلامية بالبلقان تواجه الإسلاموفوبيا** . الجزيرة نت . الأحد ١٤٣٥/٣/٤ هـ – الموافق ٢٠١٤/١/٥م.

٤٨. شفيق الجراح (الدكتور): **دراسات في تاريخ الحقوق؛ المؤسسات الحقوقية في بابل** . دمشق . ط٢.

٤٩. صالح النعيمي: **سيلجاندر والقرآن؛ شهادة من العيار الثقيل** . موقع الكاتب صالح النيعمي؛ في السياسة والناس . ٢٦ /٩/ ٢٠٠٩م.

٥٠. عادل عبد الله القناعي: **صنع في فرنسا** . موقع يمن ٢٤ . ٢١/ ١١/ ٢٠١٥م، وقد نشر في مواقع كثيرة تحت عنوان الفيلسوف الفرنسي ميشال أونفري يعترض، ينتقد، يوضح.

٥١. عاطف محمد: **أوربة الإسلام أم أسلمة أوروبا؟** . الجزيرة نت . الأحد ١٤٣٠/٩/١٦ هـ – الموافق ٢٠٠٩/٩/٦م.

٥٢. عبد الله علاونة: **٧ نساء في العالم يمكنهن ارتداء الأبيض في حضرة البابا** . موقع إرم نيوز . ١٩ كانون/ ١/ ٢٠١٦م.

٥٣. عزت السيد أحمد (الدكتور): **أعاجيب السياسة الأمريكية**؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.

٥٤. عزت السيد أحمد (الدكتور): **الأمم المتحدة بين الاستقلال والاستقالة والترميم** . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.

٥٥. عزت السيد أحمد (الدكتور): **المذاهب الاقتصادية الكبرى** . جامعة تشرين/ اللاذقية . ٢٠٠٦م.

٥٦. عزت السيد أحمد (الدكتور): **انهيار أُسطورة السَّلام؛ مصير السَّلام العربي الإسرائيلي** . الطبعة الأولى: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. الطبعة الثانية: دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٣م.

٥٧. عزت السيد أحمد (الدكتور): **انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها** . اتحاد الكتاب العرب . ٢٠٠٠م.

٥٨. عزت السيد أحمد (الدكتور): **بشرية عمياء عرجاء**؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

٥٩. عزت السيد أحمد (الدكتور): **عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.

٦٠. عزت السيد أحمد (الدكتور): **كيف ستواجه أمريكا العالم؟** . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.

٦١. عزت السيد أحمد (الدكتور): **لماذا يحق لأوروبا الخوف من المهاجرين؟** . الهيئة السورية للإعلام . ٣ / ٨ / ٢٠١٥م.

٦٢. علي بن محمد عودة (الدكتور): **العدوان الفكري الغربي على الإسلام وعلى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام** . العرب نيوز . ١٨ حزيران/ يوليو ٢٠١٦م.

٦٣. عمر فروخ (الدكتور) ومصطفى الخالدي (الدكتور): **التبشير والاستعمار** . لا يوجد ناشر ولا مكان نشر . ١٩٧٣م.

٦٤. غالب الفريجات (الدكتور): **الإسلام الأمريكي في عقول الأئمة** . شبكة البصرة . الاثنين ١٣ ذي الحجة ١٤٢٥ هـ الموافق لـ ٢٤ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥م.

٦٥. فائزة مصطفى: **الإسلاموفوبيا في فرنسا؛ حروب افتراضية** . الجزيرة نت . الثلاثاء ١٤٣٤/٩/٢٢ هـ – الموافق ٢٠١٣/٧/٣٠م.

٦٦. فرنس ٢٤: **هولندا؛ حزب الحرية يتعهد بإغلاق المساجد وحظر القرآن** . فرانس ٢٤ . ٢٠١٦/٨/٢٦م.

٦٧. قدس برس: **آلاف المواقع لمهاجمة الإسلام** . موقع دنيا الوطن . غزة . ٤/ ١٠/ ٢٠٠٥م.

٦٨. قدس برس: **منظمة إسلامية تنتقد التشكيك اليهودي في تعداد مسلمي أميركا** . الجزيرة نت . السبت ١٤٢٢/٨/٩هـ الموافق ٢٠٠١/١٠/٢٧م.

٦٩. لبيب فهمي: **المنتدى الأول لانتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا في بروكسل** . الجزيرة نت . الاثنين ١٤٣٦/٢/٢٢ هـ – الموافق ٢٠١٤/١٢/١٥م.

٧٠. لودچيغ هاچيمان: **المسيحية والإسلام؛ تاريخ المواجهات الفاشلة** في طبعته الأولى عام ٢٠٠١م عن الناشر بريموس فيرلاغ، دارمستاد بألمانيا.

٧١. مايكل بريقو: برنامج بلا حدود . **لقاء مع مايكل بريقو مدير الشبكة الأوروبية لمكافحة العنصرية** . قناة الجزيرة . الأربعاء ٧ أيلول/سبتمبر ٢٠١٦م.

٧٢. متابعات الموقع: **فوبيا أسلمة أوروبا** . موقع بوابة الأزهر . الثلاثاء ٩ شباط/ فبراير ٢٠١٦م.

٧٣. متابعات: **أسلمة الغرب... العقدة الأوروبية الجديدة** . موقع إيلاف . الخميس ٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٥م.

٧٤. متابعات: **أسلمة الغرب... العقدة الأوروبية الجديدة** . موقع إيلاف . الخميس ٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٥م.

٧٥. متابعات: **أسلمة الغرب... العقدة الأوروبية الجديدة** . موقع إيلاف . الخميس ٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٥م.

٧٦. محرر ديانات: **أسلمة أوروبا؛ حدود الوهم ومؤشرات الواقع** . موقع البيان؛ عالم واحد . ٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٨م.

٧٧. محمد الشافعي: **عنصريون في بريطانيا يطالبون بإغلاق المساجد** . جريدة الشرق الأوسط . لندن . عدد ١٠/ ٤/ ٢٠٠٤م.

٧٨. محمد فال ولد المجتبى: **الإسلاموفوبيا القاتلة.. على نفسها جنت أوروبا** . الجزيرة نت . الخميس ١٤٣٢/٨/٢٧ هـ – الموافق ٢٠١١/٧/٢٨ م.

٧٩. محمود السيد حسن حسن: **حماية اللاجئين إبان النزاعات المسلحة** . مجلة السياسة الدولية . العدد ١٦٢ . تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٥م.

٨٠. محمود سلطان: **الخوف من أسلمة أوروبا.. مجدداً!** . موقع الإسلام؛ حركة التوحيد والإصلاح . الأربعاء، ٠٤ آذار/مارس ٢٠٠٩م. وهو منشور في أكثر من موقع إلكتروني منها مثلاً: المسلم أون لاين، المختصر، وغيرهما.

٨١. مركز بغداد لدراسات الوحدة العربية: **الإسلام الأمريكي الصهيوني ينطلق من العراق** . شبكة البصرة . الجمعة ٢٨ صفر ١٤٢٦ الموافق لـ ٨ نيسان/ أبريل ٢٠٠٥م.

٨٢. مؤتمر أهل السنة والجماعة عقد بالعاصمة الشيشانية چروزني برعاية روسية مباشرة على مدار الأسبوع الأخير من شهر آب/ أوچسطس ٢٠١٦م.

٨٣. موقع الخارجية البريطانية على موقع تويتر . تغريدة في يوم السبت ٢٧/ ٨/ ٢٠١٦م.

٨٤. ميشيل ديل كاستيلو: **أنا مسلم، أعتز بالتراث الإسلامي والمسلمون مدرسة في التسامح والتعايش** . ترجمة صحيفة تشرين . صحيفة تشرين . دمشق . الثلاثاء ٢٢ كانون الثاني ٢٠٠٢م.

٨٥. نبيلة مجدي: **كاتب ألماني؛ الغرب مسئول عن زيادة نشاط المتطرفين... ويجتزئ من الإسلام النصوص التى تخدم أهواءه اعتباطيًّا... ويوجد آلاف السلفيين فى ألمانيا** . موقع جريدة اليوم السابع . الثلاثاء ١٧ شباط/ فبراير ٢٠١٥م.

٨٦. نضال حمد: **لاعب بوسني يطرد من الملعب في صربيا لأنه قال الله أكبر** . موقع الصفصاف الإلكتروني.

٨٧. وكالات: **البابا ينتقد الإسلام ويقتبس إساءة لنبيه** . الجزيرة نت . الخميس ١٤/٩/٢٠٠٦م.

٨٨. وكالات: **ألمانيا وفرنسا تضيقان على الحجاب** . الجزيرة نت. الأربعاء ٥/٨/١٤٢٤هـ الموافق ١/١٠/٢٠٠٣م.

٨٩. وكالات: **إمام مسجد فلورنسا ينشر صور راهبات على البحر** . الجزيرة نت . الأحد ١٨/١١/١٤٣٧ هـ – الموافق ٢١/٨/٢٠١٦م.

٩٠. وكالات: **جنرال أميركي يبرر تصريحاته المعادية للإسلام** . الجزيرة نت . السبت ٢٢/٨/١٤٢٤هـ الموافق ١٨/١٠/٢٠٠٣م.

٩١. وكالات: **فرنسا تتجه لإصدار قانون يحظر الحجاب في المؤسسات التعليمية** . الجزيرة نت . الأحد ٣/٣/١٤٢٤هـ الموافق ٤/٥/٢٠٠٣م.

٩٢. وكالات: **قاض إيطالي يأمر بمحاكمة الكاتبة فالاتشي بتهمة إهانة الإسلام** . الجزيرة نت . الأربعاء ١٦/٤/١٤٢٦ هـ – الموافق٢٥/٥/٢٠٠٥م.

٩٣. وكالات: **مرشح الرئاسة الأمريكية يهدد بقصف مكة والمدينة إن هوجمت بلاده نووياً** . العربية نت . الاثنين ٢٣ رجب ١٤٢٨هـ النوافق لـ ٥ آغسطس ٢٠٠٧م.

٩٤. وكالات: **واعظ مسيحي أمريكي يشبه المسلمين بالنازيين** . الجزيرة نت . الأربعاء ٨/٩/١٤٢٣هـ الموافق ١٣/١١/٢٠٠٢م.

٩٥. وكالة الأنباء الفرنسية: **تقرير أميركي يوصي بتغيير إستراتيجي نحو المسلمين** . الجزيرة نت ـ الأربعاء ١٤٢٤/٨/٥هـ الموافق ٢٠٠٣/١٠/١م.

٩٦. وكالة الأنباء الفرنسية: **داكا تصادر عددا من مجلة أميركية نشرت صورة للرسول** . الجزيرة نت . الجمعة ١٤٢٢/١١/٢٦هـ الموافق ٢٠٠٢/٢/٨م.

٩٧. وكالة الأنباء الفرنسية: **رافاران يجدد رفضه لارتداء الحجاب في المدارس الفرنسية** . الجزيرة نت . الاثنين ١٤٢٤/٧/٢٦هـ الموافق ٢٠٠٣/٩/٢٢م.

٩٨. وكالة الأنباء الفرنسية: **صحفي فرنسي يجاهر بازدرائه للإسلام** . الجزيرة نت . السبت ١٤٢٤/٨/٢٩هـ الموافق ٢٠٠٣/١٠/٢٥م.

٩٩. وكالة الأنباء الفرنسية: **قس أميركي يهاجم النبي الكريم ويثير غضب المسلمين** . الجزيرة نت . الخميس ١٤٢٣/٤/٢هـ الموافق ٢٠٠٢/٦/١٣م

١٠٠. وكالة الأنباء الفرنسية: **مسؤول أميركي؛ المسلمون يعبدون صنما وسنهزمهم** . الجزيرة نت . السبت ١٤٢٤/٨/٢٢هـ الموافق ٢٠٠٣/١٠/١٨م.

١٠١. وكالة الأنباء الفرنسية: **مقاطعة ألمانية تمنع المدرسات من الحجاب أثناء العمل** . الجزيرة نت. الأربعاء ١٤٢٤/٩/١٧هـ الموافق ٢٠٠٣/١١/١٢م.

١٠٢. ول. ديلاپورت: **بلاد ما بَيْنَ النهرين؛ الحضارتان البابلية والآشورية** ترجمة محرم كمال . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٧م.

- أعاجيب السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- أسس التوثيق؛ نحور نظرية عربية في التوثيق . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- آفاق التغير الاجتماعي والقيمي؛ الثورة التقانية والتغير القيمي . الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- آفاق التمدد الفارسي . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- الأمم المتحدة بين الاستقلال والاستقالة والترميم . دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.
- أَميرة النَّار والبحار (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٧م.
- أَنا صدى الليل (شعر) . دار الأَصالة للطباعة – دمشق – ١٩٩٥م.
- أنا لست عذري الهوى (شعر) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٩م.
- أنا والزمان خصيمان . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- أنا وعيناك صديقان (شعر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠١م.
- أُنشودة الأَحزان (شعر) – دار الأصالة للطباعة – دمشق . ١٩٩٦م.
- انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي . ط١: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. ط٢: دار الفكر الفلسفي . دمشق . الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
- انهيار إنسانية الإنسان . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.

- انهيار الشعر الحر – دار الثقافة – دمشق (ط١) ١٩٩٤م. ـ دار الفكر الفلسفي . دمشق – (ط٢) ٢٠٠٣م.
- انهيار دعاوى الحداثة – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٥م.
- انهيار قيم المعارضة العربية . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٠م.
- انهيار النظام العربي . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- انهيار وهم الحوار بَيْنَ الحضارات . إيبرو للطباعة . بيروت . ٢٠١٦م.
- البحيري؛ عبقرية وغربة وجمال . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٦م.
- بديع الكسم . وزارة الثقافة . دمشق – ١٩٩٤م.
- بشرية عمياء عرجاء؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- تصنيف المقولات الجمالية . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- تطوير التعليم العالي؛ الواقع والمشكلات والمقترحات . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- تفجيرات أيلول وصراح الحضارات؛ الولايات صنعت الحدث لتصنع المستقبل . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٣م.
- تمهيد في علم الجمال . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- الثوار والمعارضة والثورة السورية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة ثورة في كل شيء . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٦م.
- الثورة السورية والمؤامرة الكونية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية وأزمة القيادة . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- الثورة السورية والحلول التهريجية . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.

- الثورة السورية والنظام السوري . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الجمال وعلم الجمال . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- الحرب على الدولة الإسلامية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- حوار في الذاكرة بيني وبنيتي . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٥م.
- خطر نجاح الإسلام في السلطة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الدخيل على المصلحة (قصص) – ن . م – دمشق – ١٩٩٣م.
- دفاع عن الفلسفة ؛ الفلسفة ثرثرة أَم أُمُّ العلوم ؟ – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- رئيس وأربعة فراعين . . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- سكر مالح (قصص) . حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٦م.
- شظايا على الجداران (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- صوت السوط (مسرحية) . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٦م.
- الطريق إلىٰ الإبداع؛ نحو نظرية جديدة . إيبرو للطباعة . ٢٠١٦م.
- العالم على البركان . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- العالم في مواجهة الإسلام . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- العدوان الأمريكي على سوريا؛ حقيقة الموقف الأمريكي من الثورة السورية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٦م.
- العدوان الروسي على سوريا؛ مشروع إبادة الشعب والحضارة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٦م.

- العرب أعداء أنفسهم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م.
- العرب جثة تنهشها الكلاب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- عفيف البهنسي والجمالية العربية . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- علم الجمال الإعلاني . دار حدوس وإشراقات . عمان/ الأردن . ٢٠١٣م.
- علم الجمال المعلوماتي: نحو نظريَّة جديدة . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- عواد من دون عود (قصص) — دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- غاوي بطالة (قصص قصيرة) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٦م.
- الغرب الجاني على نفسه . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- فلسفة الفن و الجمال عند ابن خلدون — دار طلاس — دمشق — ١٩٩٣م.
- فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٦م.
- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٥م.
- في انتظار حمقاء (قصص قصيرة) . دار الأَصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٥م.
- فيلا وعلبة حلاوة (قصص قصيرة جداً) — دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- قراءات في فكر بديع الكسم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- قراءات في فكر عادل العوا . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠١م.
- قضايا الفكر العربي المعاصر . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- كاسيوس لونجينوس: الرائع؛ بحث جمالي فيمة الروعة . ترجنة ودراسة تقديم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- كتابة البحث؛ المفاهيم والقواعد والأصول . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.

- الكل يطلق المار النار على السوريين وثورتهم . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- كيف ستواجه أمريكا العالم؟ . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.
- لا تعشقيني (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- لبنان والمشروع الأمريكي؛ قراءة في الأزمة اللبنانية وتداعياتها . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- لبنان بَيْنَ حربين؛ الأزمة اللبنانية بَيْنَ الداخل والخارج . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- لوحات من ألم الثورة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- مختارات من دارسي التراث العربي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- المدخل إلى عصر النهضة العربية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- المذاهب الاقتصادية الكبرى . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٨م.
- المذاهب الجمالية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربوية: نحو سلوك تربوي عربي جديد . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- ملحمة المجانين (ملحمة شعرية) . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٥م.
- من رسائل أبي حيان التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.
- من يسمم الهواء؛ ظاهرة السرقة في عالمي الفكر والأدب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الموت من دون تعليق (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.

- نزيف العقل العربي؛ رؤية في هجرة الكفاءات العربية . العالم العربي . عمان . ٢٠١٦م.
- النظام الاقتصادي العالمي الجديد . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م .
- النظام الاقتصادي العربي؛ واقع ومشكلات ومقترحات . ط١: دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م. ط٢: دار إنانا ٢٠١٠م.
- نهاية الفلسفة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٤م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا (ط٢) – دار الفكر الفلسفي – دمشق – ٢٠٠٣م.
- همس الهوى (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- وظيفة الفن . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ٢٠١٣م.
- يصغر أمامك الكلم (شعر) . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٥م.

الفهرس

- **الإهداء** ٠٠٥
- **مقدمة الكتاب** ٠٠٧
- **الفصل الأول**: أهداف الإسلاموفوبيا..... ٠١١
  - مقدمة..... ٠١٣
  - أولاً: شيطنة الإسلام..... ٠١٤
  - ثانياً: محاربة أسلمة أوروبا ٠٢٢
  - ثالثاً: تنفير الغربيين من الإسلام ٠٣٢
  - رابعاً: محاصرة المسلمين بعقدة بالذنب ٠٣٨
  - خامساً: أوربة المسلمين ٠٤١
  - سادساً: أوربة الإسلام..... ٠٤٧
  - سابعاً : تسويغ الحرب على العالم الإسلامي ٠٥٨
  - خاتمة..... ٠٥٨
- **الفصل الثاني**: مظاهر الإسلاموفوبيا ومرتكزاتها ٠٦١
  - مقدمة ٠٦٣
  - أسطورة الإسلام السيء ٠٦٥
    - أولاً: الإساءة للإسلام..... ٠٦٩
    - ثانياً: الإساءة للمسلمين..... ٠٧٠
    - ثالثاً: الإساءة للقرآن..... ٠٧١
    - رابعاً: الإساءة للرسول ٠٧١
    - خامساً: تشويه كل ما يمت للإسلام ٠٧٤

- ▲ سادساً: المسلمون وحدهم الظلاميون ٠٧٥
- ◆ أسطورة الإرهاب الإسلامي ٠٧٩
- ▲ أولاً: المسلمون وحدهم المتطرفون ٠٧٩
- ▲ ثانياً: صورة من الازدواجية ٠٨٤
- ▲ ثالثاً: صورة من التناقضات..... ٠٨٨
- ◆ أسطورة محاربة الرموز الدينية..... ٠٩٤
- ◆ خاتمة..... ١٠٤
- ● **الفصل الثالث**: تاريخية الإسلاموفوبيا ومأسسها ١٠٩
- ◆ مقدمة..... ١١١
- ◆ أوهام ما بعد الحرب الباردة ١١١
- ◆ أوهام الظرف الراهن ١١٥
- ◆ تاريخية الإسلاموفوبيا ١١٧
- ◆ مأسسة فوبيا الإسلام ١٣٢
- ● **الفصل الرابع**: نتائج حملة الإسلاموفوبيا ١٤١
- ◆ مقدمة..... ١٤٣
- ◆ أولاً: شحن الغربيين بالهلع من الإسلام..... ١٤٤
- ◆ ثانياً: شحن الغربيين بكراهية الإسلام ١٤٧
- ◆ ثالثاً: شحن الغربيين بالعدوانية ضد الإسلام ١٥١
- ◆ رابعاً: التضييق على المسلمين..... ١٦٠
- ◆ خامساً: عزل المسلمين وتهميشهم ١٦٦
- ◆ سادساً: رد فعل المسلمين..... ١٦٩
- ◆ سابعاً: إقبال الغربيين على الإسلام ١٧٤

- ◆ موضوعيون يلقون ضوءاً ١٧٨
- **الفصل الخامس**: الإسلاموفوبيا واللاجئون المسلمون ١٨٣
- ◆ مقدمة ١٨٥
- ◆ اللجوء بَيْنَ الجد والتهريج ١٨٦
- ◆ أصول حق اللجوء ١٨٧
- ◆ عوامل الجذب والطرد ١٩٢
- ◆ اللجوء والانتقائية ١٩٤
- ◆ اللجوء بعد الربيع العربي ١٨٩
- ◆ الغرب بَيْنَ الحاجة والمخاوف ٢٠١
- ▲ أولاً: العنصرية الرسمية ٢٠٣
- ▲ ثانياً: التعذيب والتنكيل ٢٠٤
- ▲ ثالثاً: الخيام والمخيمات ٢٠٥
- ▲ رابعاً: التضييق في الحريات والحقوق ٢٠٥
- ▲ خامساً: تخفيض المخصصات المالية ٢٠٦
- ▲ سادساً: تصعيد الفوبيا والعنصرية ٢٠٦
- ▲ سابعاً: المصادرة على حق العودة ٢٠٧
- ◆ خاتمة ٢٠٧
- **خاتمة الكتاب** ٢٠٩
- **مراجع الكتاب** ٢١١
- **صدر من كتب المؤلف** ٢٢١
- **الفهرس** ٢٢٧

İslamofobya Evhâmının çöküşü

İslam'a karşı saldırganlığın ana efsaneleri

BROF. Dr
EZZAT ASSAYED AHMAD

KimlikYayınlaı
Kayseri-Türkiye
1438 هـ - 2017 م

Prof. Dr. İzzat Assayed Ahmad

İslamofobya Evhâmının Çöküşü

İslam'a karşı saldırganlığın ana efsaneleri

حَملةُ الإسلامُوفوبيا حملة تاريخيَّة مُؤسَّسة مُركَّبة مُعقَّدة، وَلذٰلكَ لا يمكنُ وَلا يجوزُ النَّظرُ إليها انطلاقاً من الواقع المعَاصر لها فَقَط فَجُذُورُها بمَا هيَ حَملة طعنٍ في الإسلامِ، وَتشويهٍ متَعمَّد للإسلام صَادرة عَن العَالم الغَربيِّ، تَعودُ إلىٰ صَدرِ الإسلامِ وَعَلىٰ الأَقلِّ إبَّان سُقوطِ الإمبراطُوريَّة الرومانيَّة.

الحَقيقةُ الكَبيرةُ الأَكيدةُ التي تَقومُ عَليها هٰذهِ الحَملةُ هِي الكَذبُ وَالافتراءُ المُتَعمَّد الوَاعِي ضِدَّ الإسلامِ، وَليسَ الفَهمَ الخَاطِئَ كَمَا يحَاولُ الكَثِيرُونَ أَن يَزعُموا لغَايَةٍ فِي أَنفسِهم أَو جَهلاً.

وَلذٰلكَ لا يَصِحُّ عَليهَا قَولُ جوبلز : اكذِب اكذِب حَتّىٰ يصدِّقَكَ الآخَرُون، وَإنمَّا يَصحُّ عَليهَا: اكذب اكذب حَتَّىٰ تصَدِّقَ نَفسَكَ

Kimlik Yayınları
Kayseri - Turkiye
1438 هـ - 2017 م

ISBN: 978-605-2345-06-1 الترقيم الدولي